أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ١-١٤

ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية: محمود درويش وإميل حبيبي أنموذجا

غانم مزعل (*)

الملخص: ترجمة أدب شعب ما إلى لغة شعب آخر هي أمر في غاية الأهمية، وضرورة حياتية من أجل التعرف إلى ما يدور في ساحة الآخر. هذه الترجمات -عادة- تأخذ زخما قويا في ظل الصراع بين الشعوب من منطلق "اعرف عدوك". الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني أدى إلى اهتمام كل طرف بالإنتاج الفكري للطرف الآخر، ولا سيما الأدب. من هنا جاءت الترجمات المتبادلة. إن ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية لها أهمية كبرى، ليس من منطلق المقولة " اعرف عدوك "، بل من أجل تعريف القارئ العبري بما يشعر ويفكر ويحلم الإنسان الفلسطيني، وبعيون فلسطينية، الأمر الذي يقود الكثير من القراء الإسرائيليين إلى رؤية صورتهم في المرآة، اكتشاف الذات واكتشاف الآخر. إن اكتشاف الذات يؤدي في كثير من الأحيان إلى قرع جدران ضمير الذات وجلده. من هنا سيتحول وعي الأفراد إلى وعي جماعات. أظهر البحث بشكل جازم، ومن أفواه إسرائيلية مدى تأثير النص الأدبي الفلسطيني المترجم على القارئ الإسرائيلي، وبهذا تكمن مقدرة الأدب والأديب، حيث إن الأديب يتسلح بصوته وبقلمه وبأوراقه، وليس بالبندقية. لكن يجب أن نعي أن الأدب وحده ليس بمقدرته تغيير العالم.

الكلمات المفتاحية: الأدب الفلسطيني، العبرية، محمود درويش، إميل حبيبي.

Translation of Palestinian Literature into Hebrew: Mahmoud Darwish and Emil Habibi as Models

Ranem Mazal

Abstract: Translation of one people's literature to the language of another people is of utmost importance and life necessity to learn about what is going on the other side of the fence. These translations have a strong momentum in the context of conflict between nations on the basis of "Know thy enemy". The Israeli-Palestinian conflict has led each party to show interest in the intellectual property of the other and in literary translation in particular. This is commonly called mutual translations. The translation of Palestinian literature into the Hebrew has big importance, way from the statement "Know thy enemy". These translations were meant to introduce the Hebrew reader to what the Palestinian feels, thinks and dreams of, through Palestinian eyes, thus making the Israeli readers discover themselves and the other. Discovering one's self leads in many times to reawaken one's conscience. Then this individual awareness would become a collective awareness. This paper has shown clearly, and from the voices of Israelis, the extent of the effect of translated Palestinian literary text on the Israeli reader and here lies the potential of literature and writer. The latter is armed with his/ her voice, pen and papers, rather than with the gun. However, we have to remember that literature alone cannot change the world.

Keywords: Palestinian Literature, Hebrew, Emil Habibi, , Mahmoud Darwish.

(*) جامعة النجاح، كلية الآداب، قسم اللغة العربية mazalr@hotmail.com

المقدمة:

يرى جورج أوربل أن أحد أهداف الكتابة الأدبية رؤية الأمور كما هي في الواقع، وفي الوقت نفسه دفع القارئ إلى اتجاه معين وتغيير آرائه بالنسبة إلى نوعية المجتمع الذي يرغب في العيش فيه [١]. فعبر الأدب نستطيع معرفة عالم الآخر، حيث أن الادب يعرض أمام القارئ واقعا معينا، وعبر هذا الواقع يلتقي القارئ مع أناس آخرين لم يلتق معهم في حياته اليومية، ولم تكن له علاقة معهم، أو لم يبد اهتماما بهم أو بالمعرفة عنهم.

الأدب يتيح لنا اللقاء مع أناس وآراء ومواقف وأنماط حياة مغايرة لما هو معروف لدينا، الأمر الذي يفتح أمامنا آفاقا جديدة، ويدفعنا إلى التفكير بطريقة أخرى. فالأدب بمثابة بوابة صغيرة لمعرفة الآخر، لأن النص الأدبي يضع القارئ في المكان الذي يقف فيه الآخر ويجعله يعيش تجربته [٢]. وهذه خطوة أولى لإمكانية فهم الآخر، أو على الأقل التفكير بصدده وبوجوده. النص الأدبي يقودنا إلى اختبار الذات، واختبار معلومات الذات بكل ما يتعلق بالآخر بشكل أعمق وأدق. أحيانا كثيرة يقود النص الأدبي القارئ إلى إبداء الرأي حول مواضيع لم يعط رأيه حولها من قبل، ومن ثم تغيير الآراء. إثر كل هذا يأتي النقد الذاتي، وذلك عندما يضع القارئ مخزون المعلومات والأفكار الموجودة لديه مقابل المعلومات الجديدة التي اكتسبها عبر النص الأدبي. النص الأدبي يعبر عن مفاهيم حياتية، ثم يوجه القارئ إلى الانتباه إلى معلومة معينة وليس إلى أخرى، وأن يكون فاعلا بطرق محددة [٣]. لا شك أن الأدب يتغلب على غيره من الوسائل الأخرى لرؤية العالم [٤].

ترجمة الأدب هي ترجمة جراح الأنا إلى لغة الآخر:

الترجمة بماهيتها تشكل جسراً بين الثقافات، حيث تتيح المجال أمام الحضارات لكي تتعرف إلى بعضها بعضا عن قرب[٥] فالوثيقة الأدبية المترجمة، هي حوار بين لغة وأخرى, بين نص وآخر. وبإمكانها تزويد القارئ بالمعلومات في اتجاهات مختلفة، مثل التعرف إلى الواقع الشعبي، وقوانين الترابط الاجتماعي، والأنماط النفسية، والاجتماعية الشائعة، وكذلك التعرف إلى القيم الأيديولوجية السائدة في المجتمع[٦].

وتأتي الترجمة بهدف الاقتراب من الآخر، والتعرف إليه، وعلى فكره وعاداته وتقاليده، حتى نتمكن من التعايش معه، فمعرفة الآخر مهمة الترجمة الأولى.

فالترجمات الأدبية تؤدي إلى معرفة متبادلة وإلى تفاهم متبادل بين القراء. وبما أنَّ الكتابة تنطلق من مكان أخلاقي - وإن لم تكن كذلك فهي عاقر- فالأدب يطمح إلى أن يأتي بشيء آخر إلى القارئ، بعيد عن النظرة الأحادية، ومختلف عما يرد في وسائل الإعلام. إن هدف الأدب إظهار تنوع الآخر، وأنَّ الآخر متنوع كقوس قزح، وجعل القارئ متسامحاً، فالأدب يهدف إلى الولوج إلى

---

(١) جورج، أوربيل. (٢٠٠٥). متاحت لأف شلخا. ص ٢٩٨.
(٢) مارته، نوسباوم. (٢٠٠٣). تسيدك بوئيتي، ص ٢٥.
(3) . إيان، مكيبان. (٢٠٠٣). كباراه، ص ٥١
(٤) مارته، نوسباوم، ص ٢٣.
(٥) شكري، عبد المجيد. (٢٠٠٤). فن الترجمة الإعلامية، ص ٩.
(٦) غانم، مزعل. (٢٠٠٧). "دور الترجمة في معرفة الآخر"، مؤتمر دور الترجمة في حوار الحضارات. ص ١١٠. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر : الطاهر، لبيب. (١٩٩٩). صورة الآخر- العربي ناظرا ومنظورا إليه.

عالم القارئ وصدعه، ومن ثمة إلقاء الشك بما لديه من معلومات عن الآخر، والبحث من جديد عن الوجه المفقود للآخر، وذلك عن طريق مفاجأة القارئ بمعلومات تختلف عن مخزون المعلومات المتوفرة لديه، والتي في غالبيتها مكتسبة من وسائل الإعلام أحادية النظرة. وبهذا تحدث مسارات شخصية داخلية عند القارئ. فالأدب يحاول أنْ يفتح آفاقاً جديدة وتنمية مقدرة تقدير الأمور بطريقة مغايرة، والنظر إلى عالمنا بنظرة جديدة متمردة. ويحاول الأدب خلق حب استطلاع متبادل بين المختلفين وإنتاج حبّ استطلاع كهذا، من شأنه أن يؤدي إلى حصول تعارف متبادل، الأمر الذي يقود إلى تفاهم متبادل.

فهناك قراء عرب ويهود لم يلتقوا خلال حياتهم ولو مرة واحدة مع الآخر. ولكنهم شكلوا آراءهم حول الآخر عبر ما سمعوه في وسائل الإعلام، فالأدب لم يستطع منع الحروب، أو أن يمنع تشويه صورة الآخر، كما أنه لم يستطع منع العنصرية. وهذا الأمر ينسحب أيضاً على القانون. ولكن الأدب أدى ببعض القراء إلى أن يفكروا بطريقة أخرى.

فالباحثة مارته نوسباوم تقول: إن قراءة الأدب أمر واجب من أجل فهم الآخر، وفهم دوافعه الحقيقية، وفهم أعماله، وفهم عالمه. إن قراءة الأدب لا تقود إلى تفهم الآخر فقط، بل إلى الميل إلى الآخر، وأحياناً إلى الشفقة على الآخر. وتذكرنا نوسباوم بالمقولة المعروفة: "إنَّ القضاة يكونون أكثر شفقة لو كان بمقدورهم وضع أنفسهم مكان المتهم الماثل أمامهم". لذلك تضيف نوسباوم قائلة: إنه يجب على القضاة تطوير المقدرة الإنسانية لديهم عبر تكثيف قراءة الأدب الجميل والروايات والشعر من أجل الاطلاع على مجمل وجوه الإنسانية، ولتطوير المقدرة على التخيل لفهم الآخر([٧]). فالخيال الأدبي مبني على أحاسيس. فالقراء يضحكون ويحزنون ويغضبون ويبكون ويتراضون سوية مع شخصيات النص الأدبي خلال الحدث المتخيل. قد يجد القارئ في الأدب - وخاصة الأدب الحديث - معلومات قيّمة تتصل بالإنسان وطبعه، قد لا يجدها في العلوم الأخرى. إنّ اكتشاف أدب الآخر يعدّل من نظرتنا إلى الأدب القومي. ويدفع بنا إلى الأمام، ويجعلنا نقوّمه تقويماً جديدا.

وفي هذا الصدد تقول الدكتورة فوزية زوباري: إنَّ الترجمة بحد ذاتها، تُعد فعل اتصال، إذ يذهب "بول ريكو" إلى ذلك حين يؤكد أن الالتئام والمصالحة لا يمكن أن يتمّا إلا حين نترجم جراحنا إلى لغة الغرباء، ونعيد ترجمة لغة الغرباء إلى لغتنا([٨]).

أما عاموس عوز الروائي الإسرائيلي فيعلّق على أهمية ترجمة الأدب بقوله([٩]): عندما تشتري تذكرة سفر وتقلع إلى بلد آخر، فإنك ترى الجبال والقصور والمتاحف والأماكن الأثرية، وإذا حالفك الحظ، فسوف تتحدث إلى بعض سكان المنطقة، وبعدها ستعود إلى بيتك مع بعض الصور، ولكنك عندما تقرأ رواية فإنك تشتري تذكرة دخول إلى الأزقة السرية للبلد الآخر وللشعب الآخر. إنّ قراءة الرواية هي دعوة لزيارة بيوت الآخرين ومعرفة ما يجري في غرفهم. إذا كنت سائحاً - فقط - فربما يصادف أن تقف في أحد الشوارع وتنظر إلى البيت القديم في الحي القديم وترى امرأة تطل عبر الشباك، وبعد ذلك تذهب في طريقك، ولكنك بوصفك قارئاً لرواية فأنت لا تنظر - فقط - إلى المرأة التي تطل عبر النافذة، وإنما أنت موجود معها في غرفتها، وفي رأسها، فإنك مدعو إلى صالة الآخرين وإلى معاناتهم إلى أفراحهم وإلى أحلامهم.

([٧]) ..مارته، نوسباوم. (٢٠٠٣). تسيدك بوئيتي، ص ٢٩. (ترجمة عن الإنجليزية)

([٨]). لمى، يوسف: " الترجمة حلقة الوصل بين الشعوب " موقع اللاذقية14/05/2010.

([٩]). من الخطاب الذي ألقاه عاموس عوز في إسبانيا عند تسلمه جائزة أمير أستوريا بحضور ملك إسبانيا خوان كارلوس– أكتوبر ٢٠٠٧.

لا شك في أن الترجمة وكيل حضاري وسياسي تمنح القارئ فرصة للتعرف إلى الآخر بطريقة عميقة، ومن وجهة نظر الآخر بشكل بعيد عن الاستعلائية.

إن المتتبع لما يدور في أوساط المثقفين العرب يلحظ أنه من حين إلى آخر تبرز للجدل إشكالية الترجمة من العبرية وإليها، خاصة عند لجوء إحدى دور النشر في العالم العربي إلى ترجمة إنتاج أدبي عبري إلى العربية، أو عند إقدام دور نشر عبرية في إسرائيل إلى ترجمة إنتاج أدب عربي إلى العبرية[١٠]، والسؤال الذي يدور حوله الجدل هو، ما المحصلة النهائية لهذه الترجمات؟ هل هي من باب "التطبيع"، أم "الاختراق" أم "التعرف إلى الآخر"؟ مقابل هذه التساؤلات، يجب أن تطرح تساؤلات أخرى" أليس عدم الترجمة جهلاً " ألا يعد عدم الترجمة خوفاً من مواجهة أدب الآخر"؟ وهل عدم الترجمة يعني أنه لا يوجد إنتاج أدبي عبري يرقى إلى المستوى الذي يستوجب الترجمة[١١]؟ إنّ الموقف السائد بين أوساط المثقفين في العالم العربي هو رفض الترجمات المتبادلة بين العبرية والعربية، وذلك يعود إلى أسباب عدة، منها: سياسية ومنها نفسية.

وفي مقابل التيار الرافض للترجمة المتبادلة بين العربية والعبرية في العالم العربي، فإننا نسمع أصواتاً أخرى مغايرة بالرغم من قلتها، وهي لا تعارض مثل هذه الترجمات. وعلى سبيل المثال نذكر الشاعر المصري محمود خير الله، فلا يرى أية إشكالية في ترجمة الأدب العربي إلى العبرية، وهو ليس من أولئك الذين يرفضون ترجمة إنتاجهم إلى العبرية. إنّ مثل هذا مثل من يترك الكرة الأرضية لأن إسرائيل موجودة عليها. يجب على الأدب أن يكون خارج الصراع. هذا مضحك أننا لا نترجم إلى العبرية. ومضحك أيضاً أكثر أننا لا نقرأ أدباً إسرائيلياً ونسلك كالنعامة. إن قراءة قصيدة لشاعر إسرائيلي أو يهودي ليست من باب التطبيع [١٢].

أما الدكتور أحمد حماد المحاضر في قسم اللغة العبرية في جامعة عين شمس، فيرى في هذه الترجمات مهمه قومية من الدرجة الأولى. وإنه من غير المنطق أن نترك للإسرائيليين البحث في الأدب العربي ونحن نقف مكتوفي الأيدي دون أن نقوم بدورنا العلمي في معرفة الآخر[١٣].

أما في الطرف الآخر/ الإسرائيلي، فلا نجد هذه الحساسية والاعتراض أو الإشكالية لترجمة الأدب العربي بأطيافه المختلفة إلى العبرية بدافع إتاحة المجال أمام القارئ العبري للانفتاح على الأدب العربي، وتحديد موقفه من هذا الأدب. لكن هذا لا يعني أنه يوجد سيل جارف من ترجمة الأدب العربي إلى العبرية. وهذا راجع إلى عدة أسباب أهمها: أن الثقافة الإسرائيلية اتجهت إلى الغرب ولم تتجه إلى الشرق، أضف إلى ذلك أسباب سياسية ونفسية حيث أن بعض الإسرائيليين ما زالوا ينظرون إلى الأدب العربي عبر فوهة البندقية [١٤] هذا عدا عن الفائدة المادية القليلة العائدة من تسويق الأدب العربي المترجم.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد موقف واحد أو سياسة واحدة في اختيار النصوص المترجمة[١٥]. إن ترجمة الأدب العربي إلى العبرية هي فرصة سانحة تساعد في تعرف

---

[١٠]. عبده، وازن: الحياة اللندنية، ٢٠٠٩-١٠-٠٩.
[١١]. إبراهيم، علوش: "ترجمة الأدب العبري الحديث الى العربية "
[١٢] صحيفة المصري اليوم، ٠٢. ٠٧. ٢٠٠٩.
[١٣]. ألمصدر نفسه .
[١٤] حنا، عاميت-كوخابي. (٢٠٠٣). مجلة جماعة، عدد ١٠، ص ٤٠
[١٥] المصدر نفسه

إلى المجتمعات العربية، ودراسة التطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية، فضلاً عن التذوق الأدبي.

وفي هذا المجال تشير الباحثة الإسرائيلية حانه عاميت كوخابي إلى أنها وجدت - على الأقل - ٦١٢ نصاً أدبياً فلسطينياً كُتب في المنفى، وترجم إلى العبرية، وأن أكثر من نصف هذه النصوص هي للشاعر محمود درويش، أضف إلى هذا الأدب الذي كتب في الدّاخل وترجم إلى العبرية. وترى كوخابي أن ترجمات الأدب الفلسطيني إلى العبرية أخذت دفعة قوية وخصوصا بعد حرب ١٩٦٧ وبعد عقد اتفاقيات السلام مع مصر والأردن[١٦] وأن الغالب على هذه النصوص المترجمة هي الصفة السياسية، والاجتماعية والمواقف النقدية تجاه إسرائيل، وتجاه المجتمع الفلسطيني، وأن غالبية هذه النصوص هي لكتاب مركزيين في المجتمع الفلسطيني([١٧]).

ويرى البروفسور ساسون سوميخ الباحث في الأدب العربي الحديث، من جامعة تل أبيب أن مطالعة الأدب العربي الحديث ضرورة حياتية لكل مثقف إسرائيلي، إذ من دون إطلاعه على التيارات الأدبية، فإن معلوماته عن الإنسان العربي، وعن عالمه ستكون مشوهة ومرتكزة على المعلومات الصحفية غير العميقة. كذلك يتعلم القارئ الإسرائيلي الكثير عن المفاهيم النفسية للإنسان العربي في القاهرة ودمشق، وبيروت وبغداد، وحتى في أرياف هذه الدول، علاوة على ذلك الاطلاع على مشاكل الأديب العربي ومتاعبه وكذلك الإنسان العادي([١٨]).

إن ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية يفسح المجال أمام القارئ الإسرائيلي للتعرف إلى عالم الإنسان الفلسطيني وبعيون فلسطينية، فالأديب الفلسطيني لا يخلق الواقع إنما يعرض الواقع وعبر هذا الواقع يلتقي القارئ الإسرائيلي مع الفلسطيني الذي لم يلتق معه من قبل، حيث يتعرف عبر الوثيقة الأدبية إلى أنماط حياته وآرائه ومتاعبه وأحلامه، وهكذا يفتح المجال أمام القارئ الإسرائيلي لعمق الفهم والتفكير المتجدد، وكذلك، فعبر هذا الأدب يكتشف القارئ الإسرائيلي صورته وتفاصيل جديدة حول هويته، ومن هنا يأتي النقد الذاتي وجلد الذات.

إننا نستطيع فهم مدى تأثير النص الأدبي الفلسطيني المترجم على المثقف العبري عبر كلمات الكاتب الإسرائيلي إيهود بن عيزر وذلك إثر قراءته ترجمة رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني حيث يقول: إنه يقف ولأول مرة أمام إحساس الفلسطيني بالحصار والاختناق وجهاً لوجه، وأنه يشعر بكبر المعاناة، ولا بد للقارئ أن يتضامن مع أبطالها، أما بعد قراءته ترجمة رواية "طواحين بيروت" للكاتب اللبناني فعقّب قائلاً: لو أن السياسيين الإسرائيليين قرأوا هذا الكتاب لما كان عليهم المضي في حرب لبنان([١٩]).

نحن لا ندعي أنه بعد قراءة الأدب الفلسطيني المترجم سيغير القارئ الإسرائيلي- حالاً - وجهة نظره عن الفلسطيني، لأن الأدب لا توجد لديه عصا سحرية، لكن لا بد من أن بعض القراء –وخاصة المثقفين والموضوعيين منهم - سيبدأون بفحص مخزون المعلومات الموجودة لديهم عن الآخر، وخاصة تلك الآراء والمعلومات الخاطئة التي أوجدها وساعد على تغذيتها الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني المستمر، وربما التشكيك بها، وهذا هو مقدور الأدب.

([16])المصدر نفسه ..
([17])المصدر نفسه ..
([18]) ..المصدر نفسه
([19]) ..مجلة مفجاش، عدد ٥، ١٩٨٤، ص ١٦٨

والسؤال الذي نطرحه هنا هو: لماذا لا يسلك الموكَّلون أو الذين وكّلوا أنفسهم على القارئ العربي منهج البروفيسور سوميخ؟ وهل ترجمة الأدب العبري إلى العربية هي بمثابة جرثومة نخاف العدوى منها، ويجب الاختباء بسببها في بيوت بلاستيكية؟ ([٢٠])إنه من حق القارئ العربي الحصول على إجابة مقنعة. لماذا لا يحق للقارئ العربي معرفة ماذا يجري في الساحة الأخرى / الإسرائيلية؟ ولماذا لا يحق للقارئ العربي أن يعرف ماذا يفكر عنه الإنسان الإسرائيلي؟ وفي هذا الصدد نورد ما يقوله الأديب الإسرائيلي عاموس عوز: إن من يقرأ " أدب الآخر" أياً كان، فستكون الفرصة متاحة أمامه أن يتصور نفسه مكان الآخر، والمأساة هي في عدم مقدرة الكثيرين من اليهود والعرب على تصور أنفسهم في مكان الآخر، وأن يشعروا في الحقيقة ما يشعر به الآخر – في حبه، وخوفه المفزع، وغضبه وعاطفته[٢١].

ويمكن حصر دوافع ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية فيما يأتي:

١- معرفة الآخر/ العدو وكيف يصور هذا الأدب الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني ومعرفة ما يدور في فكر الفلسطيني وقيادته بالنسبة لإسرائيل، وكيف يصوّر هذا الأدب المأساة الفلسطينية، وقد سيطرت هذه الفكرة حتى حرب ١٩٦٧.
٢- الترجمة وسيلة لتقريب وجهات النظر والتفاهم بين الشعبين، حيث إن الأدب هو يمثل جسراً بين الحضارات والثقافات، وقد بدأت هذه الفكرة تسيطر بعد حرب ١٩٦٧.
٣- معرفة الصورة التي ارتسمت في ذهن الإنسان العربي بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص عن الإنسان اليهودي / الإسرائيلي([٢٢]) ومن أين استمد هذه الصورة.
٤- التنبؤ بممارسات الفلسطيني تجاه إسرائيل مستقبلاً. فالأدب الفلسطيني يعبر عن رغبات الإنسان الفلسطيني وأمنياته.
٥- معرفة مواقف الأقلية العربية في إسرائيل بالنسبة لإسرائيل وللصراع الإسرائيلي – الفلسطيني.
٦- دوافع أكاديمية.

وهناك بعض الجهات وبعض الشخصيات في العالم العربي ما زالت تصر على أن الدافع الوحيد لترجمة الأدب العربي إلى العبرية يعود إلى الأيديولوجية الصهيونية، ومن دافع التجسس واختراق المجتمع العربي وخدمة المصالح الإسرائيلية[٢٣]، نحن لا ننكر أن للصراع الإسرائيلي الفلسطيني دوراً في هذه الترجمات، ولكنه خطأ فادح أن ندعي أن ذلك هو السبب الوحيد.

أما فيما يتعلق بالذين قاموا بالترجمات من العربية إلى العبرية فغالبيتهم من اليهود الشرقيين الذين ولدوا في الدول العربية، وخصوصا من مهاجري العراق، حيث نشير إلى ساسون سوميخ، وشمعون بلاص، وشموئيل موريه، ونسيم رجوان، وسامي ميخائيل، وإلى جانبهم هناك فئة من

([20]) .معين، بسيسو. (١٩٧٠). نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة، ص ٣ .

([٢١]) ينطر المقال: "شجاعة أدبية على خطى هاينريش هاينه " موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي .Qantara De 17/06/1 من الخطاب الذي ألقاه عاموس عوز عند تسلمه جائزة هاينرش هاينه، ديسلدورف ١٣. ١٢. ٢٠٠٨، ألمانيا.

حول دور الأدب في اكتشاف الذات والآخر ينظر : مارته، نوسباوم. (٢٠٠٣). تسيدك بوئيتي. عادي، تسيمح. (١٩٩٥). سفروت كميتابيخ لديموكراتيه، ص٥٤.

(٢٢). غانم، مزعل. (٢٠٠٧). " دور الترجمة في معرفة الآخر "، مؤتمر الترجمة في حوار الحضارات. ص ١١٠ – ١١٣.

([٢٣]). حول هذا ينظر: يهوشفاط، هركابي. (١٩٧٥). سخسوخ عراب يسرائيل برئي هسفروت هعربيت.

العرب سكان إسرائيل مثل: سلمان ناطور، وسلمان مصالحة، ومحمد حمزة غنايم، وأنطون شماس، ومحمود عباسي ونعيم عرايدي وغانم مزعل.

ومن بين الكتاب الفلسطينيين الذين ترجم لهم نذكر على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر: محمود درويش، وإميل حبيبي، وغسان كنفاني، وسميح القاسم، وسهام داود، وجبرا إبراهيم جبرا، ومحمد علي طه، وطه محمد علي، ومحمود شقير، ونداء خوري، وتوفيق زياد، وفاروق مواسي، وسالم جبران، وسحر خليفة، وفدوى طوقان، وسامي الكيلاني، وسلمان مصالحة، وأنطون شماس، وراشد حسين، وتوفيق فياض.

وتجدر الإشارة الى أن بعض الكتاب قد ترجم لهم غير كتاب / ديوان وأما البعض الآخر فقد ترجمت لهم قصائد أو نصوص متفرقة. ومن بين الذين حظوا بترجمة غير كتاب / ديوان نذكر على سبيل المثال: محمود درويش، وإميل حبيبي، وسحر خليفة حيث ترجم لها: "الصبار" سنة ١٩٧٨ ترجمة سلمان مصالحة و"عباد الشمس" سنة ١٩٨٧ ترجمة راحل حلبة، وغسان كنفاني حيث ترجم له: "عائد الى حيفا" سنة 1978 ترجمة فورطونة شبيرو و"رجال في الشمس " سنة ١٩٨١ ترجمة دانيئيلة برفمان و"ما تبقى لكم " 1978 وقصتي " أبعد من الحدود- وأرض البرتقال الحزين " سنة ١٩٧٠ ترجمة بروفسور شمعون بلاص. وتجدر الإشارة هنا إلى أن "عائد إلى حيفا" عرضت مسرحية في مسرح هكاميري سنة ٢٠٠٨. أما قصة " أرض البرتقال الحزين " فقد أدرجت في المنهاج التعليمي للطلبة الثانويين اليهود الذين يدرسون العربية.

إن موقف المثقفين الفلسطينيين من ترجمة أدبهم إلى العبرية هو موقف إيجابي، ولم نسمع أصواتاً معارضة لذلك، كما سمعنا عند فئة غير قليلة في العالم العربي. إن هذا الموقف يدل على وعي الكتّاب الفلسطينيين الذين يريدون تحويل وعي الأفراد الإسرائيليين إلى وعي جماعات من أجل تفهم القضية الفلسطينية، وحقوق الشعب الفلسطيني ومعاناة الإنسان الفلسطيني، فعبر هذه الترجمات يطّلع القارئ الإسرائيلي على معاناة الإنسان الفلسطيني الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى الاعتراف بمعاناة الآخر- الفلسطيني، وكلما تغلغلت هذه المعرفة في المجتمع الإسرائيلي زاد عدد المتفهمين للقضية الفلسطينية، وعدد المعارضين للسياسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين.

ترجمة أدب درويش:

عاش محمود درويش الشطر الأول من حياته في إسرائيل أي حتى عام ١٩٧٠، ثم غادرها بعد ذلك إلى الاتحاد السوفييتي. من هنا فقد شكلت الثقافة الإسرائيلية جزءاً مهماً من ثقافته، حيث أجاد اللغة العبرية، واطلع على الثقافة اليهودية، والتاريخ اليهودي، والأدب العبري، وعرف المجتمع الإسرائيلي عن كثب، كما كانت تربطه علاقات جيدة مع الكثير من المثقفين الإسرائيليين اليساريين. ونجد في شعره حضوراً لمصطلحات توراتية وتلموذية ويهودية مثل: سدوم، عموره، ايلياء، اشعياء، ارميا، حبقوق، هيكل، اورشليم، هللويا، المزمور ([٢٤]). وقد نشر بعض إنتاج الكتاب العبريين في مجلة "الكرمل" التي كان محررها. وكان درويش أول شاعر في إسرائيل يدخل السجن الإسرائيلي بسبب شعره عام ١٩٦١. ومن بين الشعراء الإسرائيليين الذين تأثر درويش بشعرهم نذكر: يهودا عميحاي وحاييم نحمان بيالك.

([٢٤]). حول هذا ينظر : جمال، الرفاعي. (1994). أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني المعاصر..

ويعبّر درويش عن رأيه في اليهود فيقول: " اليهود بينهم السيء وبينهم الجيد، وهم ليسوا ملائكة كما يريدون أن يقولوا عن أنفسهم، وليسوا شياطين. وهذا ما يشير إلى أنهم شعب طبيعي، ومن حسناتهم أنهم ليسوا فقط شياطين أو ملائكة وهم مجموعة من الشياطين والملائكة ([٢٥]).

ويقول محمود درويش في موطن آخر:... كنت أريد أن يقرأ الإسرائيليون إنتاجي لكي يستمتعوا بشعري، ليس كممثل العدو، ولا ليعقدوا السلام معي([٢٦]).

ومن هذا المنطلق، فقد سمح محمود درويش لبعض دور النشر في إسرائيل أن تقوم بترجمة أدبه إلى العبرية دون أن يأخذ شيئا مقابل هذا، وذلك بهدف أن يدخل أدبه إلى صالة بيوت القراء الإسرائيليين، ويعمل على تغيير مواقفهم إيجابيا بالنسبة للإنسان الفلسطيني وقضيته، ومن ثمة الضغط على صانعي القرار السياسي في إسرائيل. في مقابلة أجرتها معه صحيفة عبرية يقول درويش:... إنني أومن بقوة الشعر. الشعر يعطيني القوة والدافع للنظر إلى الأمام وإلى رؤية النور في نهاية النفق. الشعر باستطاعته تحويل غير الواقعي إلى واقعي. باستطاعة الشعر بناء عالم مناقض للعالم الذي نعيش فيه. أرى الشعر دواءً روحانياً. لا يوجد لدي إطار آخر لوجود معنى لحياتي أو لحياة شعبي. لقد بنيت بكلماتي وطناً لشعبي ولي[٢٧]. إنها لحقيقة أن للشعر قوة. إن قوة الشعر بالنسبة لدرويش تعني أن مسؤولية الشاعر أن يوصل شعره، وأن يكشف عن جراحه وآلامه للآخرين، وخاصة للخصم. يجب سرد محنة الذات لكل من هو على استعداد أن يسمعها. إن الذاكرة تعني الكثير بالنسبة لدرويش ولحبيبي. إنهما يخافان أن تمحى الذاكرة مع مرور الزمن، ولذلك كتبا من أجل الذاكرة. وأصبحت الذاكرة موتيفا محوريا في كتابتهما. أن تمحى الذاكرة هذا يعني الهزيمة. إن الصراع على الذاكرة مستمر بين المنتصر وبين المهزوم.

إن كلمات درويش هذه مؤثرة جداً، ولها قوة ووقع كبيران عند القارئ، وباستطاعتها تحريك النسيج الإنساني عند كل قارئ حتى لو كان عدواً، ولا بد للقارئ من التعاطف والتماثل مع درويش. هذا الشعر بإمكانه أن يؤدي إلى انهيار حواجز نفسية وآراء نمطية كانت متراكمة عند القارئ العبري

لقد حظي أدب درويش باهتمام كبير عند الكتّاب الإسرائيليين، لم يحظ به أي أديب فلسطيني أو عربي ما عدا الأديب المصري نجيب محفوظ الحائز على جائزة "نوبل" للأدب، وخير دليل على ذلك هو كثرة ترجمة أدبه إلى العبرية، وهنا نورد بعض التعليقات لمثقفين إسرائيليين، وهي تفسر هذا الاهتمام.

يقول إيلي هيرش، إن أهمية أدب درويش تنبع من أننا نجد أنفسنا نقوم بدور مركزي في شعره، لكن ليس إيجاباً، وعلى الأقل من هذا المنطلق يجب أن نقرأه، إنه الشاعر القومي الفلسطيني، الذي وُلد داخل الدمار واليأس، لكنه في الوقت نفسه لم يفقد الأمل، هذه هي عظمة درويش الثنائية. لقد أجرى درويش معنا – نحن الإسرائيليين – حساباً عسيراً، من الصعب تحمله. وبالرغم من قصائده الصعبة والقاسية ضد شعبي، فأنا أشعر بالخجل. ففي العام ١٩٨٨ قرأت ترجمة قصيدته

. ([٢٥])محمد، سلطان. (٢٠١٠). " الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر درويش". مجلة الأقصى، مجلد ١٤، عدد ١، ص ١-٣٦.

([٢٦]). مجلة الكرمل، عدد ٥٢، ص ٢٢٠.

([٢٧]) ألموغ، بيهار: "الشعر في الحصار، محاولة للجدل مع درويش"، صحيفة هآرتس الملحق الثقافي، ٠٩. ١٠. ٠٩

"عابرون في كلام عابر" والتي أثارت ضجة كبيرة في صفوف اليمين واليسار الإسرائيلي، ولكن بالرغم من هذا فهو يؤمن بدولتين لشعبين، كما انه آمن بأخوة الشعوب في البلاد التي تنزف دماً[٢٨].

ويفسر الأديب الإسرائيلي الموغ بيهار ولعه بأدب درويش بقوله: إنّ كتابات محمود درويش جذبتني جداً وخاصة الشعر الذي كُتب في ظل الحصار، ويتحدث عن "الحصار". فعبر شعره نستطيع فهم الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ذلك الصراع الخبيث والمعدي والمستمر بين الجيران. شعر درويش جعل شعراءنا الإسرائيليين يشعرون بالذنب والندم. معركة درويش هي على الذاكرة التاريخية الفلسطينية – كما هي معركة إميل حبيبي - لأنها ليست أقل أهمية من المعركة على الأرض، ودون الذاكرة لن يكون هناك سبب للصراع من أجل الأرض[٢٩]. ويبلغ هذا الموتيف قمته في " ذاكرة للنسيان " و"لماذا تركت الحصان وحيدا ". والقارئ الإسرائيلي يجد في كتابات درويش محاولة للتفاهم وللمصالحة بين الشعبين، وأن الشعبين قد تعبا من الدم. درويش يريد كسر الحصار عبر الثقافة. وعلى خلاف معظم الشعراء القوميين، لم يطلب تنظيف البلاد من هوياتها المختلفة، إنما طلب أن تحتوي البلاد كل ما عليها حيث نجده يقول: أنا نتاج كل الثقافات التي مرّت بالبلاد، اليونانية والرومانية والفارسية واليهودية والعثمانية[٣٠]. وتعلق ياعيل ليرر على أدب درويش بقولها: إنه من المحبذ أن يكون في رفوف الكتب العبرية، ليس فقط بسبب هوية الكاتب وفحوى كتاباته، لأنّ كتاباته تعدّ إنجازاً فنياً[٣١].

ويعزو الشاعر الاسرائيلي حاييم غوري اهتمام المثقف الإسرائيلي بأدب درويش إلى أن درويش شاعر حقيقي، به الكثير من العظمة، حيث حافظ على استقلاليته بوصفه شاعراً بالرغم من كونه في القيادة الفلسطينية، ولم يتورع من إسماع أقوال مخالفة للنهج الفلسطيني، من هنا فقد أدرج وزير الثقافة الإسرائيلي السابق يوسي ساريد بعض قصائد درويش في منهاج التعليم الثانوي العبري، الأمر الذي أثار ضجة عند بعض الجهات اليمينية، ويضيف غوري أنه بالرغم من الخلاف مع درويش في أمور مختلفة، لكنه شريك لدرويش في الاحتجاج ضد الممارسات التي وجهت ضد درويش، وهذا بسبب التماثل مع الكثير من شعره. وتجدر الإشارة هنا إلى أن حاييم غوري وأدباء إسرائيليين آخرين كانت لديهم فكرة في ترشيح درويش والشاعر الاسرائيلي يهودا عميحاي لجائزة نوبل للآداب، وكانت هذه الفكرة قد تبلورت قبل وفاة درويش، ولكن موته قد أجهضها. محمود درويش شريك عقلاني، وهو خصم وصديق في آن واحد[٣٢].

أما الكاتب أ. ب. يهوشع فيصل إلى قناعة أن سبب الاهتمام بأدب درويش عند المثقفين الإسرائيليين يعود إلى أنّ شعر درويش يجذب القارئ بسبب حدته وطريقة جدله [٣٣].

أما عميرة هيس فتفسر اهتمام المثقف الإسرائيلي بأدب درويش بأن درويش هو كل واحد من أبناء شعبه[٣٤].

والمترجمة حنا عاميت كوخابي التي ترجمت بعض كتابات درويش فتعبر عن شعورها بعد ترجمتها لـِ " رسائل بين شطري البرتقالة"، حيث تعترف أن غشاوة عدم المعرفة قد أزيلت عن

([٢٨]) إيلي، هيرش: "محمود درويش، كزهر اللوز.... "، صحيفة يديعوت احرونوت، 08 .11 .07.
([٢٩]) مصدر سابق الموغ، بيهار.
([٣٠]) مصدر سابق الموغ، بيهار.
([٣١]) هآرتس: هسوس لبدو (لماذا تركت الحصان وحيداً)، ١٥. ٠٨. ٢٠٠٨
([٣٢]) ملحق هآرتس، 2008 .08 .14.
([٣٣]). ملحق هآرتس ٠٩. ٠٨. ٢٠٠٨
([٣٤]) ملحق هآرتس، 2008 .08 .14، ٠٩. ٠٨. ٢٠٠٨

عينيها، فقد تعرفت إلى شعور الفلسطينيين، على ألمهم وعلى شوقهم. لقد تفهمت ألمهم وتفهمت جرحهم. ووصلت إلى قناعة أن تفهّم معاناة الآخر لا يُنقص أي شيء من ألم الأنا. هذا الكتاب أكّد مرّة أخرى أصالة درويش، لكنه في الوقت نفسه لم يدع إلى العنف أو إبادة إسرائيل[٣٥].

وتجدر الإشارة إلى أنّ شعر درويش قد أثار غير مرّةٍ ضجة بين أوساط المثقفين الإسرائيليين من اليسار ومن اليمين، ونذكر على سبيل المثال تلك الضجة التي حدثت إثر نشر قصيدة - عابرون في كلام عابر – عام ١٩٨٨، حيث ترجمت إلى العبرية أكثر من مرة خلال أسابيع قليلة، أضف إلى ذلك التحليلات والتعليقات في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية([٣٦])ويمكن إجمال الاهتمام الجاد بترجمة شعر درويش إلى العبرية وذلك بما يأتي:

١- لمكانة درويش في العالم العربي, ولأن درويش أديب وسياسي في آن واحد - كما هو الأمر لحبيبي - ولكونه يتربع على المرتبة الأولى للشعراء, وهو مقبول دون منازع في العالم العربي والغربي.
٢- درويش هو رمز للفلسطينيين الذي لا جدال عليه. وفي نظر الإسرائيليين هو مواز لشاعر القومية اليهودية حاييم نحمان بيالك. إن مكانة درويش وأهميته فرضت على الكتاب الإسرائيليين ترجمة شعره. إن شعره يعبر عن أماني الشعب الفلسطيني، ووصف حالهم في المنفى.
٣- إن الكثير من أشعار درويش موجهة إلى القارئ الإسرائيلي. ونشير بهذا الصدد على سبيل المثال إلى " حالة حصار ". فدرويش خبير في إيصال ألم شعبه وجرح هذا الشعب إلى ضمير الآخر، ومن ثم قرع جدار ذلك الضمير، وجره إلى التماثل مع درويش وشعبه. وفي شعر درويش الكثير من الحوار بينه وبين الإسرائيليين من أجل التصالح. وبهذا أراد أن يحدث ثورة في وعي الإسرائيليين، وتحويل وعي الأفراد إلى وعي جماعات. ويجب ألا ننسى أن درويش دعا إلى السلام وأيد الحوار مع الإسرائيليين.
٤- الإسرائيلي – اليهودي له حضور مركزي في شعر درويش وفي الغالب هذا الحضور سلبي
٥- يعالج شعر درويش الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني المرير الذي أزهق أرواحا كثيرة من الطرفين، وتوجد بهذا الشعر إعادة نظر بالنسبة لهذا الصراع.
٦- شعر درويش في معظمه هو شعر احتجاج على ما حل بالفلسطينيين، ومن الجدير بالإسرائيلي أن يطلع على ماذا يحتج الفلسطيني، وماذا يؤلم الفلسطيني في المنفى وفي الداخل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه إلى جانب ترجمة شعر درويش نجد أيضاً عدداً غير قليل من الكتابات النقدية الإسرائيلية لإنتاجه.

([٣٥]) تالي، كوخابي: "محمود درويش الشاعر القومي والفلسطيني". بشوط سفروت، نيسان، ٢٠٠٨.
([٣٦]). ملحق هآرتس، ١٨. ٠٣. ١٩٨٨، ص ٥٦. ٢٥. ٠٣. ١٩٨٨، ص ٦٦
صحيفة معاريب، ١٥. ٠٣. ١٩٨٨، ص ٧. صحيفة يديعوت أحرونوت، ٢٩. ٠٣. ١٩٨٨، ص ١٧.
صحيفة دابار، ١٨. ٠٣. ١٩٨٨، ص ١٧.
S. 440-465. ٢٩ , ١٩٨٨ Prof. Neuwirth A. :Orient Nr.

الترجمات إلى العبرية:

- ذاكرة للنسيان – ترجمة سلمان مصالحة. إصدار شوكن، تل- أبيب، ١٩٨٩.
- الجدارية - ترجمة محمد حمزة غنايم. إصدار الأندلس، تل-أبيب، ٢٠٠٦.
- حالة حصار - ترجمة محمد حمزة غنايم – إصدار الأندلس، تل- أبيب، ٢٠٠٢.
- رسائل بين شطري البرتقالة – ترجمة حانة عاميت كوخابي، إصدار بيتوم، ٢٠٠٨.
- سرير الغريبة – ترجمة محمد حمزة غنايم. إصدار بابل، تل- أبيب، ٢٠٠٠.
- كزهر اللوز أو أبعد – ترجمة عوفرة بانجو وشموئيل رجولانط. إصدار بيتوم، ٢٠٠٨.
- لماذا تركت الحصان وحيدا- ترجمة محمد حمزة غنايم. إصدار الأندلس، ٢٠٠٠.

هذا فضلاً عن ترجمات لقصائد عديدة متفرقة.

ترجمة أدب إميل حبيبي:

إميل حبيبي هو الروائي الأول من بين العرب في إسرائيل الذي حصل على جائزة إسرائيل في الأدب عام ١٩٩٢، وهي أرفع جائزة أدبية تمنحها الدولة، وذلك لقيمة أدبه. وقد قبل حبيبي هذه الجائزة بفرح كبير, بالرغم من معارضة اليمين المتطرف لذلك، إلى جانب بعض أصوات النقد من العالم العربي والمعارضة لاستلام هذه الجائزة. لقد رأى حبيبي بهذه الجائزة انتصارا واعترافا به. جاء في قرار لجنة الجائزة إن حبيبي استطاع أن يطور جانراً \ جنساً أدبياً فريداً، وذلك عبر مزج أشكال وطرق كتابة عربية كلاسيكية مثل المقامات مع أفضل أساليب الكتابة الساخرة الأوروبية. كتابات حبيبي قبلت بوصفها جزءًا من الأدب العربي الحديث، وفي الوقت نفسه قبلت الترجمة العبرية بوصفها رافداً مغذ للأدب العبري. لا شك أن حبيبي كان سعيداً لترجمة أدبه إلى العبرية، ولقبوله عند القارئ الإسرائيلي، حيث رأى حبيبي بهذا جسراً لبناء علاقات جيدة بين الشعبين. لقد كان حبيبي صريحاً وصادقاً مع شعبه في طرح قضاياه، حيث ناقش هذه القضايا بجرأة ودون تملق أو خوف أو تردد أو تلعثم.

لاقى أدب إميل حبيبي اهتماماً كبيراً عند الأدباء والمثقفين والسياسيين الإسرائيليين، حيث دخل هذا الأدب إلى صالون الكثير من المثقفين العبريين وأحدث جدلا بين مؤيد ومعارض.

نحن نستطيع الإشارة إلى عدة أسباب أدت إلى ترجمة أدب حبيبي إلى العبرية والاهتمام به:

١- كون حبيبي سياسياً قبل أن يكون أديباً، حيث كان ينتمي إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي وشغل منصب عضو كنيست لسنوات عدة.
٢- أدب حبيبي يظهر الشرخ بين السياسة والأدب. وكما يقول حبيبي: "حامل بطيختين بيد واحدة " أي أن الربط بين الأدب والسياسة مهمة صعبة وغير ممكنة[٣٧].
٣- لأنه اختار أن يلعب في الملعب الإسرائيلي لكونه ثعلبا متمرداً كثير الحيل.
٤- أدبه يجسد بتفاصيله توثيقا مركباً، وهو هل العرب واليهود في البلاد يعيشون في عالم ثقافي واحد أم في عالمين منفصلين[٣٨].

([٣٧]) يئيره، جينوسار. (١٩٩٧). "سرايا بات هشيد هراع"، عيونيم بتكومات يسرائيل.
وأيضاً : حانه، عاميت كوخابي. "شني أبطيحيم بياد أحات"، عال-همشمار، 1991 .03 .27.
سلمان، مصالحة. "لاسيت شني أبطيحيم بياد أحات"، هآرتس، 1991 .05 .31.
([٣٨]) المصدر السابق، يئيره، جينوسار.

٥- لأن أدبه يبرز أدب الأقلية القومية، وشعور العزلة والتهميش، الذي تعيش فيه الأقلية العربية، ولما جرى من تبادل الأدوار ([٣٩]). وفي أدبه يحاول حبيبي ترميم شخصية العربي في إسرائيل، ومن ثم خلقها في هيكل جديد لتستطيع مواكبة المتغيرات والاستمرار في البقاء دون الذوبان.
٦- أدب حبيبي يمثل جنساً أدبياً جديداً (جانراً) وهو "الخرافية".

أدب حبيبي يبرز الدوامة التي يعيشها العرب في إسرائيل، حيث إنهم مواطنون ويجب عليهم الولاء للدولة من جهة، وبين الاغتراب وعدم الحصول على حقوق المواطنة الكاملة من جهة أخرى. لإنسان العربي في إسرائيل يحاول الامتزاج في الدولة، ولكنه اكتشف أن هناك بوابات كثيرة مغلقة أمامه تمنعه من تحقيق هذه الرغبة، وأن الدولة اليهودية غير متحمسة لمزجه داخلها([٤٠]). أدب حبيبي يؤدي في نهاية الأمر بالقارئ العبري إلى إلقاء أسئلة وإثارة الجدل، وإبداء نظريات واقتراح أجوبة. فضلاً عن كل ما سبق ذكره إلقاء الشك في المعلومات الموجودة لديه، والوقوف أمام حقيقة غير قابلة للتغيير.

أدب حبيبي يناقش وبجرأة، ودون تلعثم العلاقات اليهودية العربية في إسرائيل، ويوجه نقداً لاذعاً للمجتمع الإسرائيلي ومعاملته للأقلية العربية في إسرائيل، كما أن هذا الأدب يجسد الوجود العربي القديم في إسرائيل، ويجند القارئ لإمعان النظر فيما يجري حوله. من هنا فقد تحولت قراءة الأدب العربي الذي يكتب في إسرائيل إلى جزء من ثقافة الأكثرية.

إنّ كتابات إميل حبيبي رثاء مستمر، تثير الدهشة، وتضرب بالسوط، تمزق وتعزي في آن واحد. إنها رثاء على الوطن، على حيفا التي بقي شاهدا عليها. إنها ترجمة جراحة إلى لغة الآخر([٤١]).

لقد رأى حبيبي – بوصفه عضو كنيست وأديباً - أن مهمته الأولى هي النضال ضد التمييز القومي تجاه العرب في إسرائيل، ومن أجل المساواة في الحقوق. لقد قاوم سياسة السلطات الإسرائيلية دون هوان، ولكنه في النهاية فضل العيش تحت العلم الإسرائيلي على العيش في المنفى. برز حبيبي سياسياً معارضاً عنيداً، والممثل الرئيسي لضائقة العرب في إسرائيل. لقد كتب بسبب دافع أخلاقي وضميري. كتابات حبيبي هي وثيقة دفاع عن شعبه وعن الأقلية العربية التي بقيت في دولة إسرائيل. إنها وثيقة إدانة للسلطة. إن بقاء الإنسان في وطنه ليس بحاجة إلى تفسير أو مبررات([٤٢]).

لا شك أن الأدب العربي الذي كتب على يد الكتاب العرب الذين يعيشون في إسرائيل والذي ترجم إلى العبرية شكّل رافداً مغذيا لتزويد القارئ العبري بمعلومات قيمة عن وضع الأقلية العربية في إسرائيل. وقد أثار جدلاً كبيراً بين أوساط المثقفين والسياسيين الإسرائيليين. وكان له تأثير إيجابي لأنه وصف واقع العرب في إسرائيل وبعيون عربيه. ولم ير المثقف العبري بهذا الأدب أدب دعاية أو أدباً مجنداً كالأدب الذي كتب في العالم العربي، والذي هدف بعضه إلى تشويه صورة إسرائيل وصورة اليهود في المرآة. فالأديب العربي في إسرائيل - الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية -

(٣٩). حول هذا الموضوع ينظر: ألمصدر السابق، وشمعون، بلاص. (١٩٨٤). ألأدب العربي في ظل الحرب.
(٤٠). مصدر سابق :يئيرة، جينوسار.
(٤١). مصدر سابق :يئيرة، جينوسار.
(٤٢). مجلة إيرتس أحيرت، ٣٠. ٠٦. ٢٠٠٣. مجلة مفجاش، عدد ٥، ١٩٨٤، ص ١٨٦

وعبر لقائه اليومي المتواصل مع الإسرائيليين عرف المجتمع الإسرائيلي على حقيقته، وعن كثب ودون وسيط. وكان له أصدقاء كثر من اليهود، حيث جند الكثير من المثقفين اليهود وخاصة من المحاضرين في الجامعات الإسرائيلية إلى جانبه في الدفاع عن قضايا الأقلية العربية، وعن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، ونذكر على سبيل المثال " لجنة التضامن مع جامعة بير- زيت "، التي تشكلت إثر الإغلاقات المتكررة للجامعة من قبل سلطات الحكم العسكري، وقد مارست هذه اللجنة ضغوطا بأشكال مختلفة مما أدى إلى فتح أبواب الجامعة. وبهذا أراد حبيبي تحويل وعي الأفراد إلى وعي جماعات. من هنا فقد عرف الأديب العربي في إسرائيل التمييز بين المواطن اليهودي العادي وبين السلطة. وقد ميّز في كتاباته أيضاً بين إسرائيلي ويهودي وصهيوني. وفي الكثير من هذا الأدب كتب عن اليهودي الشرقي الذي هو أيضاً ضحية ممارسات السلطة بنظر الأديب العربي. لذا فقد جاءت كتاباته موضوعية، ووجدت قبولاً عند القارئ الإسرائيلي. وفي هذا المجال يعلق البروفسور ساسون سوميخ على ترجمة رواية " المتشائل" إلى العبرية: إنه بالرغم من عدم وجود شخصية يهودية واحدة مقبولة في الرواية، مع ذلك تمت ترجمتها وقبولها لدى القارئ الإسرائيلي، وتركت الانطباع المناسب، وغيّرت لدى الكثير من القراء وجهات نظر معينة ([٤٣]).

الترجمات إلى العبرية:

- اخطية - ترجمة أنطون شماس. إصدار عام عوبيد، تل أبيب، ١٩٨٨.
- المتشائل - ترجمة أنطون شماس. إصدار هكيبوتس هميئوحاد، تل أبيب، ١٩٨٤.
- سداسية الأيام الستة – ترجم يوسف جبعوني بعض القصص وصدرت في كتاب " مكوم عال بني هأدمه ". إصدار هكيبوتس هميئوحاد، تل-أبيب، ١٩٨٦.
- سرايا بنت الغول – ترجمة أنطون شماس، ١٩٩٣. هذا فضلاً عن ترجمة نصوص متفرقة

الخاتمة:

ترجمة أدب شعب ما إلى لغة شعب آخر هي أمر في غاية الأهمية، وضرورة حياتية من أجل التعرف إلى ما يدور في ساحة الآخر. هذه الترجمات-عادة- تأخذ زخما قويا في ظل الصراع بين الشعوب من منطلق " اعرف عدوك ". الصراع الإسرائيلي –الفلسطيني المرير، الذي أزهق أرواحا كثيرة من الجانبين أدى إلى اهتمام كل طرف بالإنتاج الفكري للطرف الآخر، ولا سيما الأدب. من هنا جاءت الترجمات المتبادلة. إن ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية لها أهمية كبرى، ليس من منطلق المقولة " اعرف عدوك "، بل من أجل تعريف القارئ العبري بما يشعر ويفكر ويحلم الإنسان الفلسطيني، وبعيون فلسطينية، الأمر الذي يقود الكثير من القراء الإسرائيليين إلى رؤية صورتهم في المرآة، ومن ثم إجراء مقارنة بما لديهم من معلومات مع المعلومات الجديدة التي اكتسبوها عبر النص الفلسطيني المترجم، ومن ثم سيأتي اكتشاف الذات واكتشاف الآخر. إن اكتشاف الذات يؤدي في كثير من الأحيان إلى قرع جدران ضمير الذات وجلده. من هنا سيتحول وعي الأفراد إلى وعي جماعات. هذا هو دور الأدب وفعاليته في فتح آفاق جديدة أمام القارئ، ودفعه إلى التفكير بطريقة أخرى، ومن ثم فهم الآخر حتى لو كان عدوا، وربما التماثل معه. بهذا

([43]) ..مجلة مفجاش، عدد ٥، ١٩٨٤، ص ١٨٦

تكمن قوة الكلمات. فالكلمات كالرصاص تقتل وتداوي وتحزن وتفرح وتبكي وتضحك وتعزي وتواسي في آن واحد. أظهر البحث بشكل جازم، ومن أفواه إسرائيلية مدى تأثير النص الأدبي الفلسطيني المترجم على القارئ الإسرائيلي، وبهذا تكمن مقدرة الأدب والأديب، حيث إن الأديب يتسلح بصوته وبقلمه وبأوراقه، وليس بالبندقية. لكن يجب أن نعي أن الأدب وحده ليس بمقدرته تغيير العالم.

المراجع

١. إيان، مكيبان (٢٠٠٣). كباراه. تل-أبيب. (ترجمة عن الإنجليزية).
٢. الطاهر، لبيب (١٩٩٩). صورة الآخر- العربي ناظرا ومنظورا إليه. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
٣. جورج، أوربيل (٢٠٠٥). متاحت لآف شلخا. دبير. تل أبيب. (ترجمة من الإنجليزية)
4. شمعون، بلاص (١٩٨٤). ألأدب العربي في ظل الحرب. تل – أبيب.
שמעון ,בלס. (1984) הספרות הערבית בצל המלחמה,תל-אביב.
٥. شكري، عبد المجيد (٢٠٠٤). فن الترجمة الإعلامية في وسائل الإتصال الجماهيري، دار الفكر العربي، ألقاهرة.
6. عادي، تسيمح (١٩٩٥). سيفروت كميتابيخ لديموكراتيه- كترسيس، تل- أبيب. עדי,צמח,(1995),ספרות כמתווך לדימוקרטיה,קתרסיס –אביב.
٧. غانم، مزعل (١٩٩٤). وثيقة دفاع أم وثيقة إدانة - الترجمات الأدبية من العربية إلى العبرية ومن العبرية إلى العربية أوغسبورغ – ألمانيا.
٨. نوسباوم (٢٠٠٣). تسيدك بوئيتي، جامعة حيفا. (ترجمة عن الإنجليزية)
מרתה,נוסבאום,(2003),צדק פואיטי,אוניברסיטת חיפה.
٩. جمال، الرفاعي (١٩٩٤). أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني المعاصر. دار الثقافة الجديدة. ألقاهرة.
١٠. معين، بسيسو (١٩٧٠). نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة، ألهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر. ألقاهرة.
١١. يهوشفاط، هركابي (١٩٧٥). سخسوخ عراب يسرائيل برئي هسفروت هعربيت. فان لير. القدس.
١٢. صحيفة الحياة اللندنية ٢٠٠٩-١٠-٠٩
١٣ . حانه، عاميت كوخابي (٢٠٠٣). مجلة "جماعة"، جامعة بئر- السبع.
חנה,עמית- כוכבי. (2003). כתב-עת " גמאעה " אוניברסיטת באר-שבע.
14. حانه، عاميت كوخابي. "شني أبطيحيم بياد أحات". عال همشمار 1991 .03 .27.
חנה,עמית-כוכבי. "שתי אבטיחים ביד אחת" על-המשמר 27. 03. 1991.
١٥. سلمان، مصالحة. "لاسيت شني أبطيحيم بياد أحات". هآرتس 1991 .05 .31.
סלמאן,מסאלחה. "לשאת שני אבטיחים ביד אחת ",הארץ 31. 05. 1991.
١٦. غانم، مزعل (٢٠٠٧). "دور الترجمة في معرفة الآخر"، مؤتمر الترجمة في حوار الحضارات، جامعة النجاح الوطنية، نابلس. ص ١١٠- ١١٣.
١٧. يئيره، جينوسار (١٩٩٧). "سرايا بات هشيد هراع"، عيونيم بتكومات يسرئيل. جامعة بن – غوريون، بئر- السبع.
יאירה,גינוסר. (1997). "סראיא בת השד הרע " עיונים בתקומת ישראל,אוניברסיטת בן-גוריון,באר-שבע.
١٨. يئيره، جينوسار (١٩٩٦). "هبريحاه وهنيشك"، عيتون ٧٧، شهر أيار.
יאירה,גינוסר. (1996). הבריחה והנשק",עיתון 77,חודש מאי
١٩. مجلة مفجاش. عدد (٥). ١٩٨٤
٢٠. مجلة الكرمل. عدد (٥٢). ١٩٩٧
٢١. محمد فؤاد، السلطان (٢٠١٠). الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر درويش. مجلة جامعة الاقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)، ألمجلد ١٤، العدد الأول، ص ٣٦-١.
Neuwirth A. : Orient Nr. 29 1988 S. 440-465. 22

****

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ١٥-٣٠

المؤشّـرات الأمنيـّة والعسكـرية في المعـلقـات العشـر

محمد سعد محمد أحمد *(*)*

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المؤشّرات الأمنية والعسكرية في المعلّقات العشر؛ ممّا قد يعطي صورة وتصوراً لما كان عليه العصر الجاهلي في هذا الجانب ؛ لأنّ الشعر يعكس طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وما يتعلق بها جميعاً للعصر الذي نُظم فيه ، فأحببت أن أضع القارئ الكريم عند الوضع الأمنيّ والعسكريّ للجاهليين حسب ما ورد ذكره في المعلّقات العشر ؛ فلعلّنا نستشفّ من وراء ذلك المؤثّرات الأمنيّة والعسكريّة التي أثّرت سلباً في أحيانٍ كثيرةٍ وإيجاباً حيناً آخر علي حياة الفرد والجماعة من الجاهليين واستقرارهم وحياتهم الكريمة. ولعلّ من نافلة القول التنويه إلى أنّ القبيلة كثيراً ما كانت هي المحرك الأساسي لهذه المؤشّرات الأمنيّة والعسكريّة باعتبارها السلطان السياسيّ الحاكم في ذلك الزمان ، فبتعليماتها تُشنّ الحروب والغارات، وبأوامرها يُقام الصلح وتُبرم المعاهدات. وسوف نجد أنّ ورود هذه المؤشرات الأمنيّة والعسكريّة في المعلقات العشر كثيراً ما تأتي في إطارها القبلي إظهاراً لقوة القبيلة وشدّة مراسها في القتال وبيان تسليحها ودقة خططها الحربية إلى غير ذلك، ونادراً ما نجد المؤشر الأمنيّ أو العسكريّ يأخذ النزعة الذاتية كما هو الحال عند عنترة وأمرئ القيس والنابغة.

الكلمات المفتاحية : المؤشرات ، العصر الجاهلي ، الأمنيّة ، القبيلة ، العسكرية ، المعلّقات .

Security and military indicators in the ten great Arabian epic poems: Almowalga Atalashar

Mohammad Saad

Abstract: *The present study targets at demonstrating salient aspects of the military and security life during pre –Islamic era as introduced in the ten great Arabian epic poems* ***(almowalg aatalashar).*** *Since poetry reflects the true essence of the political, social and cultural life, the researcher chooses to consider different military situations which impinged on constancy of the Arabians throughout the period of pre Islamic age. Needless to say that, the tribe was considered to be the most ever dominating power in the Arabian life. According to its rules, regulations and instructions the war was declared, disputes were settled and peace agreements were assigned. As it will be shown, many of these military and security indicators which presented in Arabian epic poetry for the duration of the pre Islamic era can only be viewed within the broad context of the tribe itself to manifest the military force of the tribe and accuracy of its war plans Furthermore, it is very rarely to find these indicators take self-nature tendency or trend as for those pomes written by (Antarra),(Ammroalgays) or (Alnabeegha). All of these will be the major concern of this study.*

Keywords: Indicators, Pre –Islamic era , Security , The tribe, Military, Arabian epic (Almowalgaat).

(*) أستاذ النحو والصرف المساعد ، قسم اللغة العربية ، كلية العلوم والآداب برنية - جامعة الطائف ، المعار من قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة الخرطوم . mohammedahamed36@yahoo.com.

المقدمة:

تحمل آداب الشعوب في مختلف أرجاء المعمورة كثيراً من سير وأخبار العهد الذي نُظمت فيه، سواءً أكانت سياسيةً أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية أو غيرها.

والأدب العربيّ في أوّلياته لم يكن استثناءً من ذلك ، فقد حوى كثيراً من الأخبار والمعلومات عن العرب قديماً ، فروى كثيراً من أخبار أنسابهم ومعاشهم وتقاليدهم ومناطقهم وحروبهم وصلحهم ومنافراتهم وأيّامهم وغير ذلك.

ويُعد الأدب الجاهليّ ذروة سنام الأدب العربي ، وانعكست فيه كثيرٌ من الأخبار والأحداث التي وقعت في الحقبة التي نُظم فيها والحقب التي سبقتها ؛ لذلك عدّه من أرّخ لهذه الفترة مصدراً رئيساً لمعلوماته ، فضلاً عن أنّه وعاءٌ موثوقٌ به . والشعر الجاهليّ ضمّ القسط الأعظم من هذه الروايات والأخبار أكثر من النثر لكثرته الناتجة عن سهولة حفظه ولارتباط بعضه ببعض هذه الأحداث والأخبار ارتباطاً مباشراً.

وتعتبر المعلّقات من أعظم ما خلّف العصر الجاهليّ من شعر من حيث الطول ومتانة الأسلوب والتعبير ؛ لذلك كانت لها قيمتها العظيمة في معرفة أخبار الجاهليين في معاشهم وحلّهم وترحالهم وأنسابهم وحروبهم وسلمهم ومناطقهم وغير ذلك.

وقد ارتبطت بعض هذه المعلّقات بأحداث تاريخيّة ارتباطاً مباشراً كمعلقة زهير بن أبي سلمى المرتبطة بالحروب بين عبس وذبيان ، ومعلّقة عمرو بن كلثوم المرتبطة بخلاف الزعيم التغلبي شاعر المعلّقة مع الملك عمرو بن هند ملك الحيرة الذي لقي حتفه جرّاء ذلك.

وقد أحببت في هذه العجالة أن أتتبع جزءاً مهماً في المعلّقات مرتبطاً بالأحداث التاريخيّة في الحرب والسلم ، وهو مسألة الملامح الأمنيّة والعسكريّة في هذه القصائد عسى أن يُعطي ذلك تصوراً لما كان الجاهلي من حسّ أمنيّ وعسكريّ أعانه على استباق عظائم الأمور وتأمين قبيلته وعشيرته ، أو الوصول إلى نصر ما جرّاء ذلك.

وقبل الخوض في أعماق شعر المعلّقات أمنيّاً وعسكريّاً يتعيّن تقديم نبذة مُوجزة عن حياة الجاهليين ومجتمعهم ، والشعر الجاهليّ وحدوده وموضوعاته ، والمعلّقات وشعرائها ، واختلاف بعض مؤرخي الأدب حولها وحول شعرائها .

أوّلاً: نبذة عن المجتمع الجاهلي في جزيرة العرب:

تُطلق كلمة الجاهليّة من حيث كونها اسماً على الفترة التي سبقت الإسلام ، أمّا من حيث أنّها صفةٌ ــ وهذا هو الأصل فيها قبل أن تصير اسما على تلك الفترة ــ فتطلق على كلّ مناف ومخالف للحقّ ؛ لذلك يمكن أن يُوصف بها بلد غير إسلاميّ ، ويُوصف بها الشخص قبل أن يُسلم ، وقد يُوصف بها شخص مسلم حين تُوجد فيه صفات الجاهليين ؛ فهو جاهليّ وإن كان من أهل الإسلام بدليل قوله صلّى الله عليه وسلّم : (أربع في أمّتي من أمر الجاهليّة لا يتركونهنّ ، الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة)[1].

[1] انظر في تاريخ الأدب الجاهليّ ــ علي الجندي، طبعة مكتبة دار التراث، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م، ص٩.

فالعرب قبل الإسلام كانوا جاهليين في زمن جاهليّ، وهم كانوا جاهليين أي: غير متبعين لما يقتضيه الحقّ والعلم ، ولم يكونوا جاهليين جهلاً يُنافي العلم ــ على أرجح الأقوال ــ فقد ثبت أنّهم كانوا أهل ذكاء ودراية وخبرة، وكانت فيهم أذهان صافية ، ونظرات صادقة في الطبيعة وأحوال الإنسان بما لا يقلّ عن بعض نظرات الفلاسفة والباحثين والمفكرين، وما رُوي من شعرهم كامل النُّضج يدلّ على صفاء نفوسهم وسعة خيالهم وتفكيرهم وأذواقهم [٢].

والمجتمع الجاهليّ كانت القبيلة عماد تكوينه وهي تُعدّ الوحدة السياسية التي يجتمع حولها الناس في ذلك الزمن ، وتُسيّر أمورهم في سلمهم وحربهم وحلّهم وترحالهم وغير ذلك.

والقبيلة في الجاهلية تتألف من ثلاث طبقات : أبناء القبيلة وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها ، والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبيّة المجاورة ، والموالي وهم عتقاؤها ، ويدخل فيهم الخُلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم [٣].

وكان أفراد القبيلة متضامنين أشدّ ما يكون التضامن ، وتذوب شخصية الفرد في الجماعة ، وتطغى روح الجماعة على النزعة الفردية ، ونتجت عن ذلك روح العصبيّة وما يتبعها من ثأر وجوار وغير ذلك [٤].

أمّا من حيث سُبل المعيشة فلم يكن العرب الجاهليون يعيشون في الجاهلية معيشةً واحدةً ؛ فقد عُرفت الزراعة في الجنوب والشرق وواحات الحجاز مثل يثرب وخيبر والطائف ووادي القرى، وعاش أهل مكة على التجارة ، في حين كانت الغالبية من العرب الجاهليين يعيشون على رعي الأنعام والأغنام وحياة البداوة في تهامة ونجد وصحراء النفود وبوادي الشام والدهناء والبحرين، وكانت حياتهم قاسية تُحيطها كثيرٌ من المخاطر؛ إذ كان بعضهم يتربص ببعض ، فتتحول حياتهم في بعض الأحيان إلى حروب دامية ، بل أنّ هذه الحياة الدمويّة قد تتحول في بعض الأحيان إلى وجه من وجوه الرزق ؛ إذ كانوا يتخذون الغزو وسيلة من وسائل كسب العيش [٥].

وسوف ترد بعض الوقفات مع هذه الحروب والمؤشرات الأمنية والعسكرية فيها من خلال شعرهم في المُعلّقات.

ثانياً: نبذة عن الشعر الجاهليّ:

يُعدّ الشعر الجاهليّ ذروة سنام الشعر العربيّ، من حيث متانة الأسلوب وجودة اللَّغة وعمق الخيال والفكرة وحسن السباكة في النظم، وهو فوق هذا وذاك ديوان العرب وحافظ تاريخهم وسيرهم وأخبارهم في تلك الفترة.

---

[٢] انظر في تاريخ الأدب الجاهليّ ــ علي الجندي , ص٩.
[٣] انظر تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ــ د. شوقي ضيف , طبعة دار المعارف , ص٦٧.
[٤] انظر الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً ــ د. عفيف عبد الرحمن , طبعة دار الفكر للنشر والتوزيع , ط١ , ١٩٨٧م , ص١١.
[٥] انظر تاريخ الأدب العربيّ (العصر الجاهليّ) ــ د. شوقي ضيف , ص٧٦ ــ ٧٨.

وينبغي أن نعلم أنّ الشعر الجاهليّ لا يُتوسع به تاريخيّاً في كلّ هذه الفترة التي سبقت الإسلام، بل أنّ المُؤرّخين للأدب يعتقدون أنّه نُظم في الفترة التي سبقت الإسلام بمائة وخمسين عاماً أو مئتي عام، يقول الجاحظ:(وأمّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ، أوّل من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة.....، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ــ إلى أن جاء الله بالإسلام ــ خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)[٦].

وقد وصل إلينا الشعر الجاهليّ عبر مصادر متعددة منها كتب المُنتخبات العامة، والدواوين المُفردة للشعراء وتلك الخاصة بالقبائل، إضافة إلى كتب الطبقات والتراجم وكتب التاريخ واللّغة[٧].

وتضمّ كتب المنتخبات العامة المُعلّقات باختلاف رواياتها وشُرّاحها، كما تشمل المفضّليات التي جمعها المفضّل الضبّي، والأصمعيّات لصاحبها الأصمعي، وجمهرة أشعار العرب لإبي زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، وهناك مختارات ابن الشجري ودواوين الحماسة مثل حماسة أبي تمّام والبحتري وابن الشجري [٨].

أمّا دواوين الشعراء فنجد فيها دواوين معظم الشعراء الجاهليين كامرئ القيس وزهير والنابغة وطرفة وعنترة وعلقمة والأعشى وغيرهم. أمّا الدواوين الخاصة بالقبائل التي عُني بجمعها أبو عمرو الشيباني وجمع منها نيفاً وثمانين ففُقدت في الطريق، ولم يبق منها إلّا قطع من ديوان هُذيل [٩].

ومن كتب الأنواع الأخرى التي عُدّت من مصادر الشعر الجاهلي طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام الجُمحي والنقائض لأبي عبيدة معمر بن المثنى والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ والكامل للمبرد والشعر والشعراء لابن قتيبة وغيرها كثير [١٠]. وسنحاول الوقوف قليلاً فيما يأتي عند واحد من أهمّ هذه المصادر وهو المُعلّقات.

ثالثاً: المُعلقات وشعراؤها:

المُعلّقات هي قصائد طوال اُختيرت واعتبرت من نفائس الشعر الجاهليّ متانةً وقوة أسلوب وحسن سباكة وجودة لغة.

وقد عظّمت العرب المُعلّقات ورفعت شأنها، ويُروى أنّهم كتبوها وعلّقوها على أستار الكعبة المُشرفة ومن هنا أتت التسمية، ولكنّ بعضهم أنكر هذا الزعم، وذهب إلى أنّها سُمّيت بذلك (المعلّقات) ومعناها المُسمّطات والمُقلّدات والمذهّبات؛ فقد كانوا يسمون قصائدهم الطويلة الجيدة على هذا النحو وما يشبهه، وقيل بل التسمية آتية من كلمة (العلق) بمعنى النفيس [١١].

---

[٦] الحيوان ــ الجاحظ، طبعة دار الكتب العلميّة، ط٢ ، بيروت ١٤٢٤هـ، ج١ ص ٥٢ ــ ٥٣.
[٧] انظر تاريخ الأدب العربيّ (العصر الجاهليّ) ــ د. شوقي ضيف، ص ١٧٦.
[٨] انظر تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهليّ) ــ د. شوقي ضيف , ص ١٧٦ ــ ١٧٩.
[٩] انظر المرجع السابق، ص ١٨٠.
[١٠] انظر المرجع السابق نفسه، ص ١٨١.
[١١] انظر المرجع السابق نفسه، ص ١٤٠،وص ١٧٦.

كما رُوي أنّها سُمّيت بذلك لعلوقها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرؤوسيهم ورؤسائهم لشدّة عنايتهم بها. وقيل بل سُمّيت بذلك لأنّ الملك إذا استجاد قصيدةً لشاعر يقول:(علّقوا لنا هذه) لتكون في خزائنه [١٢].

وأيّاً كان الاختلاف في سرّ التسمية فإنّ المُعلّقات من أنفس الشعر الجاهليّ وأعظمه. وكما اختلف العلماء في تسميتها اُختُلف قليلاً في بعض شعرائها؛ فأصحاب المُعلّقات السبع عند حمّاد الراوية هم: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو ابن كلثوم، وعنترة بن شدّاد العبسي، والحارث بن حلّزة. في حين نجد أنّ المُفضّل الضبّي يحذف منهم عنترة والحارث، ويضع مكانهما النابغة الذبياني والأعشى. وهنالك بعض الروايات تجعل شعراء المعلّقات تسعةً جامعةً بين الروايتين آنفتي الذكر. وجعل الخطيب التبريزي المُعلّقات عشراً مُضيفاً إلى قصائد من كان في الروايتين قصيدة عبيد بن الأبرص التي مطلعها[١٣]:

أقفر من أهله ملحوب **** فالقطّبيّات فالذنوب [١٤]

وسوف نأخذ برأي الخطيب التبريزي في مناقشة أمر المؤشرات الأمنيّة والعسكرية في المعلّقات ؛ لأنّه جامعٌ ويُغنينا من الانحياز إلى رواية معيّنة من الروايتين السابقتين.

وقد خالف محمد بن أبي الخطّاب القرشي صاحب كتاب (جمهرة أشعار العرب) كثيرين من الرواة غيره في تحديد مُعلقتي النابغة والأعشى؛ فقد زعم أنّ معلّقة النابغة القصيدة التي مطلعها [١٥]:

عُوجوا فحيّوا لنُعم دمنة الدار *** ماذا تحيّون من نُؤي وأحجار

وأورد للأعشى معلّقةً قصيدته التي مطلعها [١٦]:

ما بُكاء الكبير بالأطلال *** وسُؤالي وما تردُّ سؤالي

في حين يرى كثيرون من العلماء والرواة غيره كالتبريزي والأعلم الشنتمري والنحاس وابن الأنباري أنّ معلّقة النابغة هي القصيدة التي مطلعُها [١٧]:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند *** أقوت وطال عليها سالف الأبد

كما ترى الكثرة من العلماء والرواة أيضاً أنّ معلّقة الأعشى هي القصيدة التي مطلعها [١٨]:

---

[١٢] انظر تاريخ الأدب الجاهلي ـ علي الجندي، ص١٥٣ ــ ١٥٦.
[١٣] انظر في تاريخ الأدب الجاهلي ـ علي الجندي، ص ١٥٣ ــ ١٥٤.
[١٤] اقفر: خلا، ملحوب: ماء لبني أسد بن خزيمة وقيل: هي قرية باليمامة، القطّبيّات: اسم جبل، الذنوب: اسم موضع معين.
[١٥] انظر جمهرة أشعار العرب ـ أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البخاري، طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٨٣.
[١٦] انظر المصدر السابق، ص ٢٠٢.
[١٧] انظر شرح المعلّقات التسع ـ المنسوب لأبي عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ص ٨٤.
[١٨] انظر شرح المُعلّقات العشر ـ الزوزني: القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٣١٣.

ودّع هريرة إنّ الركب مُرتحل *** وهل تُطيق وداعاً أيُّها الرجل

وسوف نعتمد على ما ذهب إليه رأي الأغلبيّة في نقاش موضوع المُؤشرات الأمنيّة والعسكريّة في المُعلّقات؛ وذلك باعتماد القصيدتين المُشار إليهما آنفاً مُعلّقتين للنابغة والأعشى.

رابعاً: المُؤشّرات الأمنيّة والعسكريّة في المُعلّقات:

ما من شكّ في أنّ الأمن ضرورةٌ من ضرورات الحياة؛ فبوجوده تستقرّ، وتحدث التنمية والعيش الكريم، ويبلغ الإنسان مقاصده في حياته، ويسير في تحقيق مآربه هذه مطمئناً يمشي بخطى ثابتةٍ.

والضرورات الأمنيّة التي تحققّ السكينة والاستقرار والعيش الكريم احتاج إليها الإنسان منذ القدم. والمجتمع الجاهليّ ـ الذي تُمثل القبيلة الوحدة السياسية فيه ـ كان في حاجة إلى الأمن والاستقرار، وإن حدث ذلك ربّما نجت نفوس كثيرة من القتل والتشريد وقساوة العيش وعدم الاستقرار، وربّما اختفت ثقافة الإغارة والهجوم على الآخرين دون وجه حقّ والثأر والنهب والسلب.

وقد حاولت الوحدة السياسيّة في ذلك الزمن المُتمثلة في القبيلة أن تُخففّ من واقع عدم الاستقرار الأمني المُستحكم وقتذاك ؛ من خلال السعي في الصُلح وإبرام المعاهدات والتحالفات، ولكنّها لم تستطع أن تُحدث الاستقرار المأمول في ذلك المجتمع؛ لأنّ ثقافة العصبيّة والثأر والإغارة والقتل ونحوها متغلغلةٌ في عقليّة الجاهليّ، بل في عقليّة بعض القبائل؛ لذلك اتسم العصر بعدم الاستقرار والخوف وشظف العيش وقساوته.

وسوف تأتي السطور القادمة محاولةً النظر في الإشارات الأمنيّة والعسكريّة الواردة عن ذلك عند شعراء المُعلّقات العشر بصرف النظر عن الوجهة والطريقة التي وردت بها والموضع الذي وردت فيه.

وأوّل من سنقف عنده في تتبع ورود المُؤشّرات الأمنيّة والعسكريّة في المعلّقات هو شيخ شعراء الجاهليّة وإمامهم امرؤ القيس بن حجر، ولكنّنا سنجد أنّ هذه المؤشّرات لم ترد في معلقته بكثرة، ولا نكاد نجد له في ذلك إلّا بيتاً واحداً نلمس فيه مؤشّراً أمنيّاً، وذلك حين يصف لنا تجاوزه للحراسة المضروبة على دار محبوبته في ذلك الوقت المتأخر من الليل حين يقول[١٩]:

تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً *** عليّ حراصاً لو يُسرّون مقتلي

إذا ما الثريّا في السماء تعرّضت *** تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

[١٩] انظر ديوان امرئ القيس ـ امرؤ القيس بن حجر، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، ط ٢، بيروت ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤م، ص ٣٦.

أمّا طرفة بن العبد فوردت في معلّقته إشارات أمنيّة عدة، منها إغاثة المستغيث وتقديم العون له، حين جعل ذلك ضمن ثلاث خصال هي من صفات الفتى الكريم، ولولاها لما تمنّى الحياة؛ إذ يقول في ذلك [٢٠]:

ولولا ثلاث هُنّ من عيشة الفتى *** وجدّك لم أحفل متى قام عُوّدي

ثمّ يقول في الخصلة الثانية وفيها إيراد إغاثة المستغيث:

وكرّي إذا نادى المضاف محنّبا *** كسيد الغضا نبّهته المتورّد[٢١]

ويدلف طرفة في موضع آخر من معلّقته إلى الحديث عن حمايته عرض ابن عمّه حين تحدث الأخطار العظيمة وتُوضع الخطط للدفاع عن الأعراض، وهو يُبادر الأعداء بالقتل والتنكيل إن هم فقط أساؤوا القول فيه، فيعجّل لهم الموت قبل تهديدهم بالقول؛ فيقول في كلّ ذلك [٢٢]:

وإن أُدع للجُلّي أكن من حماتها *** وإن يأتك الأعداء بالجهد أُجهد [٢٣]

وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم *** بكأس حياض الموت قبل التهدّد [٢٤]

كما يُصوّر طرفة في موضع آخر من المُعلّقة حبسه لنفسه عن القتال حمايةً للحوذة والدفاع عن الحريم ودفع الذمّ عن الأحساب ، وهو موضع يخشى فيه الفتى الكريم على نفسه ويعتريه الخوف والهلع وترتعد فرائصه، فيقول [٢٥]:

ويوم حبست النفس عند عراكه *** حفاظاً على عوراته والتهدّد [٢٦]

على موطن يخشى الفتى عنده الرّدى *** متى تعترك فيه الفرائص ترعُد [٢٧]

أمّا المُؤشّرات الأمنيّة في معلّقة زهير بن أبي سلمى فتأخذ منحىً آخر؛ إذ نجد فيها دعوةً إلى السلم والأمن، وضرورة الحفاظ عليهما وعدم المبادرة بالأفعال التي تدعو للعودة إلى الحرب، ولا غرابة في ذلك؛ إذ أنّ المعلّقة نُظمت لغرض مدح السيدين هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين أبرما الصُلح بين قبيلتي عبس وذبيان؛ فحذّر زهير في ثنايا ذلك من العودة إلى تلك الحرب، وأمّن على ضرورة الالتزام ببنود الاتفاق؛ إذ يقول[٢٨]:

ألا أبلغ الأحلاف عنّي رسالةً *** وذبيان هل أقسمتم كلّ مُقسم

---

[٢٠] انظر ديوان طرفة ـ طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلميّة، ط ٣، ص ٢٥.

[٢١] الكرّ: العطف، المضاف: الخائف المذعور، المُحنّب: الذي في يده انحناء، السيد: الذئب، الغضاء: شجر.

[٢٢] انظر شرح المعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ١١٧.

[٢٣] الجلّي: من الأجل وهي الخُطّة العظيمة.

[٢٤] القذع: الفُحش.

[٢٥] انظر ديوان طرفة ـ طرفة بن العبد، ص ٢٩.

[٢٦] العراك: القتال

[٢٧] الرّدى: الهلاك، الفرائص: جمع فريصة وهي لحمة عند مجمع الكتف ترتعد عند الخوف.

[٢٨] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ أحمد الأمين الشنقيطي، طبعة دار النصر للطباعة والنشر، ص ٩١.

فلا تكتُمُنّ الله ما في نفوسكم *** ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخّر فيوضع في كتاب فيُدّخر *** ليوم الحساب أو يُعجّل فيُنقم

وإمعاناً منه في التحذير من نقض الاتفاق والتخويف من ذلك ذكّر بالحرب وشرورها الكثيرة وما تُنتجه من خراب ودمار، فقال [٢٩]:

وما الحرب إلّا ما علمتم وذقتمُ *** وما هو عنها بالحديث المُرجّم [٣٠]

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً *** وتضر إذا ضريتموها فتضرم [٣١]

فتعرككم عرك الرحى بثفالها *** وتلقح كشافاً ثمّ تُنتج فتُتئم [٣٢]

فتُنتج لكم غلمان أشأم كلّهم *** كأحمر عاد ثمّ تُرضع فتفطم [٣٣]

فتغلل لكم ما لا تُغلّ لأهلها *** قُرىً بالعراق من قفيز ودرهم [٣٤]

وإذا انتقلنا إلى لبيد بن ربيعة العامري وجدنا هذه المُؤشّرات الأمنيّة والعسكرية في مُعلّقته تأخذ منحىً فيه بعض ما يُشبه وضع الخطط العسكريّة والأمنيّة في أخذ مواضع القتال؛ فنجد في أبياته التالية تصويره لحماية قبيلته عندما تحمله وسلاحه فرسٌ سريعةٌ يتوشّح بلجامها إذا نزل منها ليكون متهيئاً لركوبها، ثمّ نراه بعد ذلك يذكر أنّه عند حماية الحيّ يأخذ مكاناً مرتفعاً قريباً من الأعداء ورياتهم؛ إذ يمكّنه ذلك من الرُؤية الجيّدة ــ وهذه الناحية معروفة في الخُطط العسكريّة اليوم ــ فيقول في كلّ ذلك [٣٥]:

ولقد حميتُ الحيّ تحملُ شكّتي *** فُرطٌ، وشاحي إذ غدوتُ لجامها [٣٦]

فعلوتُ مُرتقباً على ذي هبوةٍ *** حرجٍ إلى أعلامهنّ قتامها[٣٧]

ثمّ يقول بعد ذلك: حتّى إذا غربت الشمس وأظلم الليل نزلت من المكان المُرتفع، وأتيتُ مكاناً سهلاً، وانتصبت الفرس أي: رفعت عنقها كجذع نخلة طويلة عالية لا يستطيع من أراد قطع حملها أن يرتقي إليها، فيقول [٣٨]:

حتّى إذا ألقت يداً في كافر *** وأجنّ عورات الثغور ظلامها [٣٩]

---

[٢٩] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ــ الشنقيطي، ص ٩١ ــ ٩٢.
[٣٠] المُرجّم: غير المُستيقن.
[٣١] تضرى: تشتعل، ضريتموها : بعثتم الحرب وأشعلتم نارها.
[٣٢] ثفال الرحى: الجلدة التي تُبسط ليقع فيها الدقيق، اللقح: الحمل، الكشاف: أن تُلقح النعجة مرتين في السنة، تُتئم: تلد توأمين.
[٣٣] أحمر عاد: أحمر ثمود وهو عاقر الناقة واسمه قدّار بن سالف.
[٣٤] أغلّت الأرض: كانت لها غلّة،
[٣٥] انظر ديوان لبيد ــ لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمد وطمّاس، الناشر: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م، ص١١٤.
[٣٦] شكّتي: سلاحي، فُرُطٌ: فرسٌ سريعةٌ.
[٣٧] المرتقب: المكان المرتفع، الهبوة: الغُبرة، الحرج: الضيّق جدّاً، الأعلام: الجبال والرايات، القتام: الغبار.
[٣٨] انظر ديوان ربيعة ــ لبيد بن ربيعة، ص ١١٤.

أسهلت وانتصبت كجذع مُنيفة *** جرداء يحصرُ دونها جرّامًها [٤٠]

وحين ننتقل إلى مُعلقة عمرو بن كلثوم المنظومة لغرض الفخر بقومه وبطولاتهم نجد شاعرها يُكثر فيها من إيراد المؤشرات العسكرية المتصلة ببراعتهم في القتال وشجاعتهم، وأوّل ما يبدأ به في ذلك قوله [٤١]:

قفي قبل التفرّق يا ظعينا *** نُخبّرك اليقين وتُخبرينا [٤٢]

بيوم كريهة ضرباً وطعناً *** أقرّ به مواليك العيونا[٤٣]

وليمعن في إبراز شدّة مراسهم وبأسهم في القتال نراه يقول مخاطباً عمرو بن هند قتيله [٤٤]:

أبا هند فلا تعجل علينا *** وأنظرنا نُخبّرك اليقينا

بأنّا نورد الرّايات بيضاً *** ونُصدرهنّ حُمراً قد رُوينا

ونجده في كثير من أبيات المعلّقة يسير على هذا المنوال من إظهار شدّة البأس لدرجة تصل به أحياناً لأن يجعل قتالهم لأعدائهم كأنّه رحىً تطحن كلّ ما تمرّ عليه؛ إذ يقول [٤٥]:

متى ننقل إلى قوم رحانا *** يكونوا في اللّقاء لها طحينا

ونراه في أبيات أخرى يصف طريقة القتال ونوع الأسلحة المُستخدمة فيه؛ إذ نجده يذكر أنّهم يصيبون الأبعدين من الأعداء بالرّماح، ويضربون من يقترب منهم بالسيوف؛ حين يقول[٤٦]:

نُطاعن ما تراخى الناس عنّا *** ونضرب بالسيوف إذا غُشينا

بسُمر من قنا الخطّيّ لُدن *** ذوابل أو ببيض يختلينا [٤٧]

والناظر في معلّقة عمرو بن كلثوم يجد صاحبها يُفصّل حتى في قوام الجيش من المُقاتلين من شيب ذوي خبرة في القتال وتجربة وشباب يمتازون بالقوّة والحماس، كما تُوحي أبياته في بعض الأحيان بوجود من بين هؤلاء ما يُعرف حالياً بالكتيبة الخاصة التي عادةً ما تكون جيّدة

---

[٣٩] الكافر: الليل، أجنّ: ستر، الثغر: موضع المخافة وعورته أشدّ مخافة.
[٤٠] أسهلتُ: أتيتُ السهل من الأرض، المنيفة: النخلة العالية الطويلة، الجرداء: القليلة السعف والليف، يحصر: يضيق صدره، الجُرّام: جمع جارم وهو الذي يجرم النخل أي: يقطع حمله.
[٤١] انظر شرح المُعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٢٢٢.
[٤٢] الظعينة: المرأة في الهودج.
[٤٣] الكريهة: الحرب.
[٤٤] انظر شرح المُعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٢٠٦.
[٤٥] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص١١١.
[٤٦] انظر المصدر السابق ، ص١١١.
[٤٧] لدن: ليّنة، يختلين: يقطعن ما يُضرب بهنّ.

التدريب والعتاد، وهي تقوم بالمهام التي ربّما يعجز عن القيام بها غيرها، ويُبادر بها في الضربات الاستباقيّة؛ فيقول في كلّ ذلك [٤٨]:

إذا ما عيّ بالإسناف حيّ ***من الهول المُشبّه أن يكونا [٤٩]

نصبنا مثل رهوة ذات حدّ ***محافظةً وكنّا السابقينا[٥٠]

بشُبّان يرون القتل مجّدا *** وشيب في الحروب مُجرّبينا

كما نجد ابن كلثوم يُصوّر لنا طرق الحراسة والدفاع عندما يكون هنالك تحسبٌ لخطر عدوّ قادم على حريمهم وبنيهم ؛ إذ يتفرّق المُقاتلون على خيلهم في جماعات استعداداً للقتال، وعندما يكون الوضع آمناً نراه يُبيّن أنّهم يُبادرون هم بالهجوم على الأعداء المُفترضين لابسين أسلحتهم؛ فيقول في كلّ ذلك [٥١]:

فأمّا يوم خشيتنا عليهم *** فتُصبح خيلنا عُصباً ثُبينا[٥٢]

وأمّا يوم لا نخشى عليهم *** فنُمعن غارةً مُتلبّبينا [٥٣]

وقد ذكر ابن كلثوم في معلّقته كذلك استخدامهم لبعض ما يقي في القتال مثل الدروع حين قال:

علينا كلّ سابغة دلاص *** ترى فوق النطاق لها غضونا [٥٤]

كما يُبيّن أنّهم حينما يُقاتلون يركبون على خيل رقاق الشعر قصاره عُرفن لهم وفُطمن عندهم، وخلّصوها من أيدي أعدائهم بعد استيلائهم عليها، فقال [٥٥]:

وتحملنا غداة الرّوع جُردٌ *** عُرفن لنا نقائذ وافتُلينا [٥٦]

ثمّ نرى ابن كلثوم في مشهد آخر يُصوّر لنا دافعيّةً تدفع المُقاتلين للقتال والدفاع الشرس؛ إذ يذكر أنّهم يحمون عروضاً ونساء حسان شريفات، ويحذرون غاية الحذر من أن يُصيبهنّ مكروهٌ أو يُقسّمن سبايا إذا انهزموا، وقد أخذن على أزوجهُنّ عهداً بالقتال المستميت، وليشهدن على

---

[٤٨] انظر شرح المُعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٢١١.

[٤٩] الإسناف: الإقدام.

[٥٠] الرهوة: الجبل. والمعنى في الأبيات هو: إذا فزع غيرُنا من التقدّم أقدمنا مع كتيبة ذات شوكة وغلبنا، وإنّما نفعل ذلك محافظة على أحسابنا.

[٥١] انظر شرح المُعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٢١٢.

[٥٢] العُصب: جمع عصبة وهي ما بين العشرة والأربعين، الثُبة: الجماعة.

[٥٣] الإمعان: الإسراع والمبالغة في الشيء، التلبيب: لبس السلاح.

[٥٤] السابغة: الدرع الواسعة التامة، الدلاص: البرّاقة، الغضون: جمع غضن وهو التشنج في الشيء.

[٥٥] انظر شرح المعلّقات العشر ـ الزوزني، ص٢١٩.

[٥٦] الروع: الفزع ويُريد به الحرب، النقائذ: المُخلّصات من أيدي الأعداء، الافتلاء: الفطام.

ذلك جعلوا على أنفسهم علامات تُميّزهم من الأعداء ـ وناحية التمييز من الأعداء هذه موجودةٌ في أساليب القتال الحديثة ـ يقول شاعرنا في كلّ ذلك [٥٧]:

علـى آثارنـا بيضٌ حسانٌ *** نُحاذر أن تُقسّم أو تهونا

أخذن على بُعولتهنّ عهداً *** إذا لاقوا كتائب مُعلّمينا

أمّا عنترة بن شدّاد العبسي فمعلّقته غرضها الرئيس هو الفخر بنفسه؛ لذلك نجد أنّ المُؤشرات الأمنيّة والعسكريّة الموجودة فيها كلّها تدور حول شخص الشاعر وبراعته في القتال والثبات فيه والإقدام؛ إذ نراه مثلاً يُصوّر لنا حاله في المعركة وهو يركب على فرس سريع يشقُّ المقاتلين فيتناولونه بالضرب والطعن فتُصيبه الجروح؛ فقال [٥٨]:

إذ لا أزال على رحالة سابح *** نهد تعاورُه الكُماة مُكلّم [٥٩]

ومن خلال تصوير عنترة لقتاله الأعداء وضربه إيّاهم بشدّة وقوّة وشجاعة قد نلتمس طبيعة الأسلحة التي يستخدمها وطبيعة ما عليه أعداؤه من تسليح وشجاعة؛ فنراه في الأبيات الآتية يُصوّر لنا كيف أنّه يُلاقي فارساً تام السلاح تحاشى الأبطال لقاءه فيُعاجله بطعنة رُمح تُردي به قتيلاً؛ إذ يقول[٦٠]:

ومُدجّج كره الكُماة نزاله *** لا مُمعن هرباً ولا مُستسلم

جادت له كفّي بعاجل طعنة *** بمُثقّف صدق الكعوب مُقوّم [٦١]

فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه *** ليس الكريم على القنا بمُحرّم

كما يُصوّر في البيت التالي فتكه ببطل مشهور أعلَمَ نفسه بعلامة تُميّزه حتى ينتدب الأبطال إليه، وهو لابس الدرع التي شقّها شاعرنا بسيفه، فيقول [٦٢]:

ومُشكّ سابغة هتكت فروجها *** بالسيف عن حامي الحقيقة مُعلم [٦٣]

ثمّ يبيّن أنّه بعد أن طعنه بالرمح أعمل فيه سيف صافي الحديدة سريع القطع حين قال[٦٤]:

فطعنته بالرمح ثمّ علوته *** بمُهنّد صافي الحديدة مُخذم[٦٥]

---

[٥٧] انظر شرح المعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٢٢٠.
[٥٨] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص ١٢٩.
[٥٩] التعاور: التداول والتناوب، الكلم: الجُرح.
[٦٠] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص ١٣٠.
[٦١] مُثقف صدق الكعوب: رمح مُقوّم صلب الكعوب.
[٦٢] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص ١٣٠.
[٦٣] مُشك سابغة: درعٌ شكّ بعضها إلى بعض.
[٦٤] انظر المُعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص ١٣١.
[٦٥] المُخذم: السريع القطع.

ويأتي شاعرنا بعد ذلك ويُبرز لنا مشهداً آخر للقتال؛ إذ يُصوّر جمع الأعداء يدفع بعضهم بعضاً للمعركة وهم يدعونه ورماحهم تُصوّب تجاه فرسه كأنّها حبال تُدلى داخل البئر، وهو يدفع فرسه تجاههم ممّا أصابه بكثير من الجُروح سالت دماؤها على نحره وشكا إليه بعبرة وتحمحم؛ فيقول [٦٦]:

لمّا رأيت القوم أقبل جمعهم *** يتذامرون كررت غير مُذمّم [٦٧]

يدعون عنتر والرماح كأنّها *** أشطان بئر في لبان الأدهم [٦٨]

ما زالت أرميهم بثغرة نحره *** ولبانه حتى تسربل بالدم

فازورّ من وقع القنا بلبانه *** وشكا إليّ بعبرة وتحمحم [٦٩]

وإذا انتقلنا إلى معلّقة الحارث بن حلّزة نجد المؤشّرات الأمنيّة والعسكريّة تتفرّق وتتنوّع فيها؛ فنراه حين يصف معاداة بني تغلب لهم يصوّرهم كأنّهم يجتمعون على هذه العداوة بليل، فيتنادوا لقتالهم، وحين يأتي الصباح يصير لهم جراء ذلك ضوضاء وجلبة أصوات وصهيل خيل ورُغاء إبل؛ وهو بذلك يُعطي صورةً لاستعداد لمعركة وتدبير لها في ذلك الزمان؛ فيقول [٧٠]:

من مُناد ومن مُجيب ومن تصـ *** هال خيل خلال ذاك رُغاء

كما نجده في موضع آخر يذكر الحماية التي تتوفّر لهم من الحصون المنيعة؛ إذ يقول [٧١]:

فبقينا على الشناءة تُنمي *** نا حصونٌ وعزّة قعساء [٧٢]

ونلمس له في مواضع تصويراً لطول النفس عند جيش قبيلته؛ إذ أنّه يقطع المسافات البعيدة مُغيراً ومُنتصراً؛ فهو يسير من البحرين حتى الحساء مُغيراً على القبائل التي يمرُّ عليها، ثمّ يميل إلى تميم فينال منها، وعندما يدخل الشهر الحرام هناك تكون عندهم كثيرٌ من السبايا إماءً لهم، ثمّ يُعطي صورةً حيّةً لما عليه من يُقابلهم في هذه الغارات المتّصلة؛ فيذكر أنّ الأعزّاء لا تنفعهم تحصيناتهم الجبليّة والأذلّاء لا ينفعهم إسراعهم في الفرار، بل أنّ الذين يهربون ويتحصنون بالجبال لا يسلمون منهم؛ فيقول في كلّ ذلك [٧٣]:

هل علمتم أيّام ينتهب النا *** س غواراً لكلّ حيّ عُواء [٧٤]

إذ رفعنا الجمال من سعف البحـ *** رين سيراً حتى نهاها الحساء

---

[٦٦] انظر شرح المعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٢٥٥.
[٦٧] يتذامرون: يحضّون بعضهم على القتال.
[٦٨] الشطن: الحبل الذي يُستقى به، اللبان: الصدر.
[٦٩] ازورّ: مال، التحمحم: من صهيل الفرس وهو ما كان فيه شبه حنين ليرقّ صاحبه له.
[٧٠] انظر شرح المُعلّقات العشر ـ الزوزني، ص٢٦٨.
[٧١] انظر المصدر السابق، ص ٢٦٩.
[٧٢] الشناءة: البُغض، تُنمينا: ترفعنا، قعساء: منيعة.
[٧٣] انظر شرح المعلّقات العشر ـ الزوزني، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.
[٧٤] الغوار: المغاورة والإغارة، العُواء: صوت الذئب ونحوه وهنا مُستعار لضجيج الناس وصياحهم.

ثمّ ملنا على تميم فأحرمـ *** نا وفينا بنات قوم إماء [٧٥]

لا يُقيم العزيز بالبلد السهـ *** ل ولا ينفع الذليل النجاء [٧٦]

ليس يُنجي الذي يُوائل منّا *** رأس طود وحرّة رجلاء [٧٧]

وتتناثر في معلّقة الأعشى بعض هذه المؤشرات الأمنيّة والعسكرية؛ إذ نجده يُشير في بعض أبياتها إلى أنّهم يثأرون لقتلاهم فيأخذون للقتيل نظيره ومساويه في المقام من الأعداء؛ فيقول [٧٨]:

لإن قتلتم عميداً لم يكن صدداً *** لنقتلنّ مثله منكم فنمتثل [٧٩]

كما نراه في بيت آخر يُشير إلى ضرورة قتال البغاة والخارجين عن منهج الصواب للمجتمع والأمّة ـ ولعلّ مثل هؤلاء يُوجد نظيرهم في مجتمعات اليوم ومُحاربتهم واجبةٌ درءاً للفتنة ـ وقد قال الأعشى في نُظرائهم في عهده [٨٠]:

لا تنتهون ولن ينهى ذوي شطط *** كالطعن يذهب فيه الزيت والفُتُل [٨١]

ثمّ يُعطي في بيت آخر صورة لما يؤول إليه الوضع بعد قتل سيّد القوم وتركه مُتكئاً على مرفقه؛ حيث تدفع عنه النساء الخيل لكي لا يُداس بحوافرها؛ فيقول [٨٢]:

حتى يظلُّ عميد القوم مرتفقاً *** يدفع بالراح عنه نسوةٌ عُجُل [٨٣]

وقد نراه أحياناً يُورد بعض أنواع الأسلحة المُستخدمة في القتال؛ حين يقول [٨٤]:

إصابة هندوانيٌّ فأقصده *** أو ذابلٌ من رماح الخطّ مُعتدلُ [٨٥]

أمّا معلّقة النابغة الذبياني فلا نجد فيها إلّا النذر اليسير من هذه المؤشّرات الأمنيّة؛ ولا غرابة في ذلك؛ لأنّ الغرض الرئيس لهذه المعلّقة هو مدح النعمان بن المُنذر والاعتذار إليه من الوشاية التي لحقت بشاعرها؛ ولعلّ ما أراه من مؤشّر أمنيّ يتّصل بغرض المعلّقة الرئيس هذا؛ فشاعرنا حين شرع في الاعتذار لممدوحه طلب منه التروّي والتثبّت في الأخبار قبل الحكم عليه، وأن يكون حكيماً ويصيب كبد الحقيقة كما أصابتها زرقاء اليمامة حين عدّت قطاً كثيراً

---

[٧٥] أحرمنا: دخلنا في الشهر الحرام.
[٧٦] النجاء: الإسراع في السير.
[٧٧] يُوائل: يهرب ويفزع، الطود: الجبل، رجلاء: غليظةٌ شديدةٌ
[٧٨] انظر شرح المعلّقات التسع ـ الشيباني، ص٣٤.
[٧٩] عميد القوم: سيدهم، صدداً: مُقارباً، نمتثل: نقتل المماثل.
[٨٠] انظر شرح المعلّقات العشر ـ الزوزني، ص ٣٢٠.
[٨١] الشطط: الخروج عن منهج الصواب والعدل، الفُتُل: جمع فتيلة وهي فتيلة الجراح.
[٨٢] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص ١٥٧.
[٨٣] مُرتفقاً: مُتكئاً على مرفقه، الراح: الأكفّ، العُجُل: المرأة الثكلى.
[٨٤] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، ص ١٥٧.
[٨٥] هندوانيٌّ: السيف المصنوع في الهند، أقصده: قتله، الذابل: الرمح، الخطّ: مرفأ السفن بالبحرين وإليه تُنسب الرماح الخطّيّة؛ لأنّه مكان بيعها بعد جلبها من الهند.

وهو طائر فوجدته ستّاً وستّين، وكانت لها قطاةٌ واحدةٌ؛ فتمنّت أن يكون لها هذا مع نصفه ليصبح العدد جميعه مع قطاتها مائة قطاة؛ فنظر قومها إلى عدد القطا فوجدوه كما قالت، وفي ذلك يقول النابغة [٨٦]:

احكم كحُكم فتاة الحيّ إذ نظرت *** إلى حمام شراع وارد الثمد [٨٧]

يحفّه جانبا نيق وتتبعه *** مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد [٨٨]

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا *** إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه؛ فألفوه كما زعمت *** تسعاً وتسعين لم تُنقص ولم تزد

فكمّلت مائةً فيها حمامتها *** وأسرعت حسبةً في ذلك العدد

وناحية التثبّت في الأخبار والتيقّن من صحتها التي طلبها النابغة من ممدوحه قبل الحكم عليه أمرٌ مطلوبٌ في النواحي الأمنيّة حتى لا يُؤخذ الناس بجرائر غيرهم.

أمّا المعلّقة الأخيرة ــ وهي معلّقة عبيد بن الأبرص ــ فلا نجد فيها أو نلمس أيّاً من هذه المؤشّرات الأمنيّة والعسكريّة.

نتائج البحث وتوصياته وخاتمته :

نظرت هذه الدراسة في واحد من أهم المؤثّرات على حياة الفرد والجماعة في المجتمع الجاهليّ، وهو ناحية المؤشّر الأمنيّ والعسكريّ في المعلّقات العشر؛ وتتفرّق مناحي ومشارب هذه المؤشّرات – كما مرّ بنا – ولكنّا كثيراً ما نجد أنّ القبيلة غالباً ما تكون هي المحرّك الأساسيّ لهذه الجوانب الأمنيّة والعسكريّة؛ لأنّ هذا المجتمع كان يعيش حياةً قبليّةً؛ إذ تُحكم القبيلة بوصفها السلطان السياسيّ تحركاته في السلم والحرب في مجتمع تطغى فيه روح الجماعة على الروح الفرديّة؛ لذلك تتحرك هذه المؤشّرات الأمنيّة والعسكريّة غالباً في هذا الإطار، وإن كان لهذه القاعدة العامة بعض الخرقات والشواذ عليها، وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يأتي:

١- ظهور الصورة الأمنيّة والعسكريّة في المعلّقات العشر في كثير من الأحيان يأتي مبيّناً للقتال وطرقه وأساليبه عند الدفاع عن القبيلة وعرضها.

٢- كثرة ذكر أنواع الأسلحة المستخدمة في القتال في ذاك الزمن من سيوف ودروع ورماح وسهام وغيرها.

٣- قلّة حمل الحديث عن القتال وفنونه في المعلّقات العشر الروح الفرديّة وإظهار المهارات الذاتيّة فيه على نحو ما نجد نظيرة عند عنترة بن شدّاد.

---

[٨٦] انظر المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ــ الشنقيطي، ص ١٦٦ ــ ١٦٧.
[٨٧] فتاة الحيّ: زرقاء اليمامة، شراع: مجتمع، الثمد: الماء القليل.
[٨٨] النيق: الجبل.

٤- بروز المؤشّر الأمنيّ في أحيان قليلة حاملاً دعوةً إلى السلم والصلح والاستقرار على نحو ما مرّ عند زهير بن أبي سلمى.

٥- ندرة وجود المؤشّر الأمنيّ والعسكريّ في المعلّقات وهو لا يمتّ بصلة إلى قتال ودفاع عن القبيلة، على نحو ما رأيناه عند أمرئ القيس والنابغة الذبياني؛ إذ أنّ المؤشّر الأمنيّ عندهما في المعلّقتين يتّسم بالنزعة الذاتيّة البعيدة كلّياً عن القتال.

٦- عدم ظهور الأساليب العسكريّة الحديثة في القتال وفنونه عند الجاهليين من خلال شعرهم في المعلّقات العشر؛ وإنّما توجد إشارات إلى المواطن الإستراتيجيّة في التمرّكز عند نشوب المعارك على نحو ما ذُكر عند لبيد بن ربيعة، كما توجد بعض الإشارات القليلة التي توضّح وجود نظير لما يعرف حاليّا بالقوات الخاصّة من بين المجموعات المقاتلة في ذاك الزمن؛ حيث وردت إشارات إلى ما يشبه هذا في معلّقة عمرو بن كلثوم.

وتوصي هذه الدراسة بالنظر بعين الاعتبار إلى حياة الجاهليين من خلال شعر المعلّقات العشر؛ ويستحسن في هذا الجانب أن تعمل دراسة توضّح صورة المجتمع الجاهليّ في عاداته وتقاليده من خلال هذه القصائد.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وُفّقت في عكس مُؤشّرات الوجه الأمنيّ والعسكريّ للجاهليين حسب ما ورد في المعلّقات العشر، وأعطيت صورةً تقريبيّةً لما كان عليه ذلك المجتمع في هذا الجانب.

المراجع:

١- الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً ــ د. عفيف عبد الرحمن، طبعة دار الفكر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.

٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ــ د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف.

٣- جمهرة أشعار العرب ــ أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البخاري، طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤- الحيوان ــ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي المُتوفى سنة ٢٥٥هـ، طبعة دار الكتب العلميّة، ط٢، بيروت ١٤٢٤هـ.

٥- ديوان امرئ القيس ــ امرؤ القيس بن حجر، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، ط ٢، بيروت ١٤٢٥ ــ ٢٠٠٤م.

٦- ديوان طرفة ــ طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلميّة، ط ٣.

٧- ديوان لبيد ــ لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدوطمّاس، الناشر: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

٨- شرح المعلّقات التسع ــ المنسوب لإبي عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

٩- شرح المُعلّقات العشر ــ الزوزني: القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٠-في تاريخ الأدب الجاهليّ ــ علي الجندي، طبعة مكتبة دار التراث، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م.

١١- المعلّقات العشر وأخبار شعرائها ــ أحمد الأمين الشنقيطي، طبعة دار النصر للطباعة والنشر.

****

أمارابك: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ٣١-٤٤

الفروق بين النوع والصف الدراسي والقلق في حالات الهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر بسلطنة عمان

عبد القوي سالم الزبيدي (*)
سالم بن ناصر الكحالي (**)

الملخص: هدفت هذه الدارسة إلى التعرف على الهوية المهنية لطلبة الصفين التاسع والعاشر بمدارس التعليم العام بسلطنة عمان، وكذلك تعرف الفروق في الهوية المهنية حسب متغير النوع الاجتماعي، ومتغير الصف الدراسي، ومتغير القلق. ولتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد مقياس للهوية المهنية لطلبة الصف التاسع والعاشر مكون من (٢٠) فقرة. ومقياس القلق لطلبة الصف التاسع والعشر مكون من (٢١) فقرة. وتكونت عينة الدراسة من (٢٥٥) طالب وطالبة منهم (١٤٣) من الصف التاسع، و(١١٢) من الصف العاشر. وتمت معالجة البيانات باستخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وإجراء اختبار (ت) للتحقق من دلالة الفروق التي تعزى لمتغير النوع الاجتماعي والصف الدراسي، والقلق. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج من أهمها: إن ترتيب الهوية المهنية لدى طلبة الصف التاسع والعاشر على النحو التالي: (الهوية المقيدة، الهوية الغامضة، الهوية المؤجلة، والهوية المحصلة). ووجدت الدراسة فروقا ذات دلالة إحصائية في الهوية المقيدة والهوية الغامضة تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لصالح الإناث. وأشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المحصلة والمؤجلة والمقيدة لصالح طلبة الصف العاشر تعزى لمتغير الصف الدراسي. وبينت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية بين أفراد العينة تعزى لمتغير القلق. وبناء على هذه النتيجة فقد تم وضع مقترحات وتوصيات لتفعيل الاستفادة من الدراسة الحالية في توعية الطلبة في البيئة المدرسية، وتنفيذ بعض الورش للمختصين بالتوجيه المهني.

الكلمات المفتاحية: القلق، حالات الهوية المهنية، سلطنة عمان.

Gender, grade and anxiety differences in Career identity statuses among ninth and tenth grades students in the Sultanate of Oman

Abdulqawi Salim Alzubaidi
Salem Nasser Al- Kahali

Abstract: The aim of this study was to identify the career identity statuses of ninth and tenth grades students in the Sultanate of Oman, and whether there are differences in career identity according to gender, grade, and anxiety level (high and low level). To achieve the objectives of the study, two scales were developed, the first scale comprised of 20 items related to different aspects of career identity statuses, while the second scale comprised of 21 items, measuring different areas in anxiety. These scales were applied to a 255 students including (143) from the ninth grade, and (112) from the tenth grade. The data were analyzed using means, standard deviations, and T-tests The findings show that the order of career identity statuses among ninth and tenth grade students were: identity foreclosure, identity diffusion, moratorium and identity achievement consecutively. In addition, there were significant differences according to sex variable in the foreclosure and diffusion identities. Moreover, there were significant grade differences in the achievement, foreclosure and moratorium identities favoring grade 10. However, there was no difference in all identity statuses in the anxiety variable. On the basis of this result several proposals and recommendation were put-forward so professionals may to increase students awareness of their identity.

Keyword: anxiety, Career identity statuses, Oman.

(*) أستاذ علم النفس بكلية التربية، جامعة السلطان قابوس، zubaidi@squ.edu.om
(**) دكتوراه في علم النفس، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان، salim.kahali@moe.om

المقدمة

يعد التراث النفسي والاجتماعي دليل واضح على اهتمام علماء النفس والاجتماع واللغة والفلسفة بدراسة الهوية، فقد استخدم المفهوم للدلالة على الهوية الفردية، وهوية الأنا، والهوية الاجتماعية، والهوية العرقية، والهوية الثقافية (البلوشي، ٢٠١٤). فبدأت دراسة الهوية على يد أريكسون باعتبارها المرحلة الخامسة التي تقع ضمن إطار نظريته الخاصة بالنمو النفسي الاجتماعي والتي تقابل مرحلة المراهقة. فقد ركز الاهتمام على نمو الهوية أكثر من أي مظهر آخر للنمو. فالشاب في هذه المرحلة لا يسأل عما هو لكنه يسأل عن السياق الذي يمكن أن يكون فيه، ويبحث عن إحساس بالنفس والتزام بمهام محددة منتقاة من بين بدائل عديدة. وقد أشار أريكسون إلى أن الإحساس بالهوية في مقابل الاحساس بانتشار الهوية يمثل استقطاب هذه المرحلة من مراحل النمو:

فمن جهة يوجد نضال نحو تحقيق الهوية من خلال تكامل الاتجاهات الداخلية والخارجية لدى الفرد. ومن الجهة المقابلة: يوجد انتشار الهوية الذي يؤدي إلى إحساس بعدم الثبات في وسط مطالب داخلية وخارجية. فكثير من المراهقين يواجهون انتشارا مستمرا في الهوية فيما يختص بقدراتهم الخاصة ومكانهم المنتظر داخل مجتمعهم، وسؤال هذه المرحلة "من سأكون؟" (عبد المعطي، ١٩٩١).

ويشير الخطيب (٢٠٠٥) أن تطور الهوية يواكب النضج المعرفي والاجتماعي للفرد، والذي يساعده في استكشاف الأدوار، ومن ثم اختيار ما يناسبه منها، وتجريبها؛ حتى يقرر الالتزام باختيار واحد من بين البدائل المتاحة؛ مما يحتم ضرورة تشجيع الفرد وتوجيهه نحو التفكير الذي يسهم في تطوير هويته، وكذلك التنبؤ بحالة الهوية المكتسبة.

ويشير مصطلح الهوية إلى تنظيم نوازع الفرد وقدراته ومعتقداته، وماضيه لتصبح صورة الذات لديه ثابتة. وتشمل أيضا القرارات الواقعية التي يتخذها الفرد حول مهنته وفلسفه حياته، وإذا فشل المراهق في التوفيق بين كل هذه القرارات، أو شعر بأنه غير قادر على الاختيار فأنه سيطور لديه الإحساس بالغموض والارتباك (البيلي والعمادي والصمادي، ١٩٩٨).

ويعرف جيمس ما رشيا الهوية بأنها عملية دينامية للدوافع والقدرات والمعتقدات والتاريخ الخاص بالفرد، فهي ليست مفهوما يتصف بالجمود، وإنما هي مفهوم دينامي يتغير مع تغير معطيات العصر والتاريخ (Erling & Bergh, 2005).

إن مرحلة الرشد تتسم بقدر كبير من الذاتية. (البيلي وآخرون، ١٩٩٨). وعدم تعيين الهوية يجعل هناك صعوبة في خوض تحدي الألفة مقابل العزلة حسب نظرية أريكسون، فإذا لم يكن المراهق واثقا من هويته في مواقف الألفة (الصداقة القوية أو الزواج). يصبح تهديدا وينجم عنه الاعتزال، وقد يصاحب ذلك مشكلات نفسية تدفع بالفرد بعيدا عن مسرح التفاعل الاجتماعي مع الواقع كالشعور بالفشل في مواجهة تحديات المرحلة التي يمر بها.

ويرى ميوس وإيديما وهيلس وفوليبيرج (Meeus, Iedema, Helsen & Vollebergh, 1999)، أن الهوية ثابتة لا تتغير، ويمكن تفسير هذا الثبات على أن الهوية سمة شخصية، وأن هناك علاقة منظمة بين الهوية وسمات الشخصية، كما أن هناك فروقا منظمة في التوظيف المعرفي للمراهقين في حالات الهوية.

ويشير مفهوم الهوية حسب نظرية أريكسون إلى بناء مركب من عدة مكونات نفسية أو أبعاد تتكامل بشكل حيوي، وتتغير تدريجيا مع العمر والخبرة، حتى يكتسب الفرد شعورا واضحا ومتماسكا لمعرفة الذات، وما للمرء أن يكون عليه في الحياة (Romi & Simcha, 2009) فقد قسمها جيمس مارسيا James Marcia إلى أربع حالات، انطلاقا من جهود أريكسون (البيلي وآخرون، ١٩٩٨):

أولا: الهوية المحصلة: Identity Achievement: ويقصد بها أنه بعد أن يتخذ الفرد خيارات واقعية يكون قد اتخذ قرارات وتابعها. ويبدو أن قليلا من الطلبة يحققون ذلك مع نهاية المرحلة الثانوية، وربما يحتاج الطالب إلى فترة زمنية كي يقرر ذلك.

ثانيا: الهوية الحبيسة (المكبلة) Foreclosure: ويتصف بها الذين لا يجربون هويات مختلفة أو يحاولون خيارات متعددة، ولكن فقط يحددون أنفسهم لتحقيق أهداف وقيم وممارسة أساليب الآخرين وخاصة الوالدين.

ثالثا: الهوية الغامضة Diffusion: ويتصف بها الأشخاص الذين لا يصلون إلى إجابات محددة حول من هم؟ ماذا سيفعلون في حياتهم؟ ولا يملكون اتجاها محددا في حياتهم.

رابعا: الهوية المؤجلة Moratorium: ويتصف بها أولئك الذين يعيشون حالة من الكفاح لاتخاذ قرارات مهمة حول المهنة والقيم والشخصية. لذا فهي تتأخر في ذلك. وهذا التأخر هو عام ومعروف وصحي في المراهقة المعاصرة. ويرى مارسيا أن مفهوم الهوية المؤجلة تشمل جهود الفرد النشطة للتعامل مع الأزمات من أجل تحقيق الهوية. ويرى أريكسون أن المراهقين في المجتمعات الحديثة يعيشون حالة من الارتباك والتأجيل.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة الهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر وارتباطها بالقلق والنوع الاجتماعي والصف الدراسي؛ لعدة أسباب تتعلق بهذه المرحلة الدراسية لدى الطلبة وهي:

١- أنها تساعد المختصين في مجال الإرشاد النفسي والتربوي والتوجيه المهني والمعلمين على تعرف هويات التلاميذ وكيفية التعامل معها.
٢- تزود المختصين بالمعارف والأساليب اللازمة للتعامل مع أنواع الهوية المهنية لدى الطلبة.
٣- تساعد المعلمين وأخصائيي التوجيه المهني على توجيه الطلبة إلى نوعية المهن المناسبة لدافعيته ورغباته.
٤- التعرف إلى الفروق بين الجنسين في حالات الهوية المهنية وتأثرها بالقلق.
٥- إعداد مقياس للهوية المهنية لطلبة الصفين التاسع والعاشر بسلطنة عمان.
٦- تساعد الطلبة على الإبداع وتنمية هواياتهم المهنية وتحمل المسؤولية والاستقلال بالشخصية.
٧- تساعد المختصين على تعرف علاقة بعض المتغيرات (القلق، النوع الاجتماعي، الصف الدراسي)، بالهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر.

مشكلة الدراسة:

تعد أزمة الهوية إحدى الصعوبات النمائية التي تواجه الفرد في مرحلة المراهقة، وقد يظهر في هذه المرحلة بعد نفسي اجتماعي طرفه إيجابي هو الإحساس بالهوية، وطرفه السلبي هو تشتت الهوية، بحيث يمكن القول أن أزمة الهوية ثنائية القطب: أولهما هو: تحقيق الهوية، وهو المكون الإيجابي، وثانيهما: تشتت الهوية، وهو المكون السلبي (الوحيدي، ٢٠١٢؛ Marcia,1966). إن تعرض الطلبة في مراحل التعليم المختلفة إلى المشكلات النفسية التي قد تستمر معهم نتيجة قلة الخبرة في التشخيص، أو قلة توفر متخصصين يدرسون حالاتهم ويتابعونها، بحيث يقومون بعملية الإرشاد والتوجيه المناسب لهم. فقد يولد لديهم بعض الأزمات النفسية التي تبدو ظاهرة في سلوكياتهم في التعليم العام. ويؤكد بلغيث (٢٠١١) ذلك حيث إنه يرى أن معظم الشباب في الوطن العربي يعيشون أزمة حقيقة تدعي أزمة الهوية، والتي تعتبر من أخطر الأزمات في الوقت الذي يعدون فيه أحد مصادر قوة المجتمع؛ وذلك بسبب التحولات والتغيرات في بنية المجتمع، والتي يسأل الطالب فيها نفسه عدد من الأسئلة منها: من أنا؟ ومن أكون؟

ويوضح الأحمد (٢٠١١) أن الهوية من أكثر الحاجات الإنسانية الشائعة في الجنس البشري، وأنها ذات علاقة عكسية مع مفهوم الاغتراب، أي أنه إذا قوي الشعور بالهوية قل الشعور بالاغتراب، والذي من مظاهره الاغتراب الذاتي (إحساس الفرد وشعوره بتباعده عن ذاته)، والاغتراب الثقافي والاجتماعي (العزلة الاجتماعية وما ينتج عنها من اغتراب نفسي) وقد يصاحب ذلك أنواع مختلفة من الاغتراب التي قد تؤثر في بناء شخصية الفرد. ويأتي تشكيل الهوية على قائمة حاجات الوجود الإنساني، فالإنسان الذي يكتشف هويته هو الإنسان الذي يجد بحق الإجابة الحاسمة عن أهم مشكلات الوجود: من أنا؟ ولماذا أعيش؟ وماذا عسى أن تكون المهمة التي يمكنني أن أضطلع بأدائها؟ (رضوان، ٢٠١٢).

وذكرت البلوشي (٢٠١٤) أن شكل الهوية يتوقف على مدى وجود أو غياب عمليتي الاستكشاف والالتزام ودرجة كل منهما، حيث تعتبر عملية الاستكشاف بداية تكوين الهوية لدى الفرد، وتتمثل نواتجها لفترة محددة تتبعها عملية الالتزام. وهذا يؤكد فكرة أريكسون الرئيسية بأن الهوية تتشكل في مرحلة المراهقة، ويستمر تطورها مع تقدم العمر حيث تندمج فيها الخبرات السابقة والحاضرة والخبرات الجديدة. مما يشير إلى أهمية هذه المرحلة من التعليم، الأمر الذي يتوجب فيه دراسة شخصيات الطلبة ومستوى نموها.

وتتضح مشكلة الدراسة الحالية في التعرف على حالات الهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر من الجنسين، في ضوء بعض المتغيرات وهي: (القلق، والنوع الاجتماعي، والصف الدراسي)، حيث إن بعض الطلبة في المراحل الدراسية لا يدركون الهوية المهنية؛ لذلك تكون خياراتهم للمقررات الدراسية التي يدرسونها في الصفين الحادي عشر، والثاني عشر بطريقة عشوائية لا تتناسب مع قدراتهم وميولهم ورغباتهم، مما يؤدي بهم في بعض الأحيان إلى الفشل وعدم القدرة على تحقيق الأهداف التي يضعوها لبناء مستقبلهم، لذلك ستزود الدراسة الحالية كلا: من التلميذ، والمعلم، وأخصائي التوجيه المنهي، بالمعلومات والنتائج الضرورية التي يجب مراعاتها عند توجيه الطلبة مهنيا نحو الدراسة الأكاديمية الجامعية. ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

١. ما الهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر من الذكور والإناث؟
٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية حسب متغير النوع الاجتماعي (ذكر، أنثى)؟
٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية تعزى لمتغير الصف (تاسع، عاشر)؟
٤. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية تعزى لمتغير القلق (مرتفع، منخفض)؟

مصطلحات الدراسة:

١) **الهوية: (Identity):** "حالة نفسية داخلية تتضمن إحساس الفرد بالفردية والوحدة والتآلف والاستمرارية، ممثلا بإحساس الفرد بارتباط ماضيه، وحاضره، ومستقبله، وأخيرا الإحساس بالتماسك الاجتماعي ممثلا في الارتباط بالمثل الاجتماعية، والشعور بالدعم الاجتماعي الناتج عن هذا الارتباط" (الوحيدي،٢٠١٢، ص٤٠).

٢) **الهوية المهنية إجرائيا:** يقصد بها مجموعة الاتجاهات والاعتقادات والهوايات التي تتكون لدى الفرد وترتبط بأمور ومواقف متعلقة بالمهنة التي يسعى الفرد إلى تحقيقها، وتتمثل في عبارات مقياس الهوية المهنية المستخدم في الدراسة الحالية.

٣) **القلق إجرائيا:** يعرف على أنه مجموعة الأحاسيس والمشاعر المتكونة لدى الفرد نتيجة بعض المواقف المثيرة، وتنتج عن سلوك غير متوقع. ويتثمل في عبارات مقياس القلق المستخدم في الدراسة الحالية.

محددات الدراسة:

أجريت الدراسة الحالية في إطار المحددات الآتية:

- اقتصرت هذه الدراسة على طلبة الصفين التاسع والعاشر بسلطنة عمان.
- تمثلت متغيرات الدراسة الحالية في الهوية المهنية وعلاقتها بالقلق والنوع الاجتماعي والصف الدراسي.
- طبقت في الدراسة أداتان هما: (مقياس الهوية المهنية، ومقياس القلق) لطلبة الصفين التاسع والعاشر.
- تتحدد نتائج هذه الدراسة بطريقة اختيار العينة ومدى تمثيلها لمجتمع الدراسة، وكذلك باستجابات الطلبة على مقاييس الدراسة.

الدراسات السابقة:

تشير الأدبيات والدراسات السابقة أن الهوية وأنواعها وحالاتها قد حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين والمتخصصين في التربية، وعلم النفس، لكون أن عملية تكوين الهوية ترتبط بالتنشئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية للفرد. وتنوعت المتغيرات التي صاحبت البحث والدراسة، فمن بين الدراسات التي تناولت الهوية بالدراسة ما يلي:

دراسة كونتوري وهاري (Kountouri & Hurry, 2008) حيث هدفت إلى بحث العلاقة بين حالات الهوية ومجالاتها: (السياسية، والدينية، والمهنية) وبعض المتغيرات مثل: (العمر، النوع الاجتماعي، التخصص، مهنة الوالدين، نوع المدرسة، الموقع الجغرافي). وقد تكونت عينة الدراسة من (١٠٣٨) طالب وطالبة من المدارس الثانوية في اليونان وأمريكا الشمالية. واستخدم المقياس الموضوعي لرتب الهوية الذي وضعه آذمر وآخرون (١٩٧٩) ذي تقدير سدادسي، ويتكون من (٢٤) عبارة تقيس أربع حالات للهوية هي: (التحقيق، التأجيل، الانغلاق، والتشتت)، ولكل حلة ثلاث مجالات هي: (المهني، السياسي، الديني). وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها: وجود اختلافات مميزة بين البلدين لدى المرهقين من العمر نفسه، حيث اتسم المراهق اليوناني بحالة من تحقيق وتأجيل الهوية بينما المراهق الأمريكي اتسم بحالة من انغلاق وتشتت الهوية في مجال الهوية الدينية. أما المجال السياسي فالمراهق اليوناني يقع بين حالة التحقيق والتأجيل والانغلاق، والأمريكي يميل إلى تشتت الهوية. ولا توجد فروق في الهوية المهنية. وبينت وجود فروق لصالح الإناث في الهوية بشكل عام تعود لمتغير النوع. حيث كانت الإناث أكثر تأجيلا وكان الذكور أكثر تشتتا.

أما دراسة موليس ومورليس وجراف (Mullis, Mullis & Graf, 2008) فهدفت إلى التعرف إلى الفروق في تشكيل الهوية لدى المراهقين في المدارس الثانوية في الولايات المتحدة والهند، وعلاقتها بمتغير النوع الاجتماعي والعمر. وتكونت عينة الدراسة من (٤٣٤) طالب وطالبة. وطبق مقياس آذمر وآخرون (EOMEIS - 2) بمقدار سداسي، ويتكون من (٦٤) عبارة متوزعة على مجالين للهوية هما: (الأيديولوجي والاجتماعي). وتوصلت الدراسة إلى أن المراهقين في المدارس الهندية يتسمون بهوية مغلقة، بينما المراهقين في المدارس الأمريكية يتسمون بهوية مشتتة. ووجدت اختلاف بين الذكور والإناث حيث إن الذكور يتسمون بهوية مشتتة مقارنة مع الإناث. كما أن المراهقين من أعمار (١٣ -١٥) يتسمون بالهوية المغلقة مقارنة مع الأكبر سنا (١٦ – ١٨). ولا توجد فروق بين المراهقين في تحقيق الهوية.

وهدفت دراسة ميوس وشوت وكيجسيرس وسشوارتز وبرينج (Meeus, Schoot, Keijsers, Schwartz & Branje, 2010) إلى التعرف على التطور في حالات الهوية لدى المراهقين التي تتراوح أعمارهم بين (١٢ – ٢٠) سنة خلال خمس مراحل زمنية، والتحولات التي تصاحب الهوية لدى المراهقين. وتكونت عينة الدراسة من طلاب المدارس الإعدادية والثانوية في

هولندا. وبلغ عدد الطلاب في كل مرحلة من المراحل الخمس ما يلي: (١٣١٣-١٣١٣-١٢٩٣-١٢٩٢-١٢٧٥). وطبق عليهم مقياس إدارة التزامات الهوية لكروكتي وآخرون ذي التقدير الخماسي ويتكون من (١٣) عبارة تشمل ثلاثة أبعاد هي: (الاستكشاف العميق، التزام القرارات، إعادة النظر في الالتزام) موزعة على مجالين هما: المجال الاجتماعي والعقائدي. وبينت الدراسة النتائج التالية: تمتع أفراد العينات بالتزامات قوية في حالة الانغلاق والتحقيق، مع انخفاض في بعدي الاستكشاف العميق وإعادة النظر في الالتزام. وظهرت سبع تحولات في حالة الهوية عبر المراحل الزمنية الخمس هي: (الانغلاق إلى التأجيل، الانغلاق إلى الانغلاق المبكر، التأجيل إلى الانغلاق، التأجيل إلى التحقيق، التأجيل الاختياري إلى الانغلاق، التأجيل الاختياري إلى التحقيق، الانغلاق المبكر إلى التحقيق). كما أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في حالات الهوية تعزى للعمر، وعدم وجود فروق بين الجنسين تعزى لمتغير النوع الاجتماعي.

وذكرت دراسة باكنلي (Bacankl, 2012) التي هدفت إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين استراتيجيات صنع القرار وحالات الهوية، وتكونت عينة الدراسة من (٢٦٨) طالبا وطالبة من الجامعات التركية. واستخدم مقياس آذمر وآخرون بعد تكييفه وتطويره ليناسب البيئة التركية، وتكون من (٦٤) عبارة، بتقدير سداسي، بالإضافة إلى مقياس استراتيجيات صنع القرار. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين أسلوب صنع القرار العقلاني وتحقيق الهوية، وسلبية مع أسلوب صنع القرار المتردد، كما أشارت إلى وجود علاقة إيجابية بين القرار البديهي وإغلاق الهوية، ووجود العلاقة نفسها بين القرار المتردد وتشتت الهوية.

أما دراسة البلوشي (٢٠١٤) فقد هدفت إلى الكشف عن الحالة السائدة للهوية وأساليب التفكير المفضلة لدى طلبة الصفوف (٨ – ١١). والكشف عن وجود علاقة ارتباطية بينهما. والتعرف على الفروق في حالات الهوية العقائدية (التحقيق، التأجيل، الانغلاق، والتشتت).وأساليب التفكير الستة (التشريعي، التنفيذي، الهرمي، العالمي، الخارجي، والأقلي). وتكونت العينة من (٧٤٠) طالب وطالبة، بالإضافة إلى مناقشة (٣٥) طالب وطالبة لأربع مجموعات بؤرية. واستخدمت الباحثة ممقياس هوية الأنا الموضوعي (لآذمر وآخرين)، والقائمة العامة القصيرة لأساليب التفكير(لستيرنبرغ وواغنر). وتوصلت إلى عدة نتائج منها: شيوع حالة التأجيل لدى طلبة الصفوف (٨ – ١١) في مدارس التعليم الأساسي وما بعد الأساسي بمحافظة مسقط في جميع المجالات الأربعة (الديني، المهني، السياسي، وأسلوب الحياة).وهي ليست داخلية بل موقفية ترتبط بالفرص الموقفيه غير المراتبطة. وكذلك عدم وجود علاقة ارتباطية بين حالات الهوية العقائدية الأربعة وأساليب التفكير الستة. كما توصلت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في حالات الهوية العقائدية بين الجنسين في حالة تحقيق الهوية لصالح الطالبات. وفي حالتي انغلاق وتشتت الهوية لصالح الطلاب. كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الصف الدراسي. في حالة التأجيل لصالح الصف الثامن، وفي حالة الانغلاق لصالح الصف الثامن والتاسع. وتوجد فروق دالة إحصائيا في حالة تشتت الهوية تعزى للتفاعل بين النوع والصف الدراسي لصالح طلاب الصف الثامن، والطالبات في الصف الحادي عشر.

مناقشة الدراسات السابقة:

بالرجوع والاطلاع على الدراسات السابقة نقف على جملة من الموجهات التي تساعدنا في تفسير النتائج وتحليها، ومن أهمها ما يلي:

- إن معظم الدراسات ومنها: (دكونتوري وهاري (Kountouri & Hurry, 2008، باكنلي (Bacankl, 2012، والبلوشي،٢٠١٤) ركزت في دراستها على بحث العلاقة بين حالات الهوية وبعض المتغيرات النفسية مثل: النوع الاجتماعي، والصف الدراسي، والعمر.
- تعدد مجالات الهوية المهنية التي تناولتها الدراسة منها: المجال المهني، والسياسي، والعقائدي.

- تنوعت حالات الهوية المدروسة بين الهوية: المحققة، والمؤجلة، المشتتة، المنغلقة.
- استخدمت الدراسات أدوات ومقاييس من إعداد الباحثين أنفسهم، وبعضها اعتمد على مقياس آذمر وآخرين (١٩٧٩) ذي التقدير السداسي.
- ركزت الدراسات على عينة الطلبة في مرحلة التعليم الأساسي الحلقة الثانية، ومرحلة التعليم العام.
- أظهرت بعض من هذه الدراسات وجود فروق في الهوية تعزى لمتغير النوع الاجتماعي والصف الدراسي، ووجود علاقة دالة إحصائية بين هوية الفرد وبعض المتغيرات.

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي في الدراسة الحالية؛ لمناسبته لمتغيرات الدراسة وأهدافها، والأساليب الإحصائية المستخدمة لمعالجة البيانات الواردة من تطبيق أدوات الدراسة على العينة. وكذلك إن معظم الدراسات والأدبيات انتهجت المنهج الوصفي في دراسات الهوية.

أولا: مجتمع وعينة الدراسة:

تم تحديد مجتمع الدراسة من طلبة الصف التاسع والعاشر المسجلين في العام الدراسي (٢٠١٢/٢٠١٣م)، بمدارس الحلقة الثانية للتعليم ما بعد الأساسي بمحافظة الباطنة شمال، وعددهم (١٠٧٣٣) طالب وطالبة، منهم (٨٢٠٨) طالب وطالبة بالصف التاسع، عدد الذكور هو (٤١٨٦) وعدد الإناث هو (٤٠٢٢)، أما الصف العاشر فعددهم (٢٥٢٥) طالب وطالبة. منهم (١٣٩٣) طالب و(١١٣٢) طالبة. واشتملت عينة الدراسة على (٢٥٥)، حيث بلغ عدد الطلبة (١٣٣)، منهم (٩٢) في الصف التاسع، و(٤١) الصف العاشر، أما الطالبات فقد كان عددهن (١٢٢) بواقع (٥١) الصف التاسع، (٧١) الصف العاشر. وتم تطبيق أدوات الدراسة على العينة: مقياس الهوية المهنية، مقياس القلق.

الجدول (١)

عينة الدراسة موزعة حسب الجنس والصف الدراسي

الجنس الصف	التاسع	العاشر	المجموع
ذكور	٩٢	٤١	١٣٣
إناث	٥١	٧١	١٢٢
المجموع	١٤٣	١١٢	٢٥٥

ثانيا: أدوات الدراسة:

تم استخدام أداتين في الدراسة الحالية وفقا لمتغيراتها وهي:

١) مقياس الهوية المهنية: تم الاعتماد في بناء وإعداد فقرات المقياس المستخدم في الدراسة الحالية على مقياس (آذمر وآخرين) المطور ١٩٨٤، خاصة العبارات المتعلقة بالهوية المهنية. وتكون مقياس الهوية المهنية من (٢٠) فقرة تصف اتجاهات الطلبة واعتقاداتهم حول مجموعة من المواقف والأمور المتعلقة بالمهنة، وما يرتبط بها من ميول ورغبات شخصية، وقد تمت ترجمة فقرات المقياس من إحدى الدراسات التخصصية في هذا المجال، وتحقيقا للخصائص السيكومترية للمقياس فقد تم تحكيم المقياس بعرضه على (٨) من المختصين في مجال علم النفس التربوي بجامعة السلطان قابوس، وتم إجراء التعديلات المطلوبة ليظهر بالصورة النهائية التي تم تطبيقها على عينة الدراسة، أما ثبات المقياس فقد تم حسابه بمعامل ألفا كرونباخ حيث كان معدل الثبات هو (٠.٧١)، وهو معامل جيد للدارسة الحالية.

٢) مقياس القلق: تم الاعتماد في إعداد وبناء مقياس القلق للدراسة الحالية على مقياس (بيك للاكتئاب، ١٩٩٤) تقنين تيسير النهار وعبد القوي الزبيدي، حيث تكون مقياس القلق من (٢١) فقرة تصف أعراض القلق الشائعة لدى الطلبة، وتحقيقا للخصائص السيكومترية للمقياس فقد تم تحكيم المقياس بعرضه على (٨) من المختصين في مجال علم النفس التربوي بجامعة السلطان قابوس، وتم إجراء التعديلات المطلوبة ليظهر بالصورة النهائية التي تم تطبيقها على عينة الدراسة، أما ثبات المقياس فقد تم حسابه بمعامل ألفا كرونباخ حيث كان معدل الثبات الكلي للمقياس هو (٠.٨٦) وهو معامل جيد للدراسة الحالية.

الجدول (٢)

معامل (الثبات) ألفا كرونباخ لأدوات الدراسة الثلاث (ن=٢٥٥)

	المقياس وأبعاده	***عدد الفقرات***	***معمل ألفا كرونباخ***
الهوية المهنية	المحصلة	٤	٠.٤٦
	المؤجلة	٤	٠.٥١
	المقيدة	٤	٠.٦٧
	الغامضة	٤	٠.٤٥
	جميع الفقرات	١٦	٠.٧١
	القلق	٢١	٠.٨٦

الأساليب الإحصائية:

تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية لمعالجة البيانات الواردة من استجابات الطلبة على أدوات الدراسة:

١- المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية.

٢- اختبار "ت" لتعرف الفروق بين متغيرات الدراسة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

أولا: السؤال الأول:

ينص السؤال على: **"ما الهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر من الذكور والإناث؟** وللإجابة عن السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلبة بشكل عام، ولاستجابات طلبة الصفين التاسع والعاشر، وللذكور والإناث كلا على حده والجدول (٣) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

الجدول (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للهوية المهنية مرتبة تنازليا

الهويات المهنية	***التاسع*** *(ن= ١٤٣)*		***العاشر*** *(ن=١١٢)*		***الذكور*** *(ن=١٣٣)*		***الإناث*** *(ن=١٢٢)*		***جميع الطلبة*** *(ن=٢٥٥)*	
	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع
المقيدة	**٢.٤٥**	٠.٧٠	**٢.٧٩**	٠.٨١	**٢.٣١**	٠.٧٢	**٢.٩٢**	٠.٦٩	**٢.٦٠**	٠.٧٧
الغامضة	٢.٣٥	٠.٦٧	٢.٤٧	٠.٦٥	٢.٢٨	٠.٧٣	٢.٥٣	٠.٥٦	٢.٤٠	٠.٦٦
المؤجلة	١.٨٢	٠.٥٤	٢.٠٢	٠.٦٩	١.٩١	٠.٥٧	١.٩١	٠.٦٧	١.٩١	٠.٦١
المحصلة	١.٦٥	٠.٥٦	١.٩٨	٠.٥٣	١.٨١	٠.٥٦	١.٧٨	٠.٥٨	١.٧٩	٠.٥٧

يتضح من الجدول (٣) أن الهوية المهنية للطلبة هي الهوية المقيدة، تليها الهوية الغامضة، ثم المؤجلة ، وأخيرا المحصلة، كما يتضح أن ترتيب الهوية لم يتأثر بمتغير الصف والجنس، حيث كان الترتيب نفسه في جميع الحالات. والشكل (١) يبين عرضا بيانيا للهويات المهنية لطلبة الصفي التاسع والعاشر.

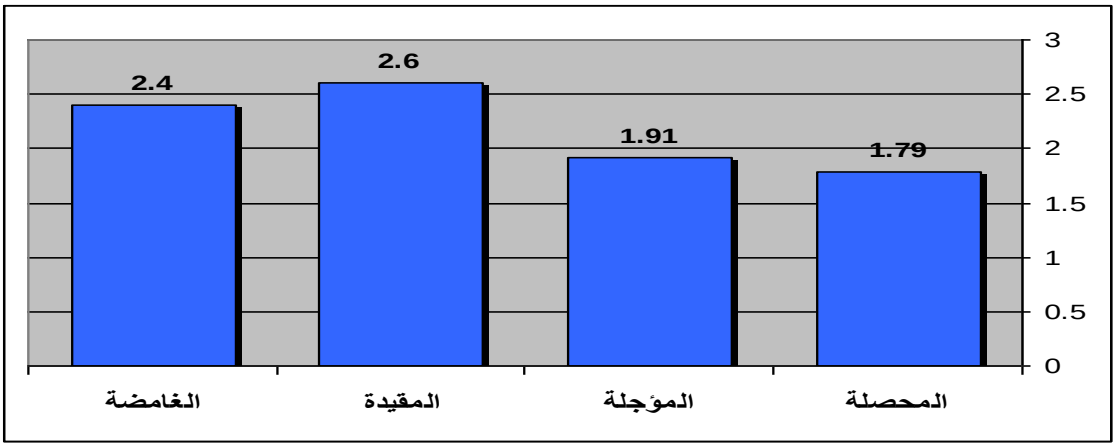

الشكل (١)

أعمدة بيانية للمتوسطات الحسابية للهويات المهنية لطلبة الصفين التاسع والعاشر (ن=٢٥٥)

وبالرجوع إلى نتيجة السؤال الأول والملاحظ خلالها أن الهوية المهنية لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر من الجنسين جاءت مرتبة (الهوية المقيدة، والهوية الغامضة، والهوية المؤجلة، والهوية المحصلة)، ولم تتأثر بمتغير الصف الدراسي والجنس، تتفق مع الدراسات التي أجريت حول الهوية المهنية، وكذلك أزمة الهوية حيث تشير الدراسات إلى أن مرحلة المراهقة وهي المرحلة التي ينتمي إليها الطلبة في هذين الصفين تتسم أكثر من غيرها بعدم وضوح الهوية، وقد تعطي هذه النتيجة تأييدا للرأي القائل بأن أزمة تحديد الهوية حقيقة نمائية، أي أنها مرتبطة بالمرحلة العمرية للفرد، فعلى الرغم من اختلاف البنية التكوينية للمجتمعات العربية والمجتمعات الغربية فإن أزمة تحديد الهوية تكون مسيطرة على المراهقين في تلك المجتمعات، وقد تكون مرتبطة بمرحلة المراهقة، مما يرجح القول بأن أزمة تحديد الهوية لدى هذه الفئة من الطلبة قد يعود للسبب نفسه.

وتشير الدراسات في هذا الجانب إلى أن فئة المراهقين (١٤ – ١٥) تعتبرا امتدادا لمرحلة الطفولة، ومن ثم فإن القدرة على التفكير المجرد التي تعتبر مطلبا لاستبصار الذات؛ الذي يؤدي بدوره إلى قدرة الفرد على التفكير في الهوية، قد تكون غير ظاهرة عند هذه الفئة من المراهقين. يضاف إلى ذلك أن المراهقين في بداية المراهقة والتي تتمثل في طلبة الصفين التاسع، والعاشر يتسمون بالمسايرة لمعايير الكبار وتبني أفكارهم وآرائهم ومعتقداتهم، لذلك فإن نتيجة الدراسة الحالية قد تتضح فيها ظاهرة تأثر الطلبة بأفكار آبائهم وأقاربهم ومعلميهم مما يجعل هويتهم المهنية تتصف بالمقيدة والمؤجلة.

وقد لا يحتوي المنهاج الدراسي على المعلومات، والبرامج الدراسية الموجهة لهوية الطلبة وكيفية التعامل معها، حيث لا يجد الطالب في هذه المرحلة التوجيه والإرشاد المناسب لتحقيق هويته المهنية. وتجدر الإشارة إلى ضرورة أن يلعب أخصائي التوجيه المهني دورا بارزا في المراحل المتقدمة من التعليم، خاصة في هذه الصفوف لتوضيح الهوية المهنية وأثرها على مستقبل الطلبة الأكاديمي، وضرورة غرس مبادئ الهوية وأفكارها في عقول الطلبة وتوجيههم لضرورة السعي لتحقيق هويتهم المهنية لكونها تحدد طبيعة مستقبلهم.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة موليس وآخرون (Mullis et al., 2008) التي أكدت بأن طلبة المدارس الهندية يتسمون بهوية مغلقة، وطلبة المدارس الأمريكية يتسمون بالهوية المشتتة. واتفقت كذلك مع دراسة ميوس وآخرون (Meeus et a.,l 2010) التي أثبتت وجود حالة الانغلاق والتحقيق في الهوية لدى عينة الدراسة من طلاب وطالبات المدارس الإعدادية والثانوية في هولندا.

أما دراسة البلوشي(٢٠١٤) فقد أشارت إلى شيوع حالة التأجيل لدى طلبة الصفوف (٨-١١) في مدارس التعليم الأساسي وما بعد الأساسي بسلطنة عمان.

ثانيا: السؤال الثاني:

ينص السؤال الثاني على: **"هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية حسب متغير النوع الاجتماعي (ذكر، أنثى)؟"** وللإجابة عن السؤال الثاني تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الذكور والإناث كل على حدة، وتم استخدام اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين، تراوحت قيم "ت" المحسوبية بين (٠.٠٩٣ – ٦.٩٢٩)، قيمتان منهما دالة إحصائيا، هما الهوية المقيدة والهوية المؤجلة، وكلاهما كان متوسط الإناث أعلى من الذكور. والجدول (٤) يتضمن خلاصة نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين.

الجدول (٤)

خلاصة نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين لمعرفة أثر متغير النوع في الهوية المهنية

الهوية	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف	قيمة "ت"	الدلالة
المحصلة	ذكور	١٣٣	١.٨١	٠.٥٦	٠.٣٥٩	غير دالة
	إناث	١٢٢	١.٧٨	٠.٥٨		
المؤجلة	ذكور	١٣٣	١.٩١	٠.٥٧	٠.٠٩٣	غير دالة
	إناث	١٢٢	١.٩١	٠.٦٧		
المقيدة	ذكور	١٣٣	٢.٣١	٠.٧٢	٦.٩٢٩	٠.٠٠١
	إناث	١٢٢	**٢.٩٢**	٠.٦٩		
الغامضة	ذكور	١٣٣	٢.٢٨	٠.٧٣	٣.٠٩١	٠.٠٠٢
	إناث	١٢٢	**٢.٥٣**	٠.٥٦		

بالرجوع إلى النتيجة الواردة في الجدول (٤) يتضح أن قيمة "ت" تراوحت بين (٠.٠٩٣ – ٦.٩٢٩)، وأن قيمة الهوية المقيدة والهوية الغامضة دالة إحصائيا لصالح الإناث، حيث كان متوسط الهوية المقيدة (٢.٩٢)، ومتوسط الهوية الغامضة (٢.٥٣). وتشير هذه النتيجة إلى أن الهوية المهنية لدى الإناث تتسم بالغموض والتقيد، وقد يعزى ذلك إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية للفتاة بسلطنة عمان والمجتمعات العربية، فما زالت الفتاة تتلقى قراراتها من أبيها وأسرتها وتتقيد بذلك، لذلك تتأثر الهوية المهنية وكيفية تحديدها والسعي لإيجاد الهوية الممثلة لرغبات الفتاة بقرارات، وقناعات وأفكار الأب والأخ والأقارب، وهذا ما يمليه العرف الاجتماعي والعادات السائدة في المجتمع العربي، وهذا ما يجعل الهوية المهنية أكثر غموضا وتقيدا لدى البنت مقارنة بالولد.

يضاف إلى ذلك محدودية علاقات ومشاركات الفتاة خارج نطاق الأسرة والمجتمع، واكتسابها لخبرات الحياة والمعارف والمهارات اللازمة لتكوين الهوية المهنية قبل التعليم الجامعي، وهذا يتطلب تفعيل دور التوعية والإرشاد التربوي والاجتماعي والمهني للطلبة خاصة الطالبات، وتوضيح أهمية معرفة وتحديد الهوية المهنية للطالبة في هذه المرحلة العمرية، ومدى ارتباطها بالمراحل الدراسية وتحديد المستقبل المهني لها.

وتختلف نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كونتوري وهاري (Kountouri & Hurry, 2008) التي توصلت إلى وجود فروق ذات إحصائية بين الذكور والإناث في الهوية بشكل عام تعود لمتغير النوع الاجتماعي لصالح الإناث. ويبدو أن تأثير ثقافة المجتمع والتنشئة الاجتماعية لها دور واضح خاصة أنها أجريت على المدارس الثانوية باليونان وأمريكا الشمالية. واتفقت الدراسة الحالية مع دراسة موليس وآخرون (Mullis et al., 2008) التي أثبتت وجود اختلاف بين الذكور والإناث في مفهوم الهوية لصالح الذكور.

واختلفت مع دراسة ميوس وآخرون (Meeus et al., 2010) التي أكدت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مفهوم الهوية تعود لمتغير النوع. واتفقت مع دراسة البلوشي (٢٠١٤) التي أثبتت وجود فروق بين الذكور والإناث في حالة تشتت الهوية تعزى للتفاعل بين النوع الاجتماعي والصف الدراسي لصالح طلبة الصف الثامن. ونتيجة الدراسة الحالية توجه بضرورة تبصير الطلبة في مراحل التعليم الأساسي وما بعد الأساسي إلى مفهوم الهوية المهنية وارتباطها بخياراتهم المهنية لمستقبلهم التحصيلي والمهني.

ثالثا: السؤال الثالث:

ينص السؤال الثالث على: "**هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية حسب متغير الصف (تاسع، عاشر)؟**" للإجابة عن السؤال الثالث تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات طلبة الصفين التاسع والعاشر كل على حدة، وتم استخدام اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين، تراوحت قيم "ت" المحسوبة بين (١.٣٩٦-٤.٧٧٢)، ثلاث قيم منها دالة إحصائيا، هي: الهوية المحصلة، والمؤجلة والمقيدة، كان متوسط طلبة الصف العاشر أعلى من متوسط طلبة الصف التاسع. والجدول (٥) يتضمن خلاصة نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين.

الجدول (٥)

خلاصة نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين لمعرفة أثر متغير الصف في الهوية المهنية

الهوية	الصف	العدد	المتوسط	الانحراف	قيمة "ت"	الدلالة
المحصلة	تاسع	١٤٣	١.٦٥	٠.٥٦	٤.٧٧٢	٠.٠٠١
	عاشر	١١٢	**١.٩٨**	٠.٥٣		
المؤجلة	تاسع	١٤٣	١.٨٢	٠.٥٤	٢.٥٧٠	٠.٠١١
	عاشر	١١٢	**٢.٠٢**	٠.٦٩		
المقيدة	تاسع	١٤٣	٢.٤٥	٠.٧٠	٣.٦٣٩	٠.٠٠١
	عاشر	١١٢	**٢.٧٩**	٠.٨١		
الغامضة	تاسع	١٤٣	٢.٣٥	٠.٦٧	١.٣٩٦	غير دالة
	عاشر	١١٢	٢.٤٧	٠.٦٥		

بالرجوع إلى الجدول السابق نجد أن قيمة (ت) جاءت دالة إحصائيا بالنسبة للهوية المحصلة (٠.٠٠١)، وللهوية المؤجلة (٠.٠١١)، وللهوية المقيدة (٠.٠٠١)، وكلها لصالح طلبة الصف العاشر بالرجوع إلى متوسط الدرجات، ويمكن تفسير ذلك بأن طلبة الصف العاشر أكثر إدراكا وتفكيرا لمستقبلهم، ويسعون من خلال دراستهم الاكاديمية إلى تحقيق ذواتهم، ومن ثم فإن قراراتهم الدراسية مرتبطة بدوافع ورغبات داخلية، وقد يبرز هذا الأمر التجربة التي شرعت بها وزارة التربية والتعليم بتوفير أخصائي توجيه مهني في مرحلة التعليم العام.

الأمر الذي ينعكس إيجابا على خيارات الطلبة المهنية والقدرة على اتخاذ قرارات أكاديمية صحيحة، يضاف إلى ذلك مرحلة المراهقة التي يتصف فيها الفرد بالنشاط والقدرة على الاستيعاب؛ والذي بدوره يساعد الطالب في الصف العاشر على الاستقلالية، وإطالة التفكير والاستفادة من تجارب الآخرين. واتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة موليس وآخرون (Mullis et al., 2008) التي وجدت فروقا ذات دلالة إحصائية عند الطلبة من أعمار (١٣ -١٥) مقارنة مع الطلبة الأكبر سنا (١٦ - ١٨) حيث اتسمت المجموعة الأولى بالهوية المغلقة، واتسمت المجموعة الثانية بتحقيق الهوية. وأثبتتا دراسة البلوشي (٢٠١٤) وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الصف الدراسي في حالة تأجيل الهوية لصالح الصف الثامن، وفي حالة الانغلاق لصالح الصف الثامن والتاسع.

رابعا: السؤال الرابع:

ينص السؤال الرابع على: **"هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية المهنية حسب متغير القلق (مرتفع، منخفض)؟"** للإجابة عن السؤال الرابع تم تحديد الطلبة ذوي القلق المرتفع (أعلى ٢٥%)، والطلبة ذوي القلق المنخفض (أدنى ٢٥%)، بلغ حجم كل مجموعة (٦٤) طالبا وطالبة، بعد ذلك تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المجموعتين كل على حدة، وتم استخدام اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين، تراوحت قيم "ت" المحسوبة بين (٠.٠٢٩-١.٢٢٤)، وجميعها غير دالة إحصائيا، وهذه النتيجة تشير إلى عدم تأثر الهوية المهنية للطالب بمستوى قلقه. والجدول (٦) يتضمن خلاصة نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين.

الجدول (٦)

خلاصة نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين لمعرفة أثر متغير القلق في الهوية المهنية

الهوية	القلق	العدد	المتوسط	الانحراف	قيمة "ت"	الدلالة
المحصلة	منخفض	٦٤	١.٧٩	٠.٦٦	٠.٠٢٩	غير دالة
	مرتفع	٦٤	١.٧٩	٠.٥٥		
المؤجلة	منخفض	٦٤	١.٩٣	٠.٦٥	١.٢٢٤	غير دالة
	مرتفع	٦٤	٢.٠٦	٠.٦٠		
المقيدة	منخفض	٦٤	٢.٧١	٠.٨١	٠.٨١٠	غير دالة
	مرتفع	٦٤	٢.٦٠	٠.٧٢		
الغامضة	منخفض	٦٤	٢.٥٢	٠.٦٦	٠.٩٨٦	غير دالة
	مرتفع	٦٤	٢.٤٠	٠.٧٤		

يتضح من خلال الجدول (٦) أن قيم (ت) المحسوبة جاءت غير دالة إحصائيا، وهي تشير بذلك إلى عدم تأثر الهوية المهنية للطلبة بمستوى القلق (مرتفع، منخفض). ويمكن أن يعزى ذلك إلى قلة إدراك الطلبة ومعرفتهم بالهوية المهنية، وأثرها على مستقبلهم المهني، إذ أن الطلبة إذا أدركوا أهمية الهوية المهنية، وبذلوا جهودا في تحقيقها؛ لتولد لديهم خوف وقلق من عدم تحقيقها، ولذلك عدم المعرفة ونقص الخبرة والتوجيه أثر في استجابات الطلبة مما جعل تأثر الهوية المهنية بارتفاع القلق وانخفاضه أمرا عاديا.

التوصيات

١. إعداد وتنفيذ ورش تدريبية للطلبة والمعلمين عن الهوية المهنية وأنواعها وعلاقتها بالتحصيل الدراسي.
٢. تزويد مدارس الحلقة الثانية بالمصادر والمراجع والدراسات الداعمة لمفهوم الهوية لدى الطلبة.
٣. إصدار نشرات توعوية عن حالات الهوية للطلبة في مدارس ما بعد التعليم الأساسي.
٤. إقامة ملتقيات تربوية لمناقشة دور المعلم وأخصائي التوجيه المهني في تعريف الطلبة بحالات الهوية وأساليب تنميتها.
٥. تعريف طلبة المدارس في التعليم ما بعد الأساسي بالمتغيرات المؤثرة على حالات الهوية وكيفية التعامل معها.
٦. مشاركة أولياء الأمور في الحلقات النقاشية والمحاضرات المتعلقة بحالات الهوية عند أبنائهم

المقترحات:

١. دراسة العلاقة بين حالات الهوية وبعض المتغيرات النفسية لدى طلبة التعليم ما بعد الأساسي بسلطنة عمان.

٢. حالات الهوية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية والنوع الاجتماعي والصف الدراسي لدى طلبة الصف العاشر بسلطنة عمان.
٣. التوافق النفسي ومفهوم الذات وعلاقته بحالات الهوية لدى طلبة الصف الحادي عشر بسلطنة عمان.
٤. برنامج مقترح لتنمية الهوية المهنية لدى طلبة الصف الثامن بسلطنة عمان.
٥. حالات الهوية وعلاقتها بالاستعداد المهني لدى طلبة الصف الحادي عشر بسلطنة عمان.

المراجع:

الأحمد، عبدالعزيز(٢٠١١). أزمة الهوية لدى الشباب الجامعي الكويتي في ظل التغيرات والتحديات المعاصرة، **المجلة التربوية**، ١ (٩٨) ، ٣٢٩-٣٣٧.

بلغيث، سلطان (٢٠١١). مظاهر أزمة الهوية لدى الشباب. **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، (عدد خاص الملتقى الدولي الأولى حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري)، ٣٤٨-٣٦٣.

البلوشي، باسمة (٢٠١٤). **حالات الهوية وعلاقتها بأساليب التفكير لدى طلبة الصفوف (٨-١١) بمحافظة مسقط** (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية التربية جامعة السلطان قابوس.

البيلي، محمد عبد الله؛ والعمادي، عبد القادر، والصمادي، أحمد عبد المجيد (١٩٩٨). **علم النفس التربوي وتطبيقاته**. عمان: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

الخطيب، صالح (٢٠٠٥). الميول المهنية لطلاب المرحلة الثانوية بدولة الإمارات العربية المتحدة وعلاقتها بكل من التحصيل والتخصص الدراسيين. **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، ٣**(١)، ٤٣-٨٣.

رضوان، فاطمة الزهراء (٢٠١٢). الإرشاد بالواقع للتخفيف من أزمة الهوية لدى الشباب الجامعي. **مجلة القراءة والمعرفة** ١٣٤، ٢٠٣-٢٢٣.

عبد المعطي، حسن مصطفى (١٩٩١). التنشئة الأسرية وأثرها في تشكل الهوية لدى الشباب الجامعي. **مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق**، ١٤، ٢٣٣ – ٢٧٨.

الوحيدي، لبنى (٢٠١٢). **الحكم الخلقي وعلاقته بأبعاد هوية الأنا لدى عينة من المراهقين المبصرين والمكفوفين في محافظات غزة** (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

Bergh, S., & Erling, A. (2005). Adolescent identity formation: A Swedish study of identity status using the EOM EIS-II. **Adolescence**, 40(158), 377-396.

Kountouri, O., & Hurry, J. (2008). Political, religious and occupational identities in context: Placing identity status paradigm in context. **Journal of Adolescence**, 31, 241-258.

Marcia, J. (1966). Development and validation of ego-identity status. **Journal of Personality and Social Psychology**, 3 (5), 551-558.

Meeus, W., Iedema, J., Helsen, M., & Vollebergh, W. (1999). Patterns Adolescent Identity Development: Review of Literature and Longitudinal Analysis. **Developmental Review**, 19, 419-461.

Meeus, W., Schoort, R., Keijsers, L., Schwartz, S., & Branje, S. (2010). On the progression and Stability of Adolescent Identity Formation: A Five - wave Longitudinal Study in Early -to- Middle and Middle-to-Late Adolescence. **Child Development**, 81(5), 1565-1581.

Mullis, A., Mullis, R., & Graf, S. (2008)**.** Identity formation of United States American and Asian Indian adolescents. **Adolescence**, 34(179), 57-69.

****

أمارابك: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ٤٥-٥٨

استخدام البرمجة الخطية في تعظيم الأرباح بالتطبيق على شركة مدني للصناعات الغذائية بالسودان

محمد حسن محمود فرج [١]
فائزة محمد الحسن خليل [٢]
الهادي عبد القادر حسن [٣]

الملخص: هذا البحث يتعلق باستخدام البرمجة الخطية للحصول على أكبر ربح ممكن لمنتجات شركة مدني للصناعات الغذائية بالسودان، وذلك وفقاً للقيود المفروضة من محدودية مدخلات الإنتاج. أجري التحليل على بيانات تم أخذها من الشركة المذكورة لمنتجات العام ٢٠٠٨ والتي تتعلق بإنتاج خمسة مشروبات غازية هي البيبسي كولا، ميرندا التفاح، ميرندا البرتقال، ميرندا التوت، وميرندا الفراولة. استخدم في البحث المنهج الوصفي والتحلي. ومن خلال النتائج التي تم تحليلها ببرنامج SPSS وبرنامج LINDO كانت أهم النتائج أنه إذا أرادت الشركة تعظيم دخلها، حسب الخطة المثلى وجب عليها إنتاج ثلاثة أنواع فقط من المشروبات الغازية، وهي البيبسي كولا، وميرندا البرتقال وميرندا التوت. وأن الخطة التي اتبعتها الشركة في إنتاجها لم تكن مثلى في الحصول على أكبر ربح ممكن. وكانت التوصيات المهمة هي أن تتبنى الشركة أسلوب البرمجة الخطية في خططها الإنتاجية وتستخدم تحليل حساسية النموذج للتغيرات التي تطرأ على مكونات النموذج.

الكلمات المفتاحية: برمجة خطية، صناعات غذائية، مشروبات غازية، مدني، السودان.

Using of linear programming to maximize profits – Applied Study on Medani Company for Food Industries (Sudan)

Mohamed Hassan Mahmoud Farg
Faiza Mohamed Elhassan Khali
Elhadi Abdelgadir Hassan

Abstract: This research tackles the use of linear programming to get the maximum possible profit for Medani Products Company for Food Industries, Sudan, and in accordance with the limitations of production inputs. The analyzed data was taken from the products of mentioned company for the year 2008 with reference to the production of five soft drinks Pepsi Cola, Apple Miranda, Orange Miranda, blueberry Miranda and strawberry Miranda. Descriptive analytical method was adopted using the SPSS and LINDO programs. The most important findings were that if the company needs to maximize its income, according to the plan it should produce only three brands of soft drinks, which are Pepsi Cola, Orange Miranda and blueberry Miranda. And that the plan followed by the company in the production was not optimal to obtain the biggest possible profit. The important recommendation is that the Company should adopt the method of linear programming in its production plans using the Sensitivity Analysis of the model for the changes that occur to its components.

Keywords: linear programming, Food industry, soft drinks, Medani, Sudan.

[١] أستاذ مشارك تخصص إحصاء، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان وجامعة شقراء بالمملكة العربية السعودية mhmfaraj@gmail.com
[٢] أستاذ مشارك تخصص اقتصاد، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان وجامعة شقراء بالمملكة العربية السعودية fayza@gmail.com
[٣] أستاذ محاضر تخصص إحصاء، كلية المحيريبا بالسودان وجامعة الإمام محمد بن سعود بجيبوتي wdelrawi@yahoo.com

١ـ المقدمة:

١ـ١ تمهيد:

تبحث البرمجة الخطية في توزيع الموارد المحددة بين الاستخدامات البديلة ضمن إطار القيود المفروضة لتحقيق أهداف المنشأة، وذلك في حالة تعظيم (Maximization) قيمة الهدف، مثل تعظيم العائد النقدي وتعظيم المبيعات، أو في تقليل (Minimization) قيمة الهدف، مثل تصغير التكلفة (أبو العينين،٢٠٠٩، ص١٢).

تركز هذه الدراسة علي شركة مدني للصناعات الغذائية بالسودان والتي تم إنشاؤها عام ١٩٩٢م، والتي شأنها في ذلك شأن كل منشآت الأعمال الأخرى التي تسعى لتعظيم الربح. وصناعة المشروبات الغازية تحتاج إلي مدخلات إنتاج عديدة من مواد أولية وموارد بشرية وماكينات توزع على مختلف أنواع المنتجات المراد إنتاجها. ولذلك فإن توزيعها بشكل أمثل على مختلف هذه الأنشطة يُمكن الشركة من زيادة عائداتها.

١ـ٢ مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في عدم الإنتاج الأمثل للشركة.

١ـ٢ فروض البحث:

يفترض هذا البحث أن استخدام الأساليب الكمية يلعب دوراً فعالاً في زيادة عائد شركة مدني للصناعات الغذائية والمصانع العاملة في صناعة المشروبات الغازية في السودان، أضف إلي ذلك أن خطط الإنتاج التي تتبعها هذه الشركات والمصانع لا تقوم علي أي أساس علمي، كما أنها لا تمتلك آليات للتنبؤ بالتغيرات المستقبلية التي تحدث لأرباح الشركة بسبب الظروف والتغيرات المختلفة التي تحيط بها.

١ـ٣ أهداف البحث:

استخدام البرمجة الخطية في وضع خطة تمكن متخذ القرار في الشركة من اختيار أمثل الحلول وتحقيق أعظم ربح وفق القيود والمعطيات المادية والتقنية المتوفرة لدى الشركة.

١ـ٤ مصادر البيانات:

مصادر البيانات هي السجلات والملفات الخاصة بشركة مدني للصناعات الغذائية، وهي عبارة عن تقارير يومية وشهرية عن الإنتاج والمبيعات وكمية المواد الأولية المستهلكة خلال العام ٢٠٠٨، إلي جانب الكتب والبحوث التي تناولت موضوع البرمجة الخطية وأسلوب تحليل الحساسية وموضوع الصناعات الغازية في السودان.

١ـ٥ منهجية البحث:

انتهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي في جمع وعرض بيانات الإنتاج بأنواعه المختلفة والكميات المنتجة خلال العام (٢٠٠٨) جدولياً وبيانياً، بالإضافة إلى توضيح المتغيرات الأخرى

التي تمثل القيود والمعادلات والمتباينات التي توضح العلاقة بين الكميات المباعة من كل نوع. وانتهجت المنهج التحليلي في التحليل، وبصورة أساسية على البرمجة الخطية، بالإضافة إلي المقارنات التحليلية.

١-٦ متغيرات البحث:

١ - متغير دالة الهدف وهو الإنتاج.
٢ - متغيرات القيود وتشتمل على: متغير كمية السكر الداخلة في صناعة كل نوع من أنواع المشروبات الغازية المنتجة، كمية المياه المعالجة اللازمة لإنتاج المشروبات الغازية بمختلف أنواعها، كمية المركزات التي تلزم إنتاج كل نوع من أنواع المشروبات، وكمية الصودا الكاوية. ومبيعات الشركة من هذه المشروبات بمختلف أنواعها. كذلك كمية الإنتاج من البيبسي كولا التي تحددها الشركة الأم لشركة مدني للصناعات الغذائية.

١-٧ أهمية البحث:

صناعة المشروبات الغازية من أهم صناعات السلع الاستهلاكية التي تلعب دوراً مهماً وفاعلاً في الاقتصاد القومي ويتمثل ذلك في الآتي:

أ- تنمية الاقتصاد القومي عن طريق تصنيع المنتجات محلياً بدلاً من استيرادها من الخارج مما يوفر عملات صعبة يمكن الاستفادة منها في جلب بعض مدخلات الإنتاج وقطع الغيار.
ب- زيادة حجم العمالة في البلاد، إذ نجد أن هناك الآلاف من السودانيين يعملون في صناعة المشروبات الغازية وتسويقها في السودان.
ج- مصدر إيراد للحكومة لإخضاعها للضرائب والجمارك والرسوم وغيرها.
د- تشجيع بعض الأنشطة الاقتصادية المساعدة والتي تقوم بها البنوك وشركات التأمين والتوزيع.
هـ- أما أهمية البحث لشركة مدني للصناعات الغذائية وغيرها من شركات ومصانع المشروبات الغازية تتمثل في حصولها على نموذج يعظم ربحها، ومعرفة نمط الانتاج والاستهلاك.
و- اضافة علمية لكي تسهم الشركات الإنتاجية في زيادة إنتاجها

١-٨: أدوات وصف وتحليل البيانات

تم استخدام برنامج SPSS في وصف البيانات وبرنامج Lindo في تحليلها.

٢- الاطار النظري للبحث

٢-١ تمهيد:

بحوث العمليات من العلوم الحديثة ويرجع تاريخ استخدامها إلي النصف الأول من القرن الماضي وقد ارتبط هذا العلم بالمفاهيم العسكرية وذلك للاستفادة من هذه الأساليب في الحرب العالمية الثانية، وبريطانيا من أوائل الدول التي استخدمت أساليب بحوث العمليات في وضع الاستراتيجيات المتعلقة بالدفاع الأرضي والجوي بهدف الاستخدام الأمثل للموارد الحربية لتحقيق

أقصي انتصار علي الأعداء وبأقل الخسائر في العتاد والأفراد، وساهم النجاح الذي حققته بريطانيا في الحرب العالمية الثانية باعتمادها أساليب بحوث العمليات في دول الحلفاء.

إن النتائج المشجعة التي توصل لها فريق بحوث العمليات البريطاني، حثت الإدارة الأمريكية إلي القيام بأنشطة مماثلة، وقد شملت علي مسائل إمداد ونقل الجنود، اختراع أنماط جديدة، تخطيط لغم البحار، الاستخدام الأمثل للتجهيزات الالكترونية.

حسب باقية ونائب (١٩٩٩)م أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ونتيجة للنجاح الكبير الذي حققته الإدارات العسكرية في بريطانيا وأمريكا، جذب انتباه الإدارات الاقتصادية والإدارية والهندسية المختلفة نحو الحقل الجديد من المعرفة، وبدأت هذه الإدارات في الدول المتقدمة بإنشاء مراكز بحوث متخصصة تضم اختصاصيين من جميع العلوم من أجل إيجاد الحلول المثلي للمشكلات التي كانت تواجههم.

٢-٢ تعريف بحوث العمليات:

هنالك تعاريف عديدة لبحوث العمليات من أبرزها:" بحوث العمليات تدور حول استخدام التحليل الكمي لمساعدة الإدارة في اتخاذ القرارات مع الاعتماد بالدرجة الأولي علي الأساليب الرياضية المتقدمة" وفي تعريف المعزاوي (١٩٨٣)م، " بحوث العمليات عبارة عن استخدام الطرق والأساليب والأدوات العلمية لحل المشاكل التي تتعلق بالعمليات الخاصة بأي نظام بغرض تقديم الحل الأمثل لهذه المشاكل للقائمين علي إدارة هذا النظام".

٢ – ٣ مراحل تطبيق بحوث العمليات:

المنشآت بمختلف أنواعها تجارية ربحية أو خدمية فإنها تقدم السلع أو الخدمات عبر وظائف مختلفة من: إدارة الإنتاج، الإدارة المالية، الأفراد، المبيعات، والتسويق، والنقل،... وغيرها من أقسام، وكل قسم من هذه الأقسام تخلله المشاكل، والأساليب التي تستخدم في حل أي مشكلة في أحد الأقسام لا تناسب حل مشاكل الأقسام الأخرى، ولتطبيق أساليب بحوث العمليات في حل المشاكل التي تواجه المنشآت في وظائفها المختلفة هنالك مراحل يمكن إيجازها في الآتي:

١. تحديد المشكلة والقسم الذي حدثت به.
٢. تحديد الأسلوب المناسب من أساليب بحوث العمليات.
٣. تسمية عوامل ومتغيرات المشكلة برموز.
٤. صياغة النموذج الرياضي للتعبير عن المشكلة.
٥. حل النموذج الرياضي والحصول علي الحلول الممكنة للمشكلة وتحديد الحل الأمثل.

٢ – ٤ البرمجة الخطية:

البرمجة الخطية جزء من بحوث العمليات وهي إحدى الطرق العلمية المعتمدة في الأساليب الكمية، لاتخاذ القرار، وهي إحدى أهم التقنيات الرياضية المستخدمة بشكل واسع في مختلف المجالات. وقد صممت لتساعد المديرين في التخطيط واتخاذ القرارات المثلي، لاستخدام الموارد وتحقيق أفضل هدف، وقد ازداد تطبيق البرمجة الخطية في الآونة الأخيرة لحل الكثير من المشاكل

التخطيطية والاقتصادية والعسكرية نظراً لاستخدام الحاسبات الآلية على نطاق واسع. وعلى أثر التقدم التكنولوجي بدأ تطبيق هذا العلم في مجالات مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، في المجال المالي كما ورد في إسماعيل (٢٠٠٥)م وأبو زيد(٢٠٠٦)م، وفي المجال العسكري كما في الصِّفدي(١٩٩٩)، في المجال الصناعي والزراعي كما في جواد والفتال(٢٠٠٨)، راتول (٢٠٠٨)م، زين الدين(١٩٩٧)م، الفياض وقدادة (٢٠٠٧)م والنيداني (١٩٩٨)م. وفي مجال التنظيم الإداري كما في قاسم(١٩٩٢)م، ماضي(١٩٩٨)، ماضي(١٩٩٩)م، مرجان(٢٠٠٢)م، مشرقي (١٩٩٧)م، علي (١٩٨٢)م والفضل (٢٠٠٨)م.

تبحث البرمجة الخطية في توزيع المواد المحدودة بين الاستخدامات البديلة ضمن إطار القيود المفروضة لتحقيق أهداف المنشأة، وذلك في حالة تعظيم الهدف، مثل تعظيم العائد النقدي وتعظيم المبيعات. أو في تقليل قيمة دالة الهدف، مثل تقليل التكلفة.

٢-٥ مستلزمات البرمجة الخطية:

يستلزم تطبيق البرمجة الخطية حسب كوبتا Cupta م (1991)م وكوثاري Kothari (1978)م توافر الخصائص التالية:

١. دالة الهدف Objective Function: يجب تحديد الهدف الذي تسعى المنشأة إلي تحقيقه من وراء حل المشكلة، والهدف إما أن يكون تحقيق أقصى عائد ممكن أو تخفيض التكاليف إلي أدني حد ممكن.
٢. المحددات أو القيود:Constrainsأن تكون الموارد المتاحة للإنتاج وتحقيق الهدف محدودة. وهذا يعني أنه لا حاجة لبرمجة الموارد التي لا تتصف بالمحدودية. وقد تتمثل هذه الموارد في رأس المال، القوى العاملة، الطاقة التشغيلية للماكينات وغيرها.
٣. البدائل Alternatives: وجود بدائل لاستخدام الموارد المتاحة قيد البرمجة، بحيث يكون في مقدور متخذ القرار اختيار واحد من هذه البدائل.
٤. الكمية Quantitative: إمكانية التعبير عن دالة الهدف والقيود بصورة كمية (رقمية).
٥. الخطية Linearity: وجود علاقة خطية بين العوامل المتغيرة في المشكلة الخاضعة للبرمجة، أي أن تكون دالة الهدف والقيود المفروضة على المشكلة من الدرجة الأولى سواء كانت على هيئة معادلات أو متباينات.

هنالك عدة حلول في البرمجة الخطية لكن الحل الأمثل:Optimal Solution هو الحل المقبول (أي الذي يحقق كافة القيود) إضافة إلي ذلك يجعل قيمة دالة الهدف في نهايتها العظمى أو في نهايتها الصغرى.

٢-٣ تحليل الحساسية Sensibility Analysis في البرمجة:

حسب ماضي (١٩٩٨)م، مشرقي (١٩٩٧)م، مرسي (٢٠٠٦)م وقاسم (١٩٩٢)م يعتبر تحليل الحساسية من الموضوعات المهمة جدا لمتخذ القرار بسبب ديناميكية البيئة التي نعيش فيها، حيث تتغير أسعار المواد الأولية باستمرار، وكذلك يتغير مستوى الطلب على المنتج، حيث افتراضنا للوصول إلى الحل الأمثل في البرمجة الخطية يجب تثبيت الأسعار الخاصة بالمواد

الأولية وبالسلعة المنتجة، وتجب معرفة تامة للمصادر المتاحة. لكن في الواقع إذا أنتجنا نوع من السلع وأردنا تسويقها فإن هنالك عدة ظروف منها ما يتعلق بالتطور التكنولوجي، وحالة الاقتصاد العام من ركود (كساد) ورواج، وفي مثل هذه الحالات يثار التساؤل حول ما إذا كان الحل الأمثل سوف يتغير أو يبقى كما هو؟ وإذا كان سيتغير هل لا بد من حل كل المشكلة مرة أخرى بالقيم الجديدة للوصول إلى الحل الأمثل الجديد دون حل المشكلة مرة أخرى؟ الإجابة على ذلك تكمن في ما يعرف بتحليل الحساسية والذي يقيس درجة حساسية الحل الأمثل الحالي للتغير في القيم الواردة في المشكلة الأصلية. ويمتاز هذا المدخل بتوفير تكلفة وجهد إعادة حل المشكلة مرة أخرى حتى في حالة استخدام الكمبيوتر، وعليه فإن تحليل الحساسية هو دراسة التغير الحاصل في قيمة الحل الأمثل في حالة تغير معاملات المشكلة. ويفيد استخدامه في معرفة تأثير حدوث أي تغير في معاملات دالة الهدف، كمية الموارد المتاحة، ومعاملات قيود المشكلة. وحسب قاسم (١٩٩٢)م والفضل (٢٠٠٨)م يجرى تحليل الحساسية وفقاً للتغيرات في معاملات المتغيرات الأساسية، وحساب مدى التغير في الإمكانيات المتاحة (ثوابت القيود) ثم قياس تأثير التغير على دالة الهدف.

٣- تحليل الإنتاج لشركة مدني للصناعات الغذائية

٣-١ وصف البيانات

تنتج شركة مدني للمشروبات الغازية خمسة أنواع من المشروبات الغازية هي البيبسي كولا، ميرندا البرتقال، ميرندا التفاح، ميرندا فراولة وميرندا توت،وكل هذه المشروبات من الحجم الصغير ٢٥٠ مل. تعبئ الشركة المشروبات في صناديق يحتوي الصندوق علي ٢٤ زجاجة، ويعتبر الصندوق وحدة الإنتاج المتعامل بها في التسعير والبيع والشراء، والجدول رقم (١) يوضح إنتاج الشركة من المشروبات الغازية بأنواعها المختلفة خلال عام(٢٠٠٨).

جدول رقم (١) إنتاج المشروبات الغازية بشركة مدني للصناعات الغذائية خلال العام (٢٠٠٨)م:

المشروب	بيبسي كولا	ميرندا البرتقال	ميرندا التفاح	ميرندا الفراولة	ميرندا التوت
يناير	١٨٥١٠٧	٥٠١٨٢	٥٤٠٦٩	٠	٣٣٥٠
فبراير	١٣٥٧٣٧	٣٧٣٠٨	٤٣٤١٠	٠	٠
مارس	١٨٥٤١٩	٤٦٠٩٩	٦٠٨٧٣	٠٣٢٥٢	٣٢٨٣
أبريل	١١٤١٨٠	٤٤٠٦٩	٤٥٤٨٢	٤٣٥٣	٣١٩٨
مايو	٢٦١٤٦٣	٤٣٦٥٦	٣٥١٣٧	٤٢٠٠	٦٦٤٣
يونيو	٢٣٤١١٣	٤٠٣٩٩	٢٧٠٧٠	٣٢٧٢	٤٣٢٥
يوليو	٢٢٩٠٥٨	٤١١٠٥	٢٤٣٩٩	٥٣٨٣	٨٧٤٣
أغسطس	١٢٢٩٢٥	٢٥٠٧٢	٩٨٨٩	٠	٠
سبتمبر	١٤٣٤٧٥	٤٢٦٣٨	١٥١٨٦	١١٠١٤	٠
أكتوبر	٠٨٢٩٤٢	٢٥٢٩١	١٢٨٠٥	٠	٣١٧٨
نوفمبر	١٤١٤٣٨	٢٥١٠٣	٩٧٢٤	٦٥٩٢	٠
ديسمبر	١٨٦٥٩٦	٢٢٢١٢	١٢٧٨٠	١٣٢٢٤	٤٤١٦

المصدر: قسم الإنتاج لشركة مدني للصناعات الحديثة.

ومن الملاحظ أن مشروب البيبسي كولا المنتج الرئيس ويمثل إنتاجه أعلي إنتاج ويرجع ذلك لارتفاع الطلب عليه، وتأتي بقية أنواع المشروبات بالترتيب التالي: ميرندا البرتقال, ميرندا التفاح, ميرندا الفراولة ثم ميرندا التوت. ويمكن توضيح وصف بيانات الجدول رقم(١) بيانيا في الشكل(١).

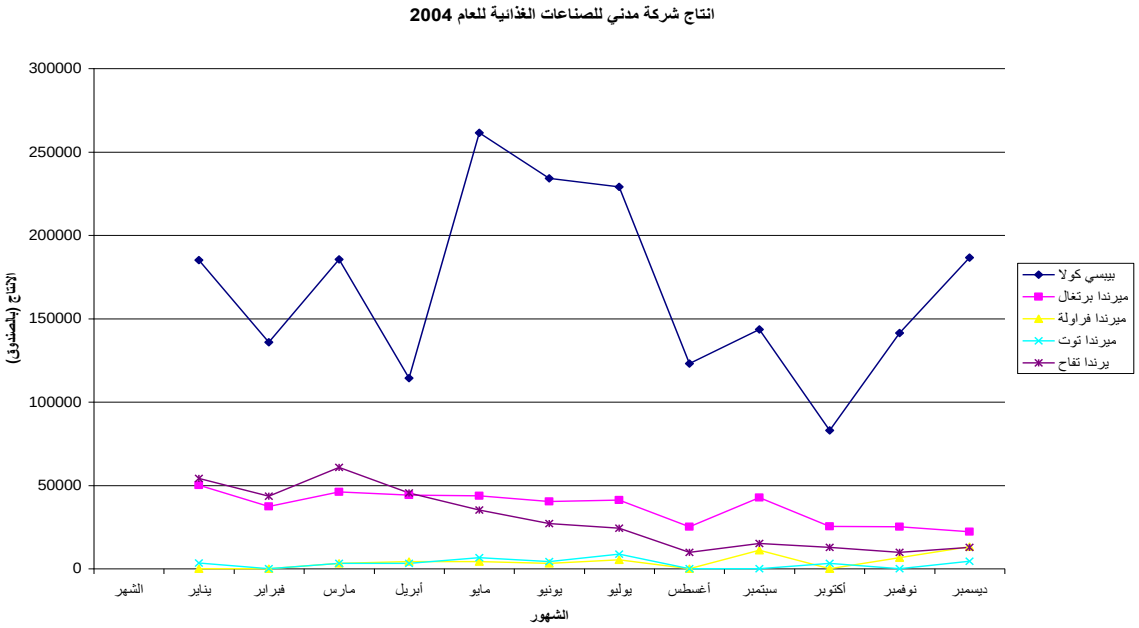

الشكل (١): سلسلة منتجات شركة مدني للصناعات الغذائية للعام (٢٠٠٨):

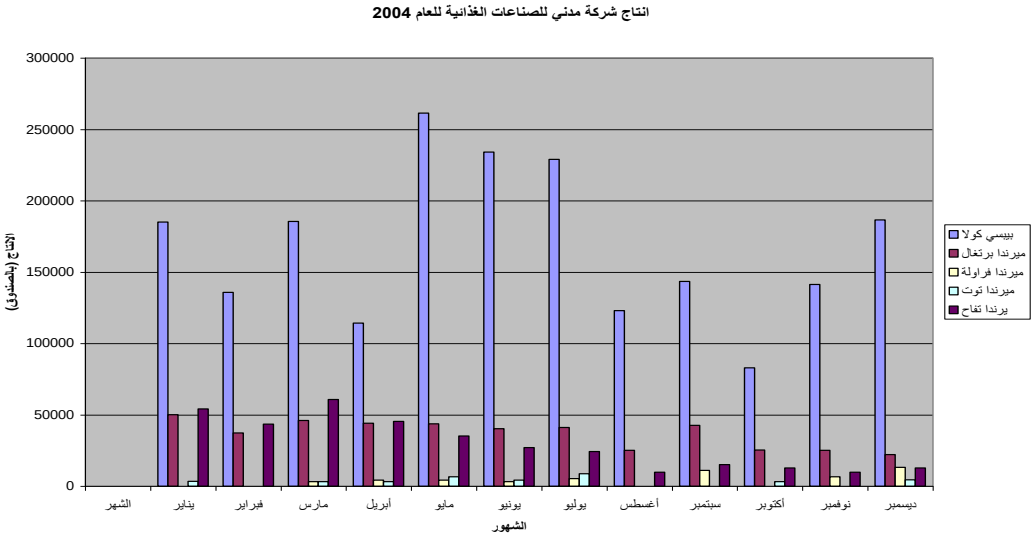

الشكل رقم (٢) يوضح الأعمدة البيانية لإنتاج شركة مدني للصناعات الغذائية للعام

من الشكلين (١) و(٢) نلاحظ الآتي:

١/ الخط الذي يمثل إنتاج البيبسي كولا يرتفع بصورة واضحة عن بقية الخطوط.

٢/ يصل إنتاج البيبسي كولا نهايته العظمي في شهر مايو، ويبلغ نهايته الصغرى في شهر أكتوبر.

٣/ من أكثر الشهور إنتاجاً للبيبسي كولا الفترة من شهر مايو وحتى شهر يوليو.
٤/ يقطع منحنى إنتاج ميرندا التفاح منحنى إنتاج ميرندا البرتقال في شهر أبريل وفي الفترة من شهر يناير وحتى شهر أبريل يعلو منحنى إنتاج ميرندا التفاح علي منحنى إنتاج ميرندا البرتقال، أما في أشهر السنة الأخرى فأن منحنى إنتاج ميرندا البرتقال يكون أعلي من منحنى إنتاج ميرندا التفاح.

ولمزيد من التوضيح لمقارنة إنتاج شركة مدني للصناعات الغذائية من مشروب البيبسي كولا نجد أنه يفوق إنتاج الميرندا بأنواعها المختلفة، نحسب النسب بين إنتاج الشركة من الميرندا، أخذ كل نوع علي حده إلي إنتاج البيبسي كولا، وذلك حسب الجدول (٢).
جدول رقم (٢) نسبة إنتاج شركة مدني للصناعات الغذائية من الميرندا بأنواعها المختلفة إلي إنتاجها من البيبسي كولا:

مشروب الميرندا	ميرندا برتقال	ميرندا تفاح	ميرندا فراولة	ميرندا توت	كل إنتاج الميرندا
النسبة إلي إنتاج البيبسي	٠.٢٢	٠.٠٣	٠.٠٢	٠.١٧	٠.٤٤

ومن الملاحظ من الجدول رقم (٣) أن تعاقب الفصول يؤدي إلي إحداث فروق واضحة في الإنتاج، حيث تعتبر فترة الصيف الممتدة من أول مارس وحتى نهاية يونيو أعلي الفترات إنتاجاً، وتليها فترة الشتاء الممتدة من نهاية أكتوبر وحتى نهاية فبراير، وتعتبر فترة الخريف أقل الفترات إنتاجاً. ولعل قلة الإنتاج في فصل الخريف ترجع إلي أن كثيرا من السكان يغادرون المدن- أماكن المشروبات الغازية- إلى مناطق الزراعة التي تنعدم فيها هذه المشروبات.
جدول رقم(٣): توزيع إنتاج شركة مدني للصناعات الغذائية حسب فصول السنة ونسبة إنتاج كل فصل إلي جملة إنتاج عام (٢٠٠٨م):

فصل	الصيف	الشتاء	الخريف
جملة الإنتاج بالصندوق	١١٧٠٤٨٥	٩٣١٢٤٨	٨٠٣١٠٣
النسب إلي جملة الإنتاج الكلي	٠.٤٠	٠.٣٢	٠.٢٨

٣-٢ تحليل المتغيرات والعوامل التي تؤثر علي الإنتاج:

سيركز هذا البحث على ثمانية عوامل ومتغيرات تؤثر علي الإنتاج وهي الساعات المتاحة لعمل الماكينات، ساعات العمالة المتاحة، السكر، المركزات، المياه المعالجة، الصودا الكاوية، المبيعات والعامل الأخير هو الشرط الخاص بتحديد الكمية المنتجة من البيبسي كولا بـ ٢٠٠٠٠٠٠ (مليونين) والذي وضعته شركة مدني للصناعات الغذائية تطبيقاً لسياسات الشركة الأم.

٣-٢-١ متغيرات البحث

في هذا الجزء يمكن تناول هذه المتغيرات بشيء من التفصيل.
١- الساعات المتاحة لعمل الماكينات: يعمل المصنع بنظام ورديتين بواقع ١٢ ساعة لكل وردية في أوقات الرواج و٨ ساعات للوردية في أوقات الكساد. وعليه يصبح متوسط ساعات عمل الماكينات في اليوم ٢٠ ساعة، وجملة ساعات عمل الماكينات في السنة ٧٣٠٠ ساعة. ولإيجاد الزمن اللازم

لإنتاج الصندوق الواحد من المشروبات الغازية نقسم جملة ساعات عمل الماكينات علي جملة الإنتاج لسنة ٢٠٠٨ (٢٩٠٤٨٣٧)، والذي يساوي ٠.٠٠٢٥ ساعة.

٢- ساعات العمالة المتاحة: عدد العمال في الورديتين ٨٠ عامل، وساعات العمالة المتاحة في اليوم ١٦٠٠ ساعة وتصبح جملة ساعات العمالة المتاحة في السنة ٥٨٤٠٠٠ ساعة. ولتحديد ساعات العمالة اللازمة لإنتاج الصندوق الواحد من المشروبات الغازية نقسم جملة ساعات العمالة المتاحة خلال السنة علي جملة الإنتاج لسنة ٢٠٠٨م، التي تساوي ٠.٢٠١ ساعة.

٣ - السكر: يعد السكر أهم عنصر في صناعة المشروبات الغازية, ويدخل السكر في صناعة المشروبات الغازية بكميات متفاوتة حسب الجدول (٤).

جدول (٤): كمية السكر(بالكيلوجرام) اللازمة لصناعة الصندوق الواحد من كل نوع من أنواع المشروبات الغازية:

	بيبسي	ميرندا			
المشروب	كولا	برتقال	تفاح	فراولة	توت
كمية السكر(كجم)	٠.٦٦	٠.٨٤	٠.٧٧	٠.٨٤	٠.٨٢

من الملاحظ أن مشروب البيبسي كولا يحتاج إلي أقل كمية من السكر ويليه مشروب ميرندا تفاح أما بقية المشروبات فهي تحتاج إلي كميات متقاربة من السكر.

٤ - المركزات: تعتبر المركزات من العوامل المهمة لإنتاج المشروبات الغازية، ويزيد من أهميتها ارتفاع أسعارها، وأن معظمها يتم استيراده من الخارج بالعملات الأجنبية. والجدول(٥) يوضح كمية المركزات التي يحتاجها إنتاج صندوق الواحد المشروبات الغازية (بالكيلو جرام).

جدول (٥): يوضح كمية المركزات (بالكيلو جرام) اللازمة لإنتاج الصندوق من كل نوع من أنواع المشروبات الغازية.

	بيبسي	ميرندا			
المشروب	كولا	برتقال	تفاح	فراولة	توت
كمية المركزات (كجم)	٠.٠٢	٠.٠٤	٠.٠١	٠.٠١	٠.٠٣

٥- المياه المعالجة: المياه المعالجة تأتى في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بالنسبة لصناعة المشروبات الغازية، بعد السكر والمركزات، وتحتوي المياه المعالجة بالإضافة للمياه العادية علي مواد كيميائية ذات قيم مادية زهيدة مقارنةً بقيمتي السكر والمركزات. والجدول (٦) يبين الكميات التي يحتاجها إنتاج الصندوق الواحد من كل مشروب من المشروبات الغازية المختلفة من المياه المعالجة.

جدول (٦): كمية المياه المعالجة (اللتر) اللازمة لإنتاج الصندوق من كل نوع من أنواع المشروبات الغازية.

	بيبسي	ميرندا			
المشروب	كولا	برتقال	تفاح	فراولة	توت
كمية المياه المعالجة (اللتر)	٠.٥٧	٠.٦٤	٠.٥١	٠.٦٦	٠.٦٦

٣-٢-٢ النموذج الرياضي:

لقد تحدثنا في المبحث الثاني عن النموذج الرياضي بمكوناته الثلاثة وكان، وفي هذا المبحث من الدراسة سوف نتناول التطبيق على النموذج الرياضي وفق بيانات شركة مدني للصناعات الغذائية وفقاً للآتي:

١- دالة الهدف: هي عبارة عن معادلة يمثل الإنتاج المتغير الأساس لها ونرمز له بالرمز (Z) ويحتل الطرف الأيسر من الدالة، أما الطرف الأيمن فيشمل الكميات التي يجب إنتاجها من كل نوع من المشروبات الغازية مضروباً في سعر صندوق المشروب من الشركة للمستهلك.

نرمز للكمية التي يجب إنتاجها من كل نوع من المشروبات الغازية بالرموز التالية: عدد صناديق البيبسي كولا ونرمز لها بالمتغير X_1، عدد صناديق ميرندا برتقال ونرمز لها بالمتغيرX_2 عدد صناديق ميرندا تفاح ونرمز لها بالمتغيرX_3 ، عدد صناديق ميرندا فراولة ونرمز لها بالمتغيرX_4 ، عدد صناديق ميرندا توت ونرمز لها بالمتغيرX_5 . يمكن تكوين دالة الهدف كما يلي:

$$Z= 900\ X_1 +900\ X_2 +800\ X_3 +900\ X_4 +900\ X_5$$

٢- القيود الأساسية: القيود الأساسية هي المعادلات أو المتباينات التي تتعلق بالمتغيرات الأكثر تأثيراً علي الإنتاج وهي الساعات المتاحة لعمل الماكينات، وساعات العمالة المتاحة، السكر، المركزات، المياه المعالجة، الصودا الكاوية، مبيعات الشركة من هذه المنتجات والقيد الأخير يتعلق بكمية البيبسي كولا التي تحددها شركة مدني للصناعات الغذائية بالاتفاق مع شركة أراك للصناعات الحديثة باعتبارها الشركة الأم. ونتناول هذه القيود بالتفصيل.

القيد الأول: ويتعلق هذا القيد بالساعات المتاحة لعمل الماكينات، ويبلغ متوسط ساعات عمل الماكينات ٢٠ ساعة في اليوم، وتتساوى كل المنتجات من حيث الوقت الذي تحتاجه في الماكينات والذي يبلغ ٠.٠٠٣ لإنتاج الصندوق الواحد. ومتباينة القيد الأول تضم في طرفها الأيسر حاصل ضرب الكمية المنتجة من كل نوع (Xi) بالصندوق في الزمن اللازم لإنتاج الصندوق الواحد من نفس المنتج، والطرف الأيسر يساوي جملة ساعات عمل الماكينات في السنة والذي يبلغ ٧٣٠٠ ساعة. ويمكن صياغة القيد الثاني بهذه الصورة:

$$0.003X_1+ 0.003X_2+ 0.003X_3+ 0.003X_4+ 0.003X_5 \leq 7300$$

القيد الثاني: ويتعلق هذا القيد بساعات العمل المتاحة، ويبلغ متوسط ساعات العمل المتاحة في اليوم ١٦٠٠ (متوسط ساعات العمل اليومية مضروب في عدد عمال الورديتين). لتصبح جملة ساعات العمل في السنة ٥٨٤٠٠٠ ساعة عمل، ويتكون الطرف الأيسر من متباينة هذا القيد من حاصل ضرب كل منتج من النوع (Xi) في زمن العمالة اللازم لإنتاج الصندوق الواحد من نفس المنتج، وأما الطرف الأيمن فيتكون من جملة ساعات العمل خلال السنة. وعليه تصبح المتباينة كالآتي:

$$0.201X_1+ 0.201X_2+ 0.201X_3+ 0.201X_4+ 0.201X_5 \leq 584000$$

القيد الثالث: يتعلق القيد الثالث بالسكر ويقاس بالكيلوجرام. ومتباينة القيد الثالث تضم في طرفها الأيسر حاصل ضرب الكمية المنتجة من كل نوع (Xi) بالصندوق في الكمية التي يحتاجها إنتاج

الصندوق من السكر، أما في الطرف الأيسر من هذه المتباينة فهو عبارة عن كمية السكر التي استخدمت في الإنتاج. ومن بيانات الجدول (٤) يكون قيد كميات السكر في الصورة التالية:

$$0.66X_1 + 0.84\ X_2 + 0.77\ X_3 + 0.84\ X_4 + 0.82\ \ X_5 \leq 2065414.76$$

القيد الرابع: ويتعلق القيد الرابع بالمركزات , وتعتبر المركزات من أهم المتغيرات التي تؤثر علي الإنتاج وترجع أهميتها إلي أنها تستورد من الخارج بالعملات الأجنبية وفي الغالب تكون أسعارها باهظة, وتقاس بالكيلوجرامات. ومن بيانات الجدول(٥) ويمكن صياغة القيد الرابع علي النحو التالي:

$$0.02X_1 + 0.04X_2 + 0.01X_3 + 0.01X_4 + 0.03X_5 \leq 69583.4$$

القيد الخامس: وهذا القيد يتعلق بالمياه المعالجة والتي تتذيل قائمة المتغيرات التي تؤثر علي الإنتاج, وعلي الرغم من أنها تشتمل علي بعض المواد الكيميائية إلا أنها رخيصة الثمن, وتقاس باللترات (الكيلو جرامات). ومن بيانات الجدول (٦) يمكن تكوين القيد الخامس علي هذا النحو:

$$0.57X_1+0.64X_2+0.51X_3+0.66X_4+0.66X_5 \leq 1718615.47$$

القيد السادس: هذا القيد يتعلق بمبيعات الشركة من المنتجات المختلفة. وتعتبر المبيعات من المتغيرات المؤثرة علي الإنتاج. ومشروب البيبسي كولا يتصدر قائمة المبيعات ولعل هذا ما جعله يتصدر قائمة المنتجات، وتبلغ مبيعات البيبسي كولا ٠.٧٠ من جملة مبيعات الشركة. الجدول رقم (٧) يبين كمية مبيعات الشركة خلال العام (٢٠٠٨).

الجدول رقم (٧) يوضح مبيعات شركة مدني للصناعات الغذائية (بالصندوق) من كل نوع للعام ٢٠٠٨م:

	بيبسي	ميرندا			
المشروب	**كولا**	**برتقال**	**تفاح**	**فراولة**	**توت**
كمية المبيعات (صندوق)	٢٣٠٢١٦٨	٤٤٥٦٩٠	٣٩٣٨٠١	٦٣١١٩	٥٤٣٦٧

المتباينة التي تمثل القيد السادس طرفها الأيمن يتكون من نسب كمية مبيعات كل منتج إلي كمية مبيعات البيبسي كولا كما في الجدول (٨)، وأما الطرف الأيسر يمثل جملة مبيعات الشركة.

الجدول رقم (٨) يوضح نسبة مبيعات منتجات شركة مدني للصناعات الغذائية من كل نوع من المشروبات الغازية إلي مبيعات الشركة من البيبسي كولا:

المشروب	**كولا**	**برتقال**	**تفاح**	**فراولة**	**توت**
كمية المبيعات	٢٣٠٢٠٦٨	٤٤٥٦٩٠	٣٩٣٨٠١	٦٣١١٩	٥٤٣٦٧
نسبة المبيعات للبيبسي	١.٠	٠.١٩	٠.١٧	٠.٠٣	٠.٠٢

وعليه يصبح القيد السادس في هذه الصورة:

$$X_1+0.19X_2+0.17X_3+0.03X_4+ 0.06X_5 \leq 3259145$$

القيد السابع: تمثل كمية الصودا الكاوية التي تستخدم في عملية نظافة الزجاج متغير القيد السابع، وتحتاج المشروبات بمختلف أنواعها إلي كميات متساوية من الصودا كاوية التي تقدر بحوالي ٠.١ كيلوجرام لنظافة الصندوق الواحد. وفيما يلي يمكننا كتابة القيد السابع:

$$0.01X_1+0.1X_2+0.1X_3+0.1X_4+0.1X_5 \leq 290483.7$$

القيد الثامن: تتبع شركة مدني للمشروبات الغازية لشركة أراك للصناعات الحديثة، وهنالك اتفاق علي أن تنتج شركة مدني للمشروبات الغازية ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠٠٠ صندوق من المشروبات. وخطة الإنتاج التي تتبعها الشركة يجب أن يؤخذ فيها هذا الشرط كقيد أساسي ومهم. ويمكن صياغة هذا الشرط ليكون القيد الثامن:

$$X_1+ X_2+ X_3+ X_4+ X_5 \geq 2{,}000{,}000$$

القيد التاسع: هو قيد عدم السلبية وفيه يجب أن تكون قيم كل المتغيرات غير سالبة:

$$X_1,\ X_2,\ X_3,\ X_4,\ X_5 \geq 0.$$

باستخدام برنامج Lindo الذي يحل المسائل التي تحتوي علي أعداد كبيرة من الأنشطة والمحددات تم إجراء الحسابات المتعلقة بالنموذج الرياضي الناتج بالبرمجة الخطية لإنتاج شركة مدني للمشروبات الغازية وذلك بغية الحصول علي الخطة المثلي للإنتاج. ومن خلال هذه الخطة نستطيع تحديد الكميات المثلي لإنتاج كل نوع من أنواع المشروبات، التي بدورها تعطي أفضل عائد ممكن ضمن المعطيات الموجودة. يظهر الجدول رقم(٩) نتائج هذه الدراسة. وحيث أن الشركة تريد وضع خطة إنتاج لخمسة أنواع مختلفة من المشروبات الغازية يتضح من خلال هذا الجدول أنه إذا أرادت الشركة تعظيم دخلها، حسب الخطة المثلي وجب عليها إنتاج ثلاثة أنواع من المشروبات الغازية، وهي البيبسي كولا، ميرندا البرتقال وميرندا التوت واستبعاد نوعين هما: ميرندا التفاح وميرندا الفراولة وذلك بغية الحصول علي عائد قيمته ٢٦١٤٣٥٣٣٠٠ جنيه سوداني حسب الجدول (٩)، وهو أفضل عائد يمكن الحصول عليه ضمن المعطيات الموجودة لدى الشركة.

جدول رقم (٩): يوضح عدد الوحدات الواجب إنتاجها من المنتجات حسب الخطة المثلي وأسعار هذه المنتجات والعائدات(بالجنيه):

نوع المشروب	عدد الصناديق	سعر الصندوق	العائد (بالجنيه)
البيبسي كولا	٢١٢٤٥٤٩	٩٠٠	١٩١٢٠٩٤١٠٠
ميرندا برتقال	٣٦٨٣٧٨	٩٠٠	٣٣١٥٤٠٢٠٠
ميرندا تفاح	٠	٨٠٠	٠
ميرندا فراولة	٠	٩٠٠	٠
ميرندا توت	٤١١٩١٠	٩٠٠	٣٧٠٧١٩٠٠٠
جملة العائدات			٢٦١٤٣٥٣٣٠٠

يظهر الجدول رقم (١٠) الكميات المنتجة من المشروبات الغازية وأسعارها وجملة العائدات خلال العام (٢٠٠٨م) وذلك وفق الخطة التي أتبعتها الشركة في الإنتاج لهذا العام.

جدول رقم (١٠) يوضح الكميات المنتجة من المشروبات الغازية وأسعارها وعائدات شركة مدني للصناعات الغذائية (بالجنيه) حسب خطة الإنتاج الحالية للشركة

نوع المشروب	عدد الصناديق	سعر الصندوق	العائدات (بالجنيه)
البيبسي كولا	2022453	٩٠٠	١٨٢٠٢٠٧٧٠٠
ميرندا برتقال	443134	٩٠٠	٣٩٨٨٢٠٦٠٠
ميرندا تفاح	51290	٨٠٠	٤١٠٣٢٠٠٠
ميرندا فراولة	37136	٩٠٠	٣٣٤٢٢٤٠٠
ميرندا توت	350824	٩٠٠	٣١٥٧٤١٦٠٠
جملة العائدات			٢٦٠٩٢٢٤٣٠٠

وبمقارنة عائدات الشركة حسب الخطة المثلي للإنتاج وفق استخدام البرمجة الخطية حسب الجدول (٩) مع خطة الشركة وفق الجدول(١٠)) نجد أن الخطة المثلي (البرمجة) تفوق خطة الشركة للإنتاج بمبلغ ٥١٢٩٠٠٠ جنيه.

٤ـ الخاتمة

٤ـ١ـ الاستنتاجات:

١. خطة الشركة في إنتاجها لخمسة أنواع من المشروبات لم يحقق الربح الأمثل لها.
٢. لكي تحقق الشركة أعلى ربح ممكن عليها إنتاج ثلاثة أنواع فقط من المشروبات وهي البيبسي كولا، ميرندا البرتقال وميرندا التوت واستبعاد نوعين هما: ميرندا التفاح وميرندا الفراولة.
٣. الكمية التي يجب إنتاجها لتحقيق أعلى ربح ممكن هي: ٢١٢٤٥٤٩ صندوق من الكولا، ٣٦٨٣٧٨ صندوق ميرندا البرتقال و٤١١٩١٠ صندوق من ميرندا التوت
٤. أعلى ربح يمكن تحقيقه هو ٢٦١٤٣٥٣٣٠٠ جنيه

٤ـ٢ـ التوصيات:

يوصي الباحثون الشركة بالآتي
١ـ استخدام البرمجة الخطية في تحديد الإنتاج الأمثل.
٢ـ قياس حساسية النموذج للتغيرات التي قد تطرأ على قيوده ومكوناته.

المراجع:

أبو زيد، كمال خليفة ومحرم، محمد (٢٠٠٦). دراسات في استخدام بحوث العمليات في المحاسبة. المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر.

أبو العينين، طارق حنفي (٢٠٠٩)،محاضرات في بحوث العمليات، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

إسماعيل، بلال محمد (٢٠٠٥). بحوث العمليات- استخدام الأساليب الكمية في صنع القرار، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر.

باقية، إنعام ونائب، إبراهيم (١٩٩٩). بحوث العمليات – خوارزميات وبرامج حاسوبية، (بدون ط)، ص ١٩، دار وائل للنشر.

برهان، محمد نور وآخرون (٢٠٠٩). بحوث العمليات-البرمجة الخطية ورقابة المخزون، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر.

البلداوي، عبد الحميد عبد المجيد (٢٠٠٨). الأساليب الكمية التطبيقية في إدارة الأعمال، دار وائل للنشر، الأردن.

جلال، أحمد فهمي (١٩٩٣). مقدمة في بحوث العمليات والعلوم الإدارية، دار الفكر العربية.

جواد، صادق مصطفى والفتال، ناصر حميد(٢٠٠٨). بحوث العمليات، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

راتول، محمد (٢٠٠٨). بحوث العمليات، ط٣، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

زين الدين، فريد عبد الفتاح (١٩٩٧). بحوث العمليات وتطبيقاتها في حل المشكلات واتخاذ القرار-الجزء الأول، البرمجة الخطية- كلية التجارة-جامعة الزقازيق-مصر.

الصفدي، محمد سالم (١٩٩٩). بحوث العمليات تطبيق وخوارزميات، ط١، دار وائل.

علي، حمدي فؤاد (١٩٨٢). الاتجاهات الحديثة في الإدارة – البرمجة الخطية وبيرت، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان.

الفضل، مؤيد عبد الحسين(٢٠٠٨). الأساليب الكمية (نماذج خطية وتطبيقاتها في تخطيط الإنتاج، (ص ٢٧٧)، دار مجدلاوي.

الفياض، محمد وقدادة، عيسى(٢٠٠٧). بحوث العمليات، ط٣، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

قاسم، أحمد رفيق (١٩٩٢). بحوث العمليات، (ص ١٣٤)، جامعة حلب – سوريا. مرسي، نبيل محمد (٢٠٠٦) الأساليب الكمية في الإدارة، (ص ١٠٣)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية – مصر.

ماضي، محمد توفيق (١٩٩٨). الأساليب الكمية في مجال الإدارة، (ص ١٠٤)، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر.

ماضي، محمد توفيق (١٩٩٩). سلسلة الأساليب الكمية للجميع-البرمجة الخطية، دار الكتاب العربي للنشر، الإسكندرية-مصر.

مرجان، سليمان محمد (٢٠٠٢). بحوث العمليات-اتخاذ القرارات والبرمجة الخطية والتحليل، الجامعة المفتوحة، طرابلس-ليبيا.

مشرقي، حسن علي والقاضي، زياد عبد الكريم (١٩٩٧)، بحوث العمليات (تحليل كمي في الإدارة)، (ص ٨٧-٢٧٧)، دار المسيرة، عمان- الأردن.

المعزاوي، علي عبد السلام (١٩٨٣). بحوث العمليات في مجالات الإنتاج والاستثمار النقل التخزين، (ص ٨٣)، دار الشروق.

النيداني، محمد أسعد (١٩٩٨). مقدمة في بحوث العمليات، ط٣، مطبعة الإشعاع، مصر.

Cupta, P.K., and Hira, D.S., (1991), "Problems in operation research". S. Chand & Company Ltd., New Delhi.

Kothari, C.R., (1978), "Quantitative Techniques". Publishing Flouse Pvt. Ltd., New Delhi.

****

أمارابك: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ٥٩-٧٦

منهج ابن خالويه الصرفيّ في كتابه "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم": دراسة وصفية

الجيلي عبد العال إدريس (*)

الملخص: يتناول البحثُ منهجَ ابنِ خالويْه الصَّرفيَّ في كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم). وقد اتُبع المنهجُ الوصفيُّ، وبناءً على ما لاحظه الباحث من تمايز القضايا الصرفية عند ابن خالويه قُسم البحثُ إلى قسمين: قسم نظري: ذكر الباحث فيه السماتِ النظريةً العامةً لمنهج ابن خالويه في كتابه مجال الدراسة، ثم بيَّن فيه السماتِ الخاصةً بالمنهج الصَّرفيِّ كسمةِ الاستقصاء، والإيجاز، والعزو، وأدلة الاحتجاج وبخاصة السماع والتعليل. وقسم تطبيقي: تناول فيه سمة الضبط بالوزن، وبالنظير، وبالاشتقاق، بجانب بعض قضايا الصرف ومسائله: كالتصغير، والإعلال، والإبدال، وتلاه تقويمٌ لمنهج ابن خالويه، واختتم البحثُ بأهم النتائج ، وأخيراً وضعت قائمة لأهم المراجع والمصادر التي اعتمد عليها.

الكلمات المفتاحية: ابن خالويه، إعراب، صرفيّ.

Ibnkhalawayh Morphological Approach through his Book "The Declension of Thirty Suras of the Holy Quran": A descriptive study

ElgailiAbdelaalIdris

Abstract: This research handles the Approach of Ibnkhalawayh morphological type (the thirty Suras of The Holy Quran).The researcher followed the descriptive method as he noted that Ibnkhalawayhi approach is characterized by specific attributes , and accordingly the research is classified into two sections: theoretical one: focuses on survey , the brevity and evidence attributes and attribution protest especially hearing and reasoning. A practical one: focuses on accuracy depending on meter , equivalent and derivation beside some morphological questions as miniaturization , reasoning, conjugation and substitution followed the reformation and evaluation of approach of Ibnkhalawayhi. The research concluded with the most significant findings and finally the researcher attached a list of references and sources.

Keywords: Ibnkhalawayh, Morphological Approach.

(*)أستاذ النحو والصرف المساعد كلية العلوم والآداب – جامعة بيشة elgailiabdelaal@yahoo.com

المقدمة:

يتصف منهج ابن خالويه الصرفي في كتابه (إعراب ثلاثين سورة) بسمات بعضها نظري، والآخر تطبيقي، نتناولها فيما يلي:

١/ **السمات النظرية:** أعرب ابن خالويه ت ٣٧٠ هـ ثلاثين سورة من السور القصيرة، بدأها بالفاتحة ثم قفز إلى سورة الطارق حتى آخر القرآن الكريم، يأتي بالآية ثم يفسرها، ويشرح معاني ألفاظها، وغريب مفرداتها، وبعد ذلك يتناول الإعراب النحوي والصرفي، يعضد كل ذلك بالاستشهاد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال وهكذا.

وقد عبر ابن خالويه عن منهجه بصورة عامة في مقدمة كتابه هذا، وذكر أنه أعرب ثلاثين سورة من المفصل، وشرح أصول كل حرف، ولخص فروعه، وذكر غريب ما أَشكل منه، وبين تصريف الكلمة بذكر المصادر، والمثنى، والجمع؛ ليكون معونةً على جميع ما يرد من إعراب القرآن (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٣)، ومن الوهلة الأولى يبدو منهجُه واضحاً في قوله: (تحريتُ في هذا الكتاب الاختصار، والإيجاز ما وجدتُ إليه سبيلا)، وغرضه من ذلك كله: (ليتعجل الانتفاع به ويسهل حفظه على من أراده) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة:١٩٨٩: ٢٩).

أبرز السمات التي تبين منهجه في هذا الكتاب:

١/ أنه يستشهد بالقرآن الكريم أثناء إعرابه النحوي والصرفي وهو أهم مصادره، ومن خلال تفسير الآيات الكريمة وتوضيح معاني الألفاظ، وهذه سمةٌ تكاد تكون غالبة وبارزة ينتهجها من أول الكتاب إلى آخره.

٢/ يستشهد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما استشهد به مثلا: (ما من نفس مولود يولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة ولها يستهل الصبي صارخا إلا ما كان من مريم ابنة عمران...) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٢) . و(أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السرَّاء والضرّاء) (السابق:٣٥). وحديث: (من وافق تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفر له) (السابق: ٥٠). و(أبغض الخلق إلى الله الشيخ الزاني، والعائلُ المزهوُّ) أي: الفقير المتكبر، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمرة حتى تزهو أي: تحمر وتصفر (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٣٧).

٣/ يستشهد بالشعر: وغالبا يذكر صاحب البيت، ففي أثناء حديثه عن إعراب سورة الفاتحة يقول: والصراط: الطريق الواضح والمنهاج، وهو هنا عبارة عن دين الإسلام؛ إذ كان أجلَّ الأديان، وأوضح السُّبل إلى طريق الآخرة، وإلى الجنة، وإلى عبادة الله؛ قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجَّ الموارد مستقيم

(السابق: ص ٤٣)

وعن قوله تعالى: (الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ((الشرح: ٣) يقول ابن خالويه: المصدرُ: أنقض يُنْقِضُ إنقاضاً فهو مُنْقِض، ومعناه أثقل ظهرك. والعرب تقول: أنقضتِ الفراريجُ إذا صوّتتْ، قال ذو الرمة:

كأن أصوات من إيغالهنّ بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج

(إعراب ثلاثين سورة: ابن خالويه:١٩٨٩: ١٤١)

٤/ يستشهد بأقوال العرب وأمثالهم: يقول ابن خالويه: تقول العرب: (أثقبْ نارك) أي: (أضئها) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٥٨).

تقول العرب: أَثْأَقْتُ الإناءَ، وربَّزْتُه، وحَضْجَرْتُهُ، وزَعَبْتُهُ، وأفْعَمْتُهُ، وأتْرَعْتُهُ أي: مَلَأْتُهُ (السابق: ١٢٣).

٥/ يذكر بعض لغات القبائل العربية: فعن قوله تعالى: (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) الطارق:١٤) يورد ابن خالويه القراءات في هذه الآية و(بالهزل) جر بالباء ولو أسقطت الباء لقلت: وما هو هزلا كما

قال تعالى: (مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) (المجادلة:٢) بكسر التاء نصب في موضع الخبر ويورد ابن خالويه القراءات في هذه الآية الكريمة كما يورد سنده عن ذلك بقوله: وحدثني ابن مجاهد عن السِّمَّريِّ عن الفرَّاء قال: في حرف (قراءة) ابن مسعود: (ما هنَّ بأمهاتِهم) بزيادة باء؛ فأما بنو تميم فإنهم إذا أسقطوا الباء رفعوا خبر (ما) فقالوا: ما زيد قائم (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٩).

٦/ يذكر ابن خالويه أقوال العلماء من بصريين وكوفيين دونما تعصب ظاهر بل ربما يذهب إلى تأييد البصريين في بعض المسائل، ويذكر الكثير من الخلافات بينهما.

فأثناء إعرابه قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١) يقول ابن خالويه عن الفعل(إقرأ): موقوف؛ لأنه أمرٌ عند البصريين. ومجزومٌ عند الكوفيين، وعلامةُ الجزمِ سكونُ الهمزة (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة:١٤٩:١٩٨٩).

كما يستشهد بقول سيبويه البصريّ، يقول ابن خالويه: وفي (قرأت) ثلاث لغات: قال سيبويه: من العرب من يُحقق، ومنهم من يُبدل، ومنهم من يُلَيِّن، فالتحقيق: قرأت، والتليين: قرات، والبدل قريت (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٥٠:١٩٨٩).

ويورد رأي سيبويه والبصريين حول الإدغام في (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة: ١) أنهم لا يجيزون إدغام الراء في اللام، وذلك لأن الراء حرف فيه تكرير، فكأنه إذا أدغمه فقد أدغم حرفا مشددا نحو: (مَسَّ سَقَرَ) (القمر: ٤٨)، وإدغامُ المشدد فيما بعده خطأٌ بإجماع.

ويورد ابن خالويه بعض الخلافات، وقد يرجح فيها رأي البصريين على الكوفيين، يقول: فأما ما رواه اليزيدي عن أبي عمرو: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ)(التوبة: ٨٠) و(وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) (مريم: ٦٥) فكان ابن مجاهد يُضعِّفُه لرداءته في العربية؛ ولأن الرواية الصحيحة عن أبي عمرو الإظهار لأنه رأي البصريين، فلم يك ليجتمع أهل البصرة على شيء وسيدهم على ضده (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٧).

ويذكر ابن خالويه أن الفراء الكوفيّ كان يجيز إدغام الراء في اللام، كما يجيز إدغام اللام في الراء (السابق نفسه: ٢٧).

ويبدو منهجه مستقل التفكير إذ لم نجد له أي تأثر بالمدارس الفلسفية أو الكلامية، فقد كان متحرر النزعة، لا يتعصب للبصريين ولا الكوفيين.مؤمنا بأن اللغة لا تقاس، وإنما تؤخذ سماعا، وأن لغة العرب - وإن اختلفت - حجة يؤخذ بها، ويعتمد عليها.

٧/ يتجنب التكرار قدر الإمكان، يقول عن قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١): جر بباء الصفة وقد ذكرنا العلة في ذلك في أول الكتاب فأغنى عن الإعادة. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٥٠:١٩٨٩).

وأثناء إعرابه قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (الفاتحة: ٤) يقول ابن خالويه: والدين في اللغة أشياء: فالدين: الجزاء، وقد فسرته) (السابق: ٣٩) .

٨/ يذكر في إعرابه بعض قضايا الصرف والنحو واللغة كالتصغير والإبدال والإعلال والتثنية والجمع وغيرها.

فمثلا عند إعرابه قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) (الشمس: ٤) قال ابن خالويه: الليلُ يذكر ويؤنث، ويجمع الليل على الليالي. وتصغير الليلة: لُيَيْلَة. ولُيَيْلِيَة ولُوَيْلة (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١١٦).

ومن خلال إعرابه قوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ) (الطارق: ٥)، قال ابن خالويه: الأصل: (الإنْسِيان)، فحذفت الياء اختصارا، وجمعه أَناسين، مثل بساتين. وتصغيره أُنيْسِيان (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٠).

٩/ ونجد ابن خالويه يتطرق لظاهرة العدول عن الأصل في المعنى أثناء إعرابه قوله تعالى: (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) (الطارق: ٦) والماء الدافق: فاعلٌ في اللفظ، مفعولٌ في المعنى، ومعناه: ماء مدفوق أي: مصبوب (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٢).

حيث عدل عن معنى مدفوق إلى دافق، وهذا الباب يعرف بالعدول وهو باب واسع تناوله علماء البلاغة واللغة بغرض التوسع.

العرب تقول: رأيت خلاخيل المرأة وثُدِيِّها وإنما المرأة لـها ثديان وخلخالا (السابق: ٦٥)، (أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)(الأنبياء: ٣٠) لم يقل الأرضين اكتفى بالواحد عن الجماعة . ذكر الواحد وأراد الجمع.

١٠/ ومن ملامح منهجه ابن خالويه أنه يستشهد بأقوال شيخه ابن دريد وتظهر من خلال هذا الكتاب أن ابن خالويه متأثر بشيخه، كما يغلب على منهجه في شرحه الجانب اللغوي: يقول ابن خالويه: أخبرني ابن دريد عن أبي حاتم قال: اختلف اثنان في السقر والصقر؛ فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد؛ فسألت إعرابيا: كيف تقول: أبالصاد أم بالسين ؟ فقال: أما أنا فأقول بالزاي (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٤٤).

١١/ ويورد بعض معاني الأسماء بغير اللغة العربية أثناء إعرابه قوله تعالى: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر: ١) والفتح في اللغة النصر. قال تعالى: (وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ) (البقرة: ٨٩) أي: يستنصرون بمحمد (صلى الله عليه وسلم) يعني: اليهود؛ لأن اسمه (صلى الله عليه وسلم) كان عندهم: مُوذُمُود بالعبرانية. ويقال: (ماذَماذَ) والسريانية: المَنْحَمَنا، والبَراقِلطَيس بالرومية (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٣٢).

وأثناء إعرابه قوله تعالى: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)(المسد: ٥) يقول: جر بفي. والجيدُ: العنقُ، وجمعُه أجياد، ويقال للعُنُق: العُنْق، والجيد، والكُرْد بالفارسية: (كَرْدَن) فعُرِّب (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٤٠). وقوله: قال آخرون: (رحمن) بالعبرانية (رخمان) (السابق: ٢٨).

١٢/ يذكر نصوصا من لحن العامة: أثناء إعرابه قوله تعالى: (من شر حاسد إذا حسد) (الفلق: ٤) يقول: العرب تقول: حَسَد حاسِدُك إذا دَعوْا للرجل، أي: لازلت في موضع تُحسَد عليه، والعامةُ تقول: حَسِدَ حاسدك وهذا خطأ (السابق نفسه: ٢٥٠). وهنا تبدو شخصية ابن خالويه بارزة من خلال إعرابه. وكقوله عن (آمين) لا تشدد الميم في (آمين)؛ فإنه لحن، والعامة فعلوا ذلك (السابق نفسه: ٥١).

١٣/ ولا تخفى ملامح شخصية ابن خالويه من خلال منهجه فنجده يتدخل مناقشا أقوال العلماء ويرد عليها، وقد يفضل رأيا ويدلل على صحته، أو يضعف رأيا ويرفضه، يقول عن قوله تعالى: (فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ) (الهمزة: ٩) والعَمَد: جمع عَمود. ولم يأت في كلام العرب على هذا الوزن إلا أحرفٌ أربعة: أديم وأدَم، وعمود وعَمَد، وأفيق وأفَق، وإهاب وأَهَب. وزاد القراء حرفا خامسا وهو: قضيم وقَضَم.

وعند إعرابه قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) (الضحى:٢) يقول: المصدر: سجا يسجو سُجُوّا فهو ساجٍ، و(سجا) أماله الكسائي، لأنه مع آيات قبلها وبعدها من ذوات الياء، وأما أبو عمرو ونافع فكانا يقرأان بين بين، وهو أحسن القراءات (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٣٣).

ويقول ابن خالويه عند إعرابه الآية: (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الطارق: ٧): أهل الكوفة يُسَمَّوْن (بَيْنَ) حرف جر؛ وذلك غلط؛ لو كان حرفَ جرٍّ لما دخل عليه حرفُ جر، لأنَّ الحرفَ لا يدخل على الحرف (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٣).

وروى عنه أيضا: في عَمْد بفتح العين وإسكان الميم والأصلُ الحركةُ. فاعرف ذلك (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٠٣).

وعن إعراب قوله تعالى: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)(الفاتحة: ١) يقول والذي أذهب إليه: أن هذه الأسماء الحسنى كلها: صفات الله تبارك وتعالى وثناء عليه (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٨).

يقول ابن خالويه: يقال: شكرت لك، وشكرتك، وشكرت بك، (بالباء). كما يقال: كفرت بك. وهذا الأخير نادر(ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٣٥).

١٤/ من سمات منهجه أنه يحيل إلى بعض كتبه وقد لا يذكر كتب الآخرين: فمثلا يقول ابن خالويه: وأجمع القراء على كسر الهاء في التثنية إذا قلت: (عليهِما) قال الله عز وجل: (يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا)(المائدة: ٢٣) إلاّ يعقوب الحضرمي فإنه ضم الهاء في التثنية، كما ضمها في الجمع، وقد ذكرتُ علة ذلك في (كتاب القراءات) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٤٨). ويقول: وقد ذكرنا ذلك في كتاب (شرح أسماء الله الحسنى) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩:٣٠) ويقول: وألفاتُ القطع ستٌّ شرحتُها في كتاب الألفات) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٤٦). ويقول: كذلك يحذفون (الألف) من عَلامَ وحتامَ، وقد حررت ذلك وشرحته في (كتاب الماءات) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦١).

لابن خالويه مؤلفاتٌ في النحو واللغة، بالإضافة لكونه معلما، نحويا، ولغويا وصرفيا، قال عنه القفطي: (كان إماما، أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب، وكان إليه الرحلة من الآفاق) (القفطي: ١٩٥٥: ٣٢٦/١).

وإذا قارنا بين المادة النحوية والصرفية واللغوية في كتاب (إعراب ثلاثين سورة) نجد شخصية ابن خالويه اللغوية بارزة المعالم بيِّنة الدلالة؛ مما يدل على أن ابن خالويه يغلب عليه الجانب اللغوي ولا غرو فهو ذلك اللغويُّ والنحويُّ الذي استطاع توظيف مهارته اللغوية في الإعراب النحويِّ والصرفيِّ.

وتكاد تكون هذه السمة اللغوية بارزة حتى في مؤلفاته الأخرى كشرحه لمقصورة ابن دريد: إذ نجده يقوم بدور كبير يتمثل في شرح أبيات المقصورة الدُّرَيْدِيَّة لمعلمه ابن دريد، ويبين غرائبها ويوضح معانيها، ومفرداتها، مُدعِّما كل ذلك بالشواهد القرآنية، والأحاديث النبوية، وأشعار العرب، ونثرهم، وأقوال النحويين من علماء البصرة والكوفة. كما أن كتابه (الحجة في القراءات السبع) يتناول القراءات بطريقة عرض جذابة في ضوء النحو واللغة والصرف.

أما فيما يختص بشخصيته الصرفية فعلى الرغم من أن ابن خالويه لم يؤلف كتابا يشمل جميع أبواب الصرف؛ إلا أنه ترد بعض إشارات لمسائلَ صرفيةٍ على نحو ما نجده في رده على أستاذه ابن دريد في كتابه (الجمهرة) وتعقيبه على بعض مسائل متعلقة بالصرف. يقول السيوطي: (وليس في الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات إلا (أَوَّل) قال في الجمهرة هو (فَوْعَل) ليس له فعل، والأصل: (وَوّل) قلبت الواو الأولى همزة، وأدغمت إحدى الواوين في الأخرى فقالوا: (أوّل). قال ابن خالويه: الصواب أن (أول) (أفعل) بدليل صحبة (مِن) إياه تقول: أول من كذا (السيوطي: د.ت:٢/ ٦٠).

ومما يدل على سعة علم ابن خالويه بالعربية وتبحره ردُّه على ابن دريد حينما قال في جمهرته: لم يجئ في الكلام (فَعَلَ فَعِلا) إلا حرفان: حَنَقَ حَنِقا، وضَرَط ضَرِطا، قال ابن خالويه: وحكى الفراء: حَلَفَ حَلِفا، وحَبَقَ حَبِقا، وسَرَقَ سَرِقا، ورَضَعَ رَضِعا (ابن خالويه: الحجة:١٩٨٧: ٢٠).

لابن خالويه حس مرهف في إدراك أسرار اللغة، وتذوقه لها، قال السيوطي: لم يأت اسم (انفعول) من (أفعل) على (فاعل) إلا في حرف واحد، وهو قول العرب: أسمت الماشية في المرعى، فهي سائمة، ولم يقولوا: مسامة. قال تعالى: (فِيهِ تُسِيمُونَ)(النحل:١٠)، من أسام يسيم، قال ابن خالويه: أحسب المراد: أسمتها أنا، فسامت هي، فهي سائمة، كما تقول: أدخلته في الدار فدخل، فهو داخل (السيوطي: المزهر: د.ت:٨٨/٢).

يقول الدكتور عبدالعال مكرم: (وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب، حافظ له، قال في كتاب (ليس): قلت لسيف الدولة بن حمدان: قد استخرجت فضيلة لحمدان جدّ سيدنا لم أسبق إليها، وذلك أن النحويين زعموا أنه ليس في الكلام مثل: رحيم، وراحم، ورحمان، إلا نديم، ونادم،

وندمان، وسليم، وسالم، وسلمان فكذلك حميد، وحامد، وحمدان) (ابن خالويه: الحجة:١٩٨٧: ٢٠).
ويضيف السيوطي: (قال ابن خالويه: كل اسم على (فَعيل) ثانيه حرف حلق يجوز فيه إتباعُ الفاءِ العينَ نحو: بِعير، شِعير، رِغيف، رِحيم (السيوطي: المزهر ٩٠/٢).
وقال ابن خالويه في شرح الفصيح: تبنى أسماء المبالغة على اثنيْ عَشَرَ بناءً: فَعَالِ كفَسَاقِ، وفُعَل كغُدَر، وفَعّالِ كغَدَّارٍ، وفَعُولِ كغَدورٍ، ومِفْعِيلِ كمِعْطِير، ومِفْعالِ كمِعْطارٍ، وفُعَلَة كهُمَزَة ولُمَزَة، وفَعُولة كمَلولة، وفَعَّالَة كعَلّامَة، وفاعِلة كراوِية وخائِنة، وفَعَّالة كبَقَّاقة؛ للكثير الكلام، ومِفْعالة كمِجْزامة (السيوطي: المزهر: ب. ت:٢٤٣/٢).
بالإضافة إلى ذلك كله، نجد أنّ ابنَ خالويه قد تَيسَّر له قدرٌ لا بأس به من علوم العصر على اختلاف فنونها، وكان بعضها معتمدا على نفسه في الاطلاع والبحث والتنقيب. ويدل ذلك على إطلاعه الغزير في كتب التفاسير والقراءات واللغة والنحو والصرف. كما ساهم تلقيه هذه العلوم من كبار العلماء؛ على تكوين شخصيته العلمية، وبالتالي رسوخ قدمه في اللغة والنحو والصرف والقراءات القرآنية.

١٤/ الاستقصاء:
الاستقصاء سمة واضحة في تناول ابن خالويه، حيث نجده يهتم به في جميع الأوجه المحتملة للمسألة الصرفية، على الرغم من اعتماده الإيجاز في مسائلَ أخرى، وهذا يدل على معرفة المؤلف الواسعة، ودرايته، وطول نفسه في عرض المادة الصرفية. ففي قوله تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) (الضحى: ٦): يقول ابن خالويه: (المصدر: (آوى) يَؤْوي إيواءً ممدود، فالألف الأولى ألف قطع، والثانية فاء الفعل أصلية، والأصل: (أَأْوَى) فاستثقل الجمع بين همزتين؛ فليّنوا الثانية أي: بقلبها ألفا ساكنة ممدودة. ويستقصي اشتقاقات الكلمة الصرفية ويضيف: (آوَى فهو مُؤْوٍ، والمفعول به: مُؤْوًى، فهذا فعل يتعدى، فإذا كان الفعل لازما قَصَرْتَ الألف فقلت: أَوَيتُ إلى فراشي أوِي أُوِيّا، فأنا آوٍ، مثل قاضٍ والمفعول: مأويٌّ إليه. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٣٥). ومثل قوله تعالى: (كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً)(مريم: ٦١)، فالأمر منه: (أوِ يازيد)، مثل: (آمِن). قال أبو عبيد: يقال: أويتُ إلى فراشي (بالقصر)، وآويتُ أيضا (بالمد)، فتكون مثل: نَميتُ أنا، ونميت غيري، وأَنميْتُه (ابن خالويه: إعراب ثلاثين:١٣٥:١٩٨٩). وانظر قوله تعالى: (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) (الماعون: ٢)، يقول ابن خالويه: إذا صرفت قلت: دعَّ يَدعّ دعّاً فهو داعٌّ، والمفعول به: مدعوع، مثل: مدّ يمُدُّ مدّاً فهو مادٌّ، والمفعول به: ممدود (ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ٢١٩).

١٥/ الإيجاز:
حين يتناول ابن خالويه المفردات في الآيات الكريمة، يعطي منهجا يسيرا وسهلا، في إشارة منه لاتباع منهج التيسير على القارئ، فهو كما يبدو من خلال كتابه (إعراب ثلاثين سورة) يسلك هذا النحو، ويسير على دربه، ويجعله غاية له ومبتغى، والأمثلة على ذلك كثيرة فهو يأتي أحيانا ببعض المسائل الصرفية موجزة دون تفصيل، ومختصرة في عرضها دون تدليل، يقول ابن خالويه: تحريتُ في هذا الكتاب الاختصار، والإيجاز ما وجدت إليه سبيلا، ليتعجل الانتفاع به، ويسهل حفظه على من أراده)(ابن خالويه: إعراب ثلاثين:٢٩:١٩٨٩). فمن ذلك قوله تعالى: (كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق: ١٩)، يقول ابن خالويه: المصدر: اقترب يقترب اقتراباً، فهو مُقترِب. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ١٥٧). وهنا يكتفي بالإشارة إلى اشتقاق الكلمة فقط.
انظر كذلك تصريفه للفعل (سَبِّحْ) في قوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)(الأعلى:١)، يقول ابن خالويه: سَبَّح يسبح تسبيحاً فهو مُسبِّح. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ٧١).

ولعل هذه السمة (الإيجاز) هي أبرز سمات منهجه على الإطلاق. كما أنَّ اسم كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) يدل كذلك على الإيجاز في الإعراب، ووالغرض من ذلك أنْ يسلك الدراسون هذا النهج ويسيروا على خطاه في إعراب بقية القرآن الكريم.

١٦/ العزو:

يعزو ابن خالويه القول إلى صاحبه، ففي أثناء إعرابه قوله تعالى: (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) (الشمس: ٦)، يقول ابن خالويه: وطَحاها، ودَحَاها: معناه بَسَطها. يقال طَحا يَطحُو طَحْوا فهو طاحٍ. قال سيبويه: ومما شذّ من ذوات الواو فجاء على فَعِلَ يَفْعِلُ: طاح يطيح. والأصل: طَوِحَ يَطْوِحُ، مثلَ حسِبَ يَحْسِبُ. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١١٧:١٩٨٩).

كما يعزو القراءة إلى قارئها:

وفي أثناء إعرابه قول تعالى: (فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى) (الليل:١٤)، قال ابن خالويه: قرأ ابن كثير: نارا تَّلظَّى (بإدغام التاء)، يريد نارا تَتَلظى فأدغم، ولو كان (تَلظّى) فعلاً ماضياً لقيل: تلظتْ لأنّ النارَ مؤنثةٌ (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٢٩).

وعن قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) (الماعون: ١)، يقول ابن خالويه: وفيه أربع قراءات:

١/ أرأيتَ على الأصل بالهمز.

٢/ أرايت بتليين الهمزة، قرأ بها نافع.

٣/ وأريْت بحذف الهمزة تخفيفا، قرأ بها الكسائي.

٤/ أَرَأَيْتَك قراءة ابن مسعود (السابق: ٢١٩)

١٧/ أدلة الاحتجاج:

أ/ السماع:

هو ما ثبت في كلام من يُوثقُ بفصاحته؛ فشمل كلام الله سبحانه وتعالى، وهو القرآن الكريم، وكلام نبينا (محمد صلى الله عليه وسلم)، وهو الحديث الشريف، وكلام العرب قبل بعثته ، وفي زمنه، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المُولّدين، نظما، ونثرا عن مسلم وكافر) السيوطي: الاقتراح: د.ت: ٤٨).

يعتبر القرآن الكريم أهم مصدر اعتمد عليه ابن خالويه في منهجه أثناء تناوله المادة الصرفية.

١- **القرآن الكريم:** يستشهد ابن خالوية بآيات من القرآن الكريم، ففي أثناء إعرابه قوله تعالى: (فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً) (الليل: ١٤)، يقول ابن خالويه: والمصدر: أنذر يُنذِرُ إنذاراً، فهو مُنذِرٌ. والفاعل مُنذِر، والله تعالى مُنذِر والقرآن مُنذِر، والنبي (صلى الله عليه وسلم) مُنذِر. كل ذلك بكسر الذال، والكافرون منذَرون: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) (يونس: ٧٣)، هذا بفتح (الذال) لا غير(ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٢٨). وقد يكون النذيرُ مصدراً بمعنى الإنذار كقوله تعالى: (كَيْفَ نَذِيرِ) (الملك: ١٧)، و(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) (الملك: ١٨). والنذير أيضا الشيب. قال تعالى: (وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ) (فاطر: ٣٧) قيل: الشيب.(السابق: ١٢٨). الآية (الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (الليل:١٦)، يقول ابن خالويه: والمصدر: تَولّى يَتولّى تولِيَاً فهو مُتولٍّ، وكذّب يُكذّبُ تكذيباً وكِذّابا، قال تعالى: (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً) (النبأ: ٢٨). قال سيبويه: مَن قال: كلَّمتُ زيداً كِلَّاما قال: تَكَلَّمتُ تِكْلاماً، ومن قال: كَلمتُه تَكْليماً. قال: تَكلَّمتُ تَكَلُّماً. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ١٣٠).

٢- **الحديث الشريف:** قال تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) (التكاثر: ١)، يقول ابن خالويه: ألهى يلهي إلهاء فهو ملهِ. يقال: لهيت عن الشيء أَلْهى لُهيّا: إذا غفلت عنه وتركته. وألهاني غيري. ومن ذلك الحديث: (إذا استأثر الله بشيء فأله عنه) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٨٢:١٩٨٩). قال تعالى: (وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ) (الطارق: ١)، يقول ابن خالويه متسائلا: فإن سأل سائل فقال:

قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا إلا بالله). فلم جاز الإقسام أن يقع بغير الله ؟ يجيب بقوله: التقدير: ورب السماء، ورب الفجر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه(ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٥٤).

٣- **القراءات القرآنية:** ابن خالويه هو صاحب كتاب (الحجة في القراءات السبع) فقد ورد ذكر كثير من القراءات في هذا الكتاب الذي بين أيدينا، فالكتابان مختلفان والمؤلف واحد ومن الطبيعي أن تكون الآراء متداولة بين الكتابين، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) (الشمس: ٩)، يقول ابن خالويه: وروى ورش عن نافع: (قد افلح) نقل حركة الهمزة إلى الدال تخفيفاً (ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ١١٨). قال تعالى: (بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس: ١)، يقول ابن خالويه: قرأ الكسائي: برب الناس بالإمالة وإنما أمال ليدل على أن ألفه منقلبة من ياء والأصل: قل أعوذ برب النَّيَس، فصارت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩:٢٥١). قال تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) (الضحى:٢)، يقول ابن خالويه: والمصدر سجا يسجو سُجُوّا فهو ساجٍ. ويضيف حول قراءته: و(سجا): حمزة لا يميله؛ لأنه من ذوات الواو، وأماله الكسائي؛ لأنه مع آيات قبلها وبعدها من ذوات الياء. وأما أبو عمرو ونافع فكانا يقرآن بين بين، وهو أحسن القراءات. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٣٣). قال تعالى: (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) (الأعلى: ٧)، يقول ابن خالويه: يقال خفي يخفى خَفْوِا وخُفُوّا، وخفاء ومنه قولهم: بَرِحَ الخفاءُ: أي انكشف الغطاء. وخفي خَفْيَا فهو خافٍ: إذا استتر. وأخفيته أنا أُخفيه ومن ذلك قوله تعالى: (إن الساعة آتية أكاد أُخفيها) (طه: ١٥)، أي: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف أطلعكم عليها ! وقرأ سعيد بن جبير: أكاد أَخفيها بفتح الألف، فمعناه أظهرها؛ يقال خفيت الشيء: أظهرته (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٧٥).

٤- **كلام العرب: (نثرا وشعرا):** عن قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر: ٢)، يقول ابن خالويه: والمصدر نحر ينحر نحرا فهو ناحر، فقال قوم: صلِّ الأضحى وانحر البُدْن. تقول العرب: بيوتنا تتناحر أي: تتقابل، وقال آخرون: وانحر أي: خذ شمالك بيمينك في الصلاة (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٢٤). قال تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً) (الزلزلة: ٦)، يقول ابن خالويه: صدر يصدر صدورا فهو صادر، والمفعول مصدور عنه. والعرب تقول: صَدَرتِ الإبل عن الماء إذا شربت، وانصرفت، ووردت الإبل الماء للشرب. وفي إعرابه قوله تعالى: (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(الفلق: ٥)، يقول ابن خالويه: حسد يحسُد حسدا فهو حاسد، والعرب تقول: (حسد حاسدك) إذا دعوا للرجل، أي: لا زلت في موضع تحسد عليه (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة:١٤١:١٩٨٩).

ب/ التعليل:

مصدر علل يعلل تعليلا، أحد أركان القياس الأربعة وفيه تبين الأسباب التي أدت إلى استقرار الحكم على ظاهرة ما، والعلة تغيير المعلول عما كان عليه.

من خلال تناول ابن خالويه لإعراب (ثلاثين سورة) لاحظنا العلل الصرفية التالية:

١/ علة الاستثقال:

حول إعرابه قوله تعالى: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) (الإخلاص: ٤)، قال ابن خالويه: جزم بلم والأصل: (يكْوُن) فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى الكاف وسقطت الواو لسكونها وسكون النون.

وهذا ما نعبر عنه بقولنا: فالتقى ساكنان فحذفت الواو للتخلص من التقاء الساكنين فصارت (يكن).

قوله تعالى: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر: ١)، يقول ابن خالويه: جاء يجيء جَيْئا ومجيئا فهو جاءٍ، والأصل: جائِيٌ، فاستثقلوا الجمع بين همزتين فلينوا الثانية فصارت ياء لانكسار ما قبلها وحذفوها لسكونها وسكون التنوين فصارت جاءٍ مثل قاضٍ ورامٍ.(ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ٢٣١).

٢/ علة الحمل على النظير:

يقول ابن خالويه أثناء إعرابه قوله تعالى: (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة: ٢): تجعله مصدرا لحمدت أحمد حمدا، فأنا حامد، ودخلت الألف واللام في المصدر تخصيصا كما تقول: النجا النجا. أي انج انج. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٣٤).

وعن إعرابه قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر: ١)، يقول ابن خالويه: وقيل الكوثر: الخير الكثير، ومنه القرآن. وهو (فَوْعل) من الكثرة. والواو زائدة مثل (كَـوْسَج) و(نـوفـل) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين:١٩٨٩: ٢٢٣).

وفي أثناء إعرابه قوله تعالى: (رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ) (قريش: ٢)، يقول ابن خالويه: والأصل: الشتاو، من شتا يشتو وجمع الشتاء أشتية، كرداء أردية.

وعن قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) (الأعلى: ٢)، يقول ابن خالويه: تصريف الفعل سوّى: يسوّي تسوية فهو مسوّ. واسم المفعول: مسوًّى. وكل ماجاء من مـثال (سـوّى) و(جـلّى) و(حلّى) يجوز في مصدره وجه ثانٍ: حلّى تحْلِيا، وسوّى تسْوِيا (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٧٢).

وفي إعرابه قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ) (الماعون: ٦)، يقول ابن خالويه: والمصدر: راءى يرائي مراءاة ورئاء فهو مراء مثل: راعى يراعي مراعاة فهو مراع (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٢١).

٣/ علة الاحتراز:

قال تعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١)، يقول ابن خالويه: والضحى مؤنثة تصغيرها ضُحَيَّة، والأجود أن نقول في تصغيرها: (ضُحَيٌّ) بغير (هاء)؛ لئـلا يُشبه تصغيرها تصغير (ضَحوة) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١١٤).

٤/ الأصالة:

يقول ابن خالويه: ويسمى أصل الشيء (أمّا)، قال تعالى: (وَإِنَّـهُ فِـي أُمِّ الْكِتَابِ لَـدَيْنَـا لَـعـلِيٌّ حَكِيمٌ) (الزخرف:٤).أي: في أصل الكتاب (السابق نفسه ص ٣٢).

وعن قوله تعالى: (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (الفجر: ٢٨)، يقول ابن خـالويه: الأصل: في مرضيّة مرضُوة فقلبوا من الواو ياء؛ لأنه أخف. قال الجرمي: هذا مما قلبت العرب الواو فيه ياء لغير علة، وتقول العرب: من يقول: مرضوّة على الأصل.

وتقول العرب: أرض مسنية. والأصل مسنوة، وهي التي سقيت بالسانية. جمع سوان وهي الساقية أو النافورة. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٠٣).

وفي قوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش: ٤)، يقول ابن خالويه: والمصدر خاف يخاف خوفا فهو خائف. والأصل: خَوِف، فصارت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. (السابق نفسه: ٢١٥).

ومن مسائل الصرف في قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) (الماعون: ٥)، يقول ابن خالويه: الأصل في ساهون: (ساهيون)؛ لأنهم على وزن فاعلون، من سها يسهو سهوا فهو ساهٍ فاستثقلوا الضمة على الياء وقبلها ياء فخزلوها، ثم حذفوها لسكونها وسكون الواو. ويقال: سها يسهو سهوا.

وعن قوله: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ) (الطارق: ٥)، قال: الأصل: من ما، أي: من أي شيء خلق؛ فأدغمت النون في الميم، وحذفت الألف من (ما) في الاستفهام مع (من) و(عن) كقوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ) (النبأ: ١)، ومع (اللام) كقوله: (لِمَ تَعِظُونَ)(الأعراف: ١٦٤). ومع (في) كقوله: (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) (النازعات: ٤٣).

قوله تعالى: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر: ١)، يقول ابن خالويه: (جاء): فعل ماض والأصل: جَيَأ فصارت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ومدت الألف تمكينا للهمزة (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٣١).

٥/ علة التخفيف:

وعن إعرابه الآية الكريمة (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) (الشمس: ٩)، يقول ابن خالويه: روى ورش عن نافع: قد (افلح) نقل حركة الهمزة إلى الدال تخفيفا والمصدر: أفلح يفلح إفلاحا فهو مفلح.

قال تعالى: (قل أعوذ برب الناس) (الناس: ١)، يقول ابن خالويه: قال سيبويه: الأصل في الناس: الأناسُ، فتركوا الهمزة تخفيفا وأدغموا اللام في النون. (ابن خالويه: إعراب لاين سورة: ١٩٨٩: ٢٥١).

وعن قوله تعالى: (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (الفجر: ٢٨)، يقول ابن خالويه: الأصل في (مرضيّة) مرضُوة فقلبوا من الواو ياء؛ لأنه أخف. قال الجرمي: هذا مما قلبت العرب الواو فيه ياء لغير علة.

وعن قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) (الماعون: ١)، يقول ابن خالويه: (أريْت) قرأ بها الكسائي بحذف الهمزة تخفيفا. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢١٧).

قوله تعالى(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) (التكاثر: ٦)، يقول ابن خالويه: ترونّ: فعل مستقبل وزنه تَفْعَلُنّ والأصل: لَتَرْأيون فحذفت الهمزة من تَرْأَيُ في الاستقبال تخفيفار. واستثقلوا الضمة على الياء التي قبل واو الجمع فحذفوها، فالتقى ساكنان: الواو والياء، فأسقطوا الياء لالتقاء الساكنين، ثم كانت الواو ساكنة وبعدها النون الشديدة الساكنة، فلم يجز حذف أحدهما. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٨٦).

وعن قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٦)، يقول ابن خالويه: والأصل البريئة، فتركوا الهمزة تخفيفا. فهو من برّأ الله الخلق، والله الباريء المصور(ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٦٤).

وأثناء إعرابه قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ) (الفيل: ١)، يقول ابن خالويه: والأصل: (تَرْأيُ) فانقلبت الياء ألفا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها؛ فصارت ألفا لفظا وياءً خطا، ونقلوا فتحة الهمزة إلى الراء، وأسقطوها تخفيفا، لأن الماضي من (ترى) رأيت مهموزا. (ابن خالويه: إعراب لاين سورة: ١٩٨٩: ٢٠٤).

٦/ الاستكراه:

قال تعالى: (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) (الشمس: ١٠)، يقول ابن خالويه: المصدر: الألف في (دسّى) مبدلة من سين كراهية اجتماع ثلاث سينات.

والأصل من دسسها: أي أخفاها، يعني نفسه عن الصدقة، كما قال تعالى (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) (القيامة: ٣٣)، والأصل: يتمطط. يقال: تمطى فلان أي: تبختر (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٢٠).

قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (العصر: ٣)، يقول ابن خالويه: والأصل: (أأمنوا) الهمزة الأولى: تسمى ألف القطع، والثانية: سَنْخِيّة (سَنخ كل شيء: أصله) فاء الفعل فلينوها كراهية للجمع بينها (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٩٢).

٧/ علة المجاورة:

ومثالها قول الله عزوجل: (الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) (الفاتحة: ٧)، يقول ابن خالويه: والأصل في عليهِم: عليهُم (بضم الهاء) وهي لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قرأ بذلك حمزة وإنما كسر الهاءَ من كسرها لمجاورة الياء.ابن خالويه: إعراب ثلاثين: ١٩٨٩: ٤٨).

وعن إعرابه قوله تعالى: (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) (الفجر: ٢٣)، يقول ابن خالويه: وهو فعل ما لم يسم فاعله، وكانت الجيم مضمومة فكسرت لمجاورة اليـاء، والأصـل: جُيِيء مثـل ضُرِبَ، ومثله بيع الثوب، والأصل: بُيِع فنقلوا كسرة العين إلى الفاء، وكذلك ذوات الياء والواو وهذه سبيلها، نحو: كيل الطعام، و(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (الزمر: ٧١).

٢/ **السمات التطبيقية**:

من خلال تتبعنا للمادة الصَّرفيَّة في كتاب (إعراب ثلاثين سورة) لاحظنا السمات التطبيقية التالية:

أ/ الضبط:

تأتي الحاجة إلى الضبط حينما تصبح الألفاظ معرضة للتحريف والتصحيف؛ فالناظر للمسائل الصرفية عند ابن خالويه، يجد الضبط فيها يتخذ طرقا شتى، تتمثل في الآتي:

١/ **الضبط بالوزن**:

ضبط الكلمات بالوزن مسألة اهتم بها ابن خالويه كثيرا في كتابه عند معالجتها صرفيا، من ذلك ماجاء في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ) (الفيل: ١)، قال ابن خـالويه: و(تـر) وزنه من الـفعل (تفعل) وقد حذف من آخره حرفان: الألف والهمزة؛ فالألف سقطت للجزم، وهي لام الفعل مبدلة من ياء، والهمزة هي عين الفعل سقطت تخفيفاً (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٠٤).

وعن قوله تعالى في سورة الناس: (إِلَهِ النَّاسِ) (الناس: ٣)، قال ابن خـالويه: (إلـه) وزن (فِعال)، فاء الفعل همزة مبدلة من واو، كما يقال في وعاء: إعاء، وفي وشاح: إشاح. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢٥٢).

٢/ الضبط بالنظير:

ومثاله ما استشهد به ابن خالويه في معرض إعرابه قوله تعالى: (وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)(البلد: ٣)، يقول ذو النونين: والمصدر: ولد يلد ولادةً ولدةً؛ والمفعول مولود، مثل: وعد يعد عِدة. والأصل: يولد ويوعد، فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة.

٣/ الضبط بالاشتقاق:

أصل المشتقات المصدر، لأن معناه بسيط ومعنى غيره مركب وقال الكوفيون: أصل المشتقات الفعل، لأن المصدر تابع له في الإعلال ك(أقام إقامة) والبصريون أنفسهم يعبرون في كلامهم عن رأي الكوفيين إذ يقولون: إذا كان الفعل كذا فمصدره كذا يجعلون بالتطبيق الأصالة للفعل) (الدقر: معجم قواعد اللغة العربية: ٥٥).

والمشتقات عشرة: الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة. نجد هذه المشتقات كثيرا جدا بين صفحات الكتاب أثناء إعراب ابن خالويه السور الكريمة الثلاثين، فمنهجه كما يتضح من طريقته يجعل الفعلَ الأصلَ، والمصدرَ فرعاً، وهو مذهب الكوفيين، وهذا يجعلنا نقول ببروز منهجه الصرفي وذلك باتباع علماء المدرسة الكوفية. ففي قول الله عزّ وجل: (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) (العاديات: ٩)، يقول ابن خالويه: عن الفعل (بعثر): فإذا صرفت قلت: بُعثر يُبَعثر بعثرة وبعثارا فهو مُبعثِر. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٧٤).

وعن قوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى: ١)، يقول ابن خالويه: فإذا صرفت قلت: سبح يسبح تسبيحا فهو مُسبِّح (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٧١).

وفي قوله تعالى: (الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ) (الهمزة: ٢) يقول ابن خالويه: والمصدر: جَمَع يَجمَع جَمْعا فهو جامِع (السابق نفسه: ٩٨). وأهل الكوفة: يقرءون بالتشديد، والمصدر جَمّع يُجمّع تجميعا فهو مُجمِّع(السابق نفسه: ٩٩). وعن الفعل (عَدّد) يضيف ابن خالويه: والمصدر: عَدّد يُعدد تعديدا فهو مُعَدِّد. (السابق نفسه: ١٩٩).

يكثر ابن خالويه إيراد المسائل الصرفية التالية، بل وتكاد تكون الغالبة دون غيرها من أبواب الصرف ولذا كان لابد من ذكرها وهي:

ب/ مسائل التصغير:

في أثناء إعراب ابن خالويه قوله تعالى: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً)(الطارق: ١٧)، قال إن (رويدا): نصب على المصدر والأصل: ارودادا، فرويدٌ: تصغير ارودادا. ورويدا إنما هو الإمهال والتمكث، يقال: امش مشيا رويدا أي: لاتستعجل. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٧٠).

قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة:

تنام عن كبْرِ شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تنغرف (ابن قتيبة: أدب الكاتب:د. ت: ٢٣٨)

وأثناء إعرابه قوله تعالى: (وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ) (الطارق: ١١)، يقول ابن خالويه: والسماء مؤنثة؛ لأن تصغيرها (سُمَيّة) وبها سميت المرأة؛ لأن العرب تسمي النساء بما تستحسنه. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٧).

ومن خلال إعرابه قوله تعالى: (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) (الغاشية:١٢)، قال: تصغيرها عيينة، وجمعها عيون وأعين (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٨٥).

وأثناء إعرابه قوله تعالى: (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)(الغاشية: ٢٢)، قال ابن خالويه: مسيطر: اسم جاء مصغرا، ولا مكبر له كقولهم: رويدا، والثُّريّا، وكميت، ومبيقِر، ومبيطِر، ومهيمِن (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٨٨). ومسيطر اسم فاعل من الفعل سيطر مثل هيمن مهيمن.

ومن خلال إعرابه قوله تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (الفجر: ٢٧)، قال ابن خالويه: النفس نعت لأيتها، المطمئنة: نعت للنفس؛ لأن النفس مؤنثة تصغيرها نفيسة (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١٠٢).

وعن قوله تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ) (قريش: ١)، يقول ابن خالويه: وقريش تصغير (قُرْش) وهي التجارة؛ سموا بذلك؛ لأنهم كانوا تجارا (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٢١٢).

ومن خلال إعرابه قوله تعالى: (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) (الأعلى: ١٢)، يقول ابن خالويه: النار مؤنثة تصغيرها نويرة (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٧٨).

ومن بين ثنايا إعرابه قول الله سبحانه وتعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١)، يقول ذو النونين: والشمس: مؤنثة تصغيرها شميسة، فأما الشمس: القلادة في عنق الكلب فهو مذكر، تصغيره شميس. والضحى مؤنثة تصغيرها: ضحية. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ١١٤).

هذا قليل من كثير ذكره ابن خالويه عن باب التصغير وهو باب كثير الورود في هذا الكتاب.

ج/ مسائل الإعلال والإبدال:

والإعلال هو: تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه. وتأتي أمثلته في ثنايا الحديث التالي عن الإبدال.

أما الإبدال: فهو جعل مطلق حرف مكان آخر، فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب لاختصاصه بحروف العلة فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكس. (الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف: ٢٠٠٣: ١٠١).

قد يطلق الإبدال على ما يعم القلب إلا أن الإبدال إزالة والقلب إحالة والإحالة لا تكون إلا بين الأشياء المتماثلة ومن ثم اختص بحروف العلة والهمزة لأنها تقاربها بكثرة التغيير (السابق: ١٠١)، ولا يقع الإبدال إلا في أحرف معلومة جمعها الصرفيون في قولهم (هدأت موطيا) وهي تسعة ضرورية في التصريف وما عداها فإبداله غير ضروري (السابق نفسه ١٠٢).

وسنتناول بعض أمثلته مما ورد كتاب (إعراب ثلاثين سورة):

١/ إبدال الهاء همزة:
قال ابن خالويه عن قوله تعالى: (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) (الطارق: ٦) وهذه الهمزة مبدلة من هاء وذلك أن الأصل في ماء (موه) فقلبوا من الواو ألفا فصار (ماه) ثم أبدلوا من الهاء همزة فصار (ماء) (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٢) . يقول ابن جني: الهمزة تبدل من خمسة أحرف وهي الألف والياء والواو والهاء والعين، وتحدث عن إبدال الهمزة عن الهاء: فقال: وأما إبدال الهمزة عن الهاء فقولهم: ماء وأصله: (موه) لقولهم: (أمواه) فقلبت الواو ألفا، وقلبت الهاء همزة، فصار(ماء) كما ترى. وقد قالوا في الجمع: (أمواء) فهذه الهمزة بدل من (هاء) أمواه (ابن جني: سرصناعة الإعراب: ١٩٨٥: ١١٢).

٢/ إبدال الياء همزة:
قال ابن خالويه عن قوله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (الطارق: ٩): والسرائر جمع سريرة، وإنما همزت الياء في الجمع وليس في الواحد همز، لأن في الجمع قبل الياء ألف، وهي ساكنة، فاجتمع ساكنان فقلبوا الياء همزة وكسروها لالتقاء الساكنين، ومثله قبيلة وقبائل. (ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة: ١٩٨٩: ٦٦).
قال ابن مالك في الألفية:

والمدّ زيد ثالثا في الواحد همزا يرى في مثل كالقلائد

يقول بدر الدين بن مالك: يبدل همزة ما ولي ألف الجمع الذي على مقال (مفاعل)إن كان مدة مزيدة في الواحد، نحو: قلادة وقلائد، وصحيفة وصحائف، وعجوز وعجائز.
فلو كان غير مدة أو مدة غير مزيدة لم يبدل، نحو: قسورة وقساور، ومفازة ومفاوز، ومعيشة ومعايش، ومثوبة ومثاوب، إلا فيما سمع فلا يقاس عليه نحو: مصيبة ومصائب، ومنارة مناور (ابن الناظم: د.ت: ٨٣٩).
إذا كان حرف المد الألف أو الواو أو الياء مزيدا في المفرد ووقع بعد ألف مفاعل (صيغة الجمع المتناهي أو الأقصى) يبدل همزة، نحو: سريرة سرائر، قبيلة قبائل، صحيفة صحائف، أما ذا كان حرف المد أصليا أي غير مزيد أو كان غير مدّ مالم يبدل نحو: قسورة قساور (الصرف الواضح: ١٩٨٨: ٣٢٦).
يتضح من القاعدة الصرفية هذه أن الواو والياء تقلبان همزة إذا وقعتا بعد ألف مفاعل (صيغة الجمع المتناهي أو الأقصى) وشبهه وقد كانت مدتين زائدتين في المفرد نحو: عجوز عجائز، قبيلة قبائل، وصحيفة صحائف بخلاف نحو: قسور الأسد (قساور) لأنه غير مدة ومعيشة معايش لأن المدة أصلية وشذّ مصيبة مصائب ومنارة منائر مع أصالة المدة في المفرد وسوغه شبه الأصلي بالزائد وتشاركهما في ذلك الألف، نحو: عمامة عمائم ورسالة رسائل، وقلادة قلائد وذلك حملا للألف على أختيها.

ثالثا/ تقويم منهج ابن خالويه:
يبدو منهج ابن خالويه مستقل التفكير إذ لم نجد له أي تأثر بالمدارس الفلسفية أو الكلامية ، فقد كان متحرر النزعة، لا يتعصب للبصريين ولا الكوفيين مؤمنا بأن اللغة لا تقاس، وإنما تؤخذ سماعا، وان لغة العرب - وإن اختلفت - حجة يؤخذ بها، ويعتمد عليها.
ويبدو لنا من منهجه أنه نحوي وصرفي ولغوي بارع ومفسِّر ضليع استطاع أن يوظف موهبته العلمية في كتابه هذا معتمدا على ما نهله من شيوخه في هذا المجال وخاصة شيخه ابن دريد. صاحب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب تقويم اللسان والمتناهي في اللغة. لكن يبدو أن الغيرة في العلم والحسد صنوان قد يلصقان بالإنسان في حياته وحتى بعد مماته، ومن يقلب كتب الأدب والتاريخ يجد ذلك كثيرا لا حصر له ولا عد. فقد وصفوا أستاذه ابن دريد بأنه قصير الباع في التصريف وأنه كان يشرب الخمر وكما وصفوه بالحمق وسرقة كتاب الجمهرة من الخليل.

قال ابن جني في باب سقطات العلماء متحدثا عن ابن دريد أستاذ ابن خالويه: وأما كتابه الجمهرة ففيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذ الأمر ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته ثم إنه لما طال عليّ أومأت إلى بعضه وأضربت ألبته عن بعض (ابن جني: الخصائص: ٢٨٨/٣)
قال السيوطي: إن أبا الفتح ابن جني ويعني أن ابن دريد قصير الباع في التصريف وإن كان طويل الباع في اللغة (السيوطي: المزهر: د.ت:٩٣/١).
ليس بالضرورة أن يكون الشخص طويل باع حتى يكون شيخه كذلك، ربما لا يكون الشيخ مبرزا في أي علم ولكن يتخرج على يديه مبرزون. فالبروز في العلم وطول الباع فيه وسطوع نجم العالم هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده.
لكن ابن الأنباري وابن هشام ظلما ابن خالويه، قال ابن الأنباري: لم يكن ابن خالويه في النحو بذاك، (نزهة الألباء ٢٠٨)، وقال ابن هشام ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه (ابن هشام: مغني اللبيب: د.ت: ٣٦٢).
وقد كان ابن خالويه لا ينحاز إلى مدرسة بعينها، يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح وقد يرجح بأدلة يراها وقد يختلف عنهما بآراء متحررة، ولعل ظهور هذه النزعة التجديدية عند ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه: (في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة، ونهج فيها نهجا جديدا لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين، ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن) (ابن خالويه: الحجة:١٩٧٩:١٥).
وفي كتابه - مجال الدراسة - معالجة لكثير من القضايا الصرفية كالقلب والإبدال والإدغام والمثنى والجمع والتأنيث والتذكير والمقصور والمنقوص وفيها يستشهد بالآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف والشعر العربي.
ولذلك فالطريقة التي كان يتبعها في تأليف مصنفاته كانت بحق فريدة وهي التي جعلت الدكتور عبد العال سالم مكرم محقق كتاب ابن خالويه (الحجة في القراءات السبع) يقول: (ولا أخفي سرا إذا قلت إن هذا المنهج الذي التزمه ابن خالويه أعجبني وسحرني، أعجبني لأني استطعت ان أقف على كل مسائل الاحتجاج في وقت قصير، وسحرني لأنه يقدم لي خلاصة مهذبة ، واضحة المعالم، بينة السمات في قراءات القرآن والاحتجاج لها (ابن خالويه: الحجة في القراءات:١٥).
والحق إن نفس هذا الأسلوب والطريقة والمنهج اتبعها ابن خالويه في (إعراب ثلاثين سورة): والقارئ لهذ الكتاب يلمح الأسلوب الجزل، والعبارات المختارة بدقة، ويعرض للغة، والتفسير، والنحو، والصرف بطريقة جذابة، لا يبعد القارئ عنه، ولا يجعل الملل يتسرب إلى نفسه؛ يعطيك الحقيقة مصحوبة ببرهانها، في وضوح وصراحة، من غير أن يتعب ذهنك، ويشتت تفكيرك، بعيدة عن الإيجاز المخل، والاستطراد الممل، وحتى لا يتبادر النسيان إلى عقلك ويشتت أفكارك.
يعتبر ابن خالويه علم من الأعلام الذين أسسوا المنظومة الفكرية المتكاملة في علوم اللغة العربية Intellectual System of Integrated Arabic Language خاصة وأنه يتمتع بمكانة علمية مرموقة، وله إنتاج علمي ثرّ وغزير في علوم اللغة، الأمر الذي جعله موردا لكثير من العلماء، لما قدمه من جهود عظيمة وجبارة في مجال الدراسات العربية والإسلامية.
كان ابن خالويه (رحمه الله) إماما وأحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب، وكان إليه الرحلة من الآفاق، وكان آل حمدان يكرمونه (القفطي: ١٩٥٠: ١/ ٣٢٦).
منهج هذا العالم منهج العلماء الذين حملوا على عاتقهم الهمة والعزيمة والصبر في سبيل العلم وإيصاله لطلابه كما حملوا النية الصادقة والمخلصة، وهو منهج العلماء المخلصين الذين تفانوا وقدموا خلاصة تجاربهم من أجل إنارة الدرب للآخرين شعارهم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

نتائج البحث:

في نهاية هذه الدراسة يمكن أن نستخلص ما يأتي:

١- لم يلتزم ابن خالويه منهجا معينا في معالجته المسائل الصرفية فيما تناوله من ألفاظ فحينا نجده يلتزم منهج الاستقصاء في بعضها وحينا يقتصر فيها على جوانب دون غيرها.

٢- نسبة المادة الصرفية التي تناولها ابن خالويه في كتابه (إعراب ثلاثين سورة) تضارع المادة النحوية واللغوية أو تكاد، فإذا أردنا أن نرتب هذه المادة العلمية فتأتي الصرفية بعد النحوية واللغوية.

٣- عرض المؤلف لكثير من المسائل الصرفية أثناء حديثه عن المسائل النحوية من خلال إعرابه للثلاثين سورة.

٤- من أهم ما ركز عليه ابن خالويه طريقة التوضيح والتبيين وذلك من خلال أسلوب التصريف الاشتقاقي الذي سلكه، فهو يأتي بالفعل الماضي ثم المضارع فالمصدر ثم اسم الفاعل فالمفعول وهي طريق مثلى وذات قيمة في الدراسات الصرفية.

٥- لم يذكر ابن خالويه: مصادر أو كتبا أو مؤلفات في علم الصرف مما يعني أنه لم تكن في وقته كتب خاصة بالصرف اللهم إلا كتاب المازني في الصرف والسبب ربما يرجع لعدم انفصال النحو عن الصرف واستقلاله عنه، إذ لايزال النحو والصرف يسيران جنبا إلى جنب في الدرس اللغوي. لا سيما وأن وفاته كانت عام ٣٧٠ هـ.

٦- المنهج الذي سلكه ابن خالويه في الإعراب النحوي والصرفي هو منهج التخفيف والتيسير ولعل ذلك ربما يفسر أنه لم يعرب أربع عشرة ومائة سورة بل أعرب منها ثلاثين فقط أي بنسبة خمس وعشرين بالمائة من جميع سور القرآن الكريمة.

٧- جاءت آراء ابن خالويه الصرفية لخدمة أهدافه اللغوية باعتباره عالم لغة في المقام الأول، ولذلك فقد جاءت هذه الآراء الصرفية وصفية فقط.

هذا ما أردنا إملاءه على هذا الموضوع: المنهج الصرفي عند ابن ابن خالويه في كتاب: (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) أدعو الله أن يكون هذا البحث مهذب المباني، مشيّد المعاني. وآمل من الله العلي العظيم أن يجعل ذلك لوجهه الكريم مصروفا، وعلى النفع به موقوفا. فإن أصبت فلا عجب ولا غرر وإن نقصت فإن الناس ما كملوا والكاملُ اللهُ في ذاتٍ وفي صفةٍ وناقصُ الذاتِ لم يكمل له عمل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

١/ القرآن الكريم كتاب الله جل جلاله.

٢/ إبراهيم أنيس:

أ/ الأصوات اللغوية، ط ٥ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٥م.

ب/ من أسرار اللغة، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

٣/ إسماعيل، أبو محمد عبد الرحمن محمد: تيسير الصرف بمضمون شذا العرف، دارالباز، مكة المكرمة بدون تاريخ.

٤/ أحمد، خليل رشيد: الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد ١٨، عدد٣،مايو ٢٠١١م ص٤٨.

٥/ أحمد مختار عمروعبد العال مكرم: معجم القراءات القرآنية، ط٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨م.

٦/ أبو أوس إبراهيم الشمسان: الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة الكويت ٢٠٠٢م.

٧/ ابن جني، أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ:

أ/ الخصائص، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤م.

ب/ الخصائص، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠م.

ج/ سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط دار القلم دمشق ١٩٨٥م.

د/ سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ سنة ٢٠٠٠م.

هـ / المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة ٢٠٠٤م.

و/ المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، ط١ تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤م.

٨/ الدقر، عبد الغني: معجم القواعد العربية، دار القلم دمشق ط١، ١٩٨٦م.

٩/ الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، ط دار المعرفة بيروت ٢٠٠٥م.

١٠/ حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشد، بغداد ١٩٨٠م.

١١/ الحملاوي، الشيخ أحمد: شذا العرف في فن الصرف، تحقيق أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، المنصورة، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢/ حسان، تمام: الأصول: دراسة إبستيمولوجية للغة، عالم الكتب القاهرة ٢٠٠٠م.

١٣/ حسن رمضان فحلة: بهجة الطرف في فن الصرف، دار الهدى، الجزائر.

١٤/ أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف ت٧٤٥هـ):

أ/ المبدع في التصريف، تحقيق د. عبد الحميد طلب، ط دار العروبة، الكويت ١٩٨٢م.

: المبدع في التصريف، تحقيق د. عبد الحميد السيد طلب، ط١، دار العروبة، الكويت ١٩٨٢م.

١٥/ ابن خالويه، الحسين بن أحمد ت ٣٧٠هـ:

أ/ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة الساعي الرياض، بدون تاريخ.

ب/ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، دار الكتب، بيروت بدون تاريخ.

ج/ الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال مكرم، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩م.

١٦/ خليل إبراهيم العطية: البحث الصوتي عند العرب، دار جاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.

١٧/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٥هـ، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٨م.

١٨/ الرضي الاستراباذي، شرح الشافية، تحقيق محمد نور وآخرون، بيروت ١٩٧٥م.

١٩/ السيوطي، جلال الدين ت ٩١١هـ:

أ/ الأشباه والنظائر في النحو، طبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩هـ.

ب/ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرون، مكتبة دار التراث القاهرة ، ط٣، بدون تاريخ.

٢٠/ سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢م.

٢١/ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م.

٢٢/ الصفاقسي، برهان الدين محمد بن أبي القاسم: المجيد في إعراب القرآن المجيد، منشورات كلية الدعوة، ليبيا.

٢٣/ أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي ت ٣٥١هـ: الإبدال، تحقيق وشرح عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ج١، ١٩٦١م، ج٢ ١٩٦٥م.

٢٤/ عبد الجبار علوان النايلة: الصرف الواضح جامعة بغداد ١٩٨٨ م.

٢٥/ عبد السميع شبانة: القواعد والتطبيقات في الإبدال والإعلال، ط٢، مطبعة الاعتصام، القاهرة١٩٥٥م.

٢٦/ عبد الصبور شاهين:

أ/القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم القاهرة، ١٩٦٦م. ب/ المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٨٠م.

٢٧/ عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.

٢٨/ عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٩/ عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٧م.

٣٠/ أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت٢١٣هـ: مجاز القرآن، تحقيق أحمد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٣١/ ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن علي بن عبد الله، ت٦٦٩هـ: الممتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٣، دار الآفاق، بيروت ١٩٧٨م.

٣٢/ العكبري، أبو البقاء ت٦١٦هـ: إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م.

٣٣/ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، ت ٨٥٥هـ: شرح المراح في التصريف، تحقيق عبد الستار جواد، ط١، مؤسسة المختار القاهرة ٢٠٠٧م.

٣٤/ الفراء، يحي بن زياد، ت ٢٠٧هـ: معاني القرآن ، قدم له إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٥/ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠م

٣٦/ كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠م.

٣٧/ المبرد، محمد بن يزيد، ت٢٨٥هـ: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.

٣٨/ المرادي: الحسن بن أم قاسم ، ت٧٤٩هـ: شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق ناصر حسين علي دار سعد الدين القاهرة ٢٠٠٨م.

٣٩/ ابن منظور، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ: لسان العرب، دار صابر، بيروت، ١٩٥٦م.

٤٠/ ياقوت، محمود سليمان: الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الكويت، ط١ ١٩٩٩م.

****

أمارابك: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ٧٧-٩٠

نموذج مقترح لترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة

فتح الإله محمد أحمد محمد [*]

الملخص: هدفت الدراسة إلى بيان مدى ملائمة أسلوبي التكلفة على أساس النشاط (ABC) والتكلفة المستهدفة (TC) في ترشيد تكاليف الجودة والتعرف على اثر استخدام المقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة في ظل بيئة التصنيع الحديثة ومن ثم العمل على بناء نموذج محاسبي لترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها تطبيق أسلوب التكلفة على أساس النشاط يؤدي إلى تحديد أنشطة الجودة ذات القيمة المضافة ويوفر إطار عملي لعمليات دمج وفصل والغاء الأنشطة، أسلوب التكلفة المستهدفة يتيح للمنشأة تخطيط تكلفة الجودة وتحقيق المرونة التي تعكس استراتيجية إدارة المنشأة في ظل ظروف البيئة المعاصرة، كذلك فأن النموذج العلمي المقترح يساعد في تحقيق متطلبات الإدارة الاستراتيجية ومقابلة الاحتياجات المتغيرة لبيئة التصنيع الحديثة.

الكلمات المفتاحية: تكاليف الجودة، أسلوب التكلفة على أساس النشاط، أسلوب التكلفة المستهدفة، المقاييس غير المالية.

Proposed Model for the rationalization of quality cost in modern manufacturing environment

Fatihelelah Mohammed Ahmed

Abstract: The study aimed to show the extent appropriate activity -based cost and target cost methods in rationalization the costs of quality and identify the effect of using financial metrics and measuring hidden quality costs in the modern manufacturing environment, then work on building Proposed Model to rationalize the cost of quality in the modern manufacturing environment. The main findings of the study that application of activity –based cost method determines the activities of quality value-added and provides a practical framework for mergers and separation and the abolition of activities, the target cost method allows the facility planning cost of quality and flexibility that reflects the administration's strategy under the conditions of the environment contemporary, Also, the proposed scientific Model helps in achieving the strategic management requirements and meet the changing needs of modern manufacturing environment.

Keywords: Quality costs, Activity –based cost method, Target cost method, Non-financial metrics.

[*] أستاذ المحاسبة المساعد، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية alansary40@yahoo.com

المقدمة:

في ظل بيئة التصنيع الحديثة أصبحت الوحدات الاقتصادية المختلفة تسعى إلى تقديم منتجات ذات جودة عالية للصمود أمام المنافسة وذلك بأقل تكاليف ممكنة. الأمر الذى فرض الاهتمام المتعاظم بتوفير المعلومات والمقاييس المحاسبية الأكثر ملائمة ودقة وحداثة للقياس السليم لتكاليف الجودة والتقرير عنها.

ارتبط تطبيق الجودة بتحمل المنشأة لتكاليف مختلفة في سبيل الوفاء بمتطلبات ومعايير الجودة، الأمر الذى يتطلب إعادة النظر في نظم التكاليف التقليدية لتواكب التغييرات التي أفرزتها بيئة التصنيع الحديثة والمساعدة في اتخاذ وترشيد القرارات وتقويم الأداء وكذلك تحديد وقياس وعرض معلومات تكلفة الجودة والتقرير عنها خاصة المعلومات غير المالية.

هذه المستجدات المعاصرة فرضت ضرورة التحول السريع إلي أساليب التكاليف المدعمة للنشاط الإداري والتي تمكن المنشأة من الوصول إلى أفضل وأقل تكلفة تساهم في تقويم الأداء ودعم وتأكيد الميزة التنافسية للمنشأة.

مشكلة الدراسة:

تمثلت مشكلة الدراسة في أن هنالك حاجة لاستخدام أساليب تكاليف حديثة لترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة بصورة أكثر دقة وملائمة مما يساهم في تقويم أداء المنشآت الصناعية ويزيد من قدرتها التنافسية، وانطلاقا من ذلك تم صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

١- هل يؤدي استخدام أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة إلى ترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة؟
٢- هل الاهتمام باستخدام المقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة يؤثر على كفاءة المنشآت الصناعية في ترشيد تكلفة الجودة؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى بيان مدى ملائمة أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة في ترشيد تكلفة الجودة، والتعرف على أثر الاهتمام بالمقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة على كفاءة المنشآت الصناعية في ترشيد تكاليف الجودة، بالإضافة إلى بناء نموذج محاسبي لترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الحاجة إلى مقاييس ملائمة تساعد في ترشيد تكاليف الجودة في ظل الاهتمام المتعاظم بالجودة كمعيار للتنافس المحلي والعالمي وقبول المنتج في الأسواق.

فرضيات الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة تم اختبار الفرضيتين الآتيتين:

الفرضية الأولي: استخدام أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة يؤدي إلى قياس ملائم لتكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

الفرضية الثانية: استخدام المقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة يؤدي إلى زيادة كفاءة المنشآت الصناعية في قياس تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

الإطار النظري:

أسلوب التكلفة على أساس النشاط: Activity-Based Costing (ABC)

في العام ١٩٨٧م قدم الباحثان Robin Cooper &Robert Kaplan نظاماً جديداً لتوزيع التكاليف عرف بأسلوب التكاليف على أساس النشاط Activity-Based Costing (ABC) والذي يركز على الأنشطة كمحاور تكلفة رئيسية بدلاً عن المراكز.

عناصر أسلوب التكلفة على اساس النشاط:

تتمثل أهم العناصر التي يقوم عليها اسلوب التكلفة على اساس النشاط فيما يلي:(صالح، ٢٠٠٢م):

١- الموارد: تمثل العناصر الاقتصادية التي يتم توجيهها لأداء النشاط وتعتبر مصدر التكلفة عند استخدامها.

٢- الأنشطة: هي مجموعة العمليات او الإجراءات التي تشكل فيما بينها جوهر العمل الذى يتم اداؤه داخل المنشأة. وقسمت الانشطة الى أربعة مجموعات رئيسية كالاتي:(Cooper,1990)

- أنشطة ترتبط بوحدة المنتج.
- أنشطة ترتبط بالدفعة الانتاجية.
- أنشطة ترتبط بالخط الإنتاجي.
- أنشطة ترتبط بعمليات المنشأة.

٣- المخرجات: هي وحدات التكلفة التي تستهلك خدمات الأنشطة المختلفة.

٤- مسببات تكلفة الانشطة: تعبر عن العوامل التي يترتب على حدوثها تكاليف.

٥- مجمعات تكلفة النشاط: هى مجموعة الأعمال المتجانسة التي تؤدي داخل وحدة النشاط لتحقيق هدف محدد.

خطوات تطبيق أسلوب التكلفة على أساس النشاط:

تتمثل خطوات تطبيق أسلوب التكلفة على أساس النشاط فيما يلي:(الشقاحين، ٢٠٠٧م)

١. تحديد أنشطة المنشأة وتحليلها إلى أنشطة رئيسية وأنشطة فرعية.
٢. حساب تكلفة الأنشطة كمياً والتعبير عنها بمقياس كمي.
٣. استخلاص مسببات التكلفة بالاستناد إلي دراسات ومشاركات القائمين على إنجاز الأنشطة المختلفة داخل المنشأة.
٤. تحميل تكاليف الأنشطة للمنتجات ويتطلب ذلك تتبع الطلب على موارد كل نشاط على حده باستخدام مسبب تكلفة النشاط كمؤشر لهذا الطلب.

من العرض السابق يتضح أن الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها هذا الأسلوب هى التخلي عن مفهوم الوحدة المنتجة كمركز لتجميع عناصر التكاليف غير المتجانسة والتعامل المباشر مع السبب الحقيقي والفعلي لكل عنصر تكلفة، إضافة إلي أن هذا الأسلوب يفتح مجالات واسعة لتخفيض التكلفة حيث يساعد على تحديد وتحميل التكاليف على أساس الأنشطة المسببة لها بدلاً من تحميلها على الاقسام والوظائف الأمر الذى يساعد في توفير البيانات اللازمة لقياس تكاليف الجودة بطريقة أكثر دقة من خلال تحديد مسببات التكلفة لأى نشاط او عملية إنتاجية مما يساعد في استبعاد الأنشطة التي لا تضيف قيمة لجودة المنتج.

أسلوب التكلفة المستهدفة: Target Cost Method

عرفت التكلفة المستهدفة بأنها النشاط الذي يهدف إلي تخفيض دورة حياة المنتجات الجديدة مع المحافظة والتأكيد على مواصفات الجودة والثقة والمتطلبات الأخرى للعملاء من خلال فحص

كل الأفكار الممكنة لتخفيض التكلفة عند مراحل البحوث والتطوير والتصميم الهندسي والتخطيط للمنتجات الجديدة (حسين، ١٩٩٨م)

يتضح من العرض السابق أن أسلوب التكلفة المستهدفة هو أداة من الأدوات التي يمكن استخدامها في تخفيض تكاليف دورة حياة المنتج الجديد والحالي مع الحفاظ على جودة المنتج وقدرته الوظيفية ودرجة الثقة فيه وتلبية احتياجات العملاء عن طريق اختبار كل الأفكار الممكنة لتخفيض التكلفة عند مراحل التخطيط والبحوث والتطوير والمراحل التجريبية للإنتاج.

أعداد التكاليف المستهدفة:

توجد ثلاث طرق لأعداد التكاليف المستهدفة هي:(باسيلي،٢٠٠٧م)

١- طريقة اشتقاق التكاليف المستهدفة من تخطيط الربح ويتم أعداد التكاليف المستهدفة عن طريق سعر البيع التنافسي الذي يتحدد من المنافسين في السوق بمعلومية هامش الربح المستهدف. ويمكن صياغة ذلك في المعادلة الآتية:
التكلفة المستهدفة (المسموح بها)= سعر البيع – الربح

٢- طريقة اشتقاق التكاليف المستهدفة من التخطيط الهندسي وفيها يعتمد المهندسون على المهارات والخبرات المكتسبة والتسهيلات الإنتاجية في تقدير التكاليف المستهدفة حيث يتم تقدير التكاليف اولاً ثم العمل على تخفيضها تدريجياً للوصول للتكاليف المستهدفة.

٣- طريقة اشتقاق التكاليف بالمزج بين خصائص الطريقتين السابقتين حيث تقوم الإدارة العليا بالتعرف على الأرباح المستهدفة ثم التعاون بين العاملين لأعداد التكاليف المستهدفة.

تحقيق التكاليف المستهدفة:

تتمثل خطوات مرحلة تحقيق التكاليف المستهدفة في الخطوات الثلاث التالية:(عيسى، ٢٠٠١م)

١- قياس فجوة التكاليف وذلك بالفرق بين التكلفة المسموح بها (المستهدفة) والتكلفة الجارية ويتم تحليل هذا الفرق وتوزيعه وفقاً لدورة حياة المنتج وسلسلة القيمة للمنتج.

٢- تصميم المنتج وخفض عناصر التكلفة وذلك من خلال أنشطة تصميم المنتج وتحليل التكاليف وأنشطة هندسة القيمة.

٣- اعتماد التصميم النهائي وتطبيق عمليات التحسين المستمر.

يتضح من العرض السابق أن أسلوب التكلفة المستهدفة هو أسلوب لتخطيط الأرباح وإدارة التكلفة حيث يعتمد على سعر البيع والتركيز على العميل والمنتج ويعتبر ملائم للوفاء باحتياجات بيئة التصنيع الحديثة حيث يعمل على تحقيق التكامل بين ثلاثة عناصر مهمة في العملية الصناعية هي الجودة والتكلفة والزمن.

يرى الباحث أنه يمكن خلق تكامل بين أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة في تخفيض التكلفة في الأجل الطويل وذلك باستخدام أسلوب التكلفة المستهدفة – الذى يعتبر مدخل لتخطيط وإدارة التكلفة في مرحلتي التخطيط والتصميم – في تحديد التكلفة المستهدفة ثم العمل على تخفيض هذه التكلفة باستخدام أسلوب التكلفة على أساس النشاط وذلك بحصر جميع الأنشطة الرئيسية في المنشأة والعمل على تمييز وتحديد الأنشطة التي تضيف قيمة إلى المنتج او الضرورية لتسيير العمل في المنشاة والأنشطة التي لا تضيف قيمة لجودة المنتج والعمل على تقليل وتدنية تكاليف هذه الأنشطة مما يساهم في الوصول إلى التكلفة المستهدفة وتخفيض التكلفة في الأجل الطويل.

تكاليف الجودة: Quality Costs

صنفت تكاليف الجودة إلى مجموعتين كالآتي:(أحمد،١٩٩٧م)

١- تكاليف التوافق وهي التكاليف التي تنفق بهدف تحقيق التوافق مع المواصفات المحددة للجودة وهي تكاليف اختيارية تضم نوعين من التكاليف هما:
أ- تكاليف المنع وهي التكاليف المرتبطة بمنع أنتاج وحدات غير مطابقة للمواصفات.
ب- تكاليف التقييم وهى التكاليف التي تحدث لاكتشاف الوحدات الفردية من المنتج غير المطابقة للمواصفات.
٢- تكاليف عدم التوافق وهي التكاليف التي تنتج عن الفشل في التوافق مع مواصفات الجودة المحددة مسبقاً نتيجة أخطاء بمواصفات الجودة المطلوبة وهي تكاليف إجبارية وتضم نوعين من التكاليف هما:
أ- تكاليف الفشل الخارجي وهي التكاليف المرتبطة بالكشف عن وحدات المنتج غير المطابقة للمواصفات بعد شحنها إلى العملاء والمستهلكين.
ب- تكاليف الفشل الداخلي وهي التي تحدث عندما يتم اكتشاف المنتج غير المطابق للمواصفات قبل شحنه للعميل.

ويمكن صياغة التكاليف الكلية للجودة في المعادلة الآتية:

COQ= PC+AC+FC

حيث:

COQ: التكاليف الكلية للجودة
PC: تكاليف المنع
AC: تكاليف التقييم
FC: تكاليف الفشل

تكاليف الجودة المستترة: Hidden Quality Costs

هنالك بعض عناصر تكاليف الفشل يصعب قياسها وتقديرها وبالتالي تعتبر تكاليف مستترة للجودة لا يتم التقرير عنها في تقارير الجودة مثل هامش المساهمة الضائع بسبب انخفاض الجودة وبيع المنتج درجة ثانية والذي يكون ذو تأثير جوهري.

تستخدم دالة خسارة الجودة (QLF) لتاجوشى (Taguchi) للتقرير عن التكاليف المستترة للجودة والتي تعتمد على قياس التكاليف المستترة للجودة على أنها تربيعية بمعنى أذا تضاعف الانحراف عن القيمة المستهدفة فأن الخسارة تعادل اربع مرات خسارة واحدة، وفى حالة زيادة الانحراف إلى ثلاثة مرات فسوف تزيد الخسارة تسعة مرات.(السوافيرى،٢٠٠٥م)

وتستخدم المعادلة التالية لقياس تكلفة الجودة المستترة:

خ(ص) = ب[ص – س]

حيث:

خ ص: متوسط خسارة الوحدة المنتجة لتكاليف جودة مستترة
ب: معامل فني ثابت يعتمد على هيكل تكاليف الفشل في التنظيم
ص: القيمة الفعلية لخاصية الجودة (المستوي الفعلي)
س: القيمة المستهدفة لخاصية الجودة (المستوي المستهدف)

ويحدد المعامل الفني الثابت (ب) كالآتي:

ب= ر/د٢

حيث:

ر: الخسارة المرتبطة بحدود المواصفات (التكلفة المستهدفة التي تحدث بسبب عدم المطابقة)
د: انحراف المواصفات الفعلية عن المستهدفة.

يلاحظ من العرض السابق أن دالة الخسارة لتاجوشي تراعى تكاليف الإنتاج المفقود نتيجة الانحراف عن القيمة المستهدفة والتكاليف التي يتحملها العملاء نتيجة مستوى الجودة المنخفض وبالتالي ضرورة العمل على تضييق درجة التباين حيث تقل الخسارة كلما قلت درجة التباين واقتربت من القيمة المستهدفة.

مؤشرات الأداء في بيئة التصنيع الحديثة:

هناك مجموعة من المقاييس الأساسية التي يجب أن تشتمل عليها نظم التكاليف الجديدة المتعلقة بقياس وتقويم الأداء في بيئة التصنيع الحديثة وتشمل:(حسين،١٩٩٨م)

١- مقاييس الجودة: تشتمل المقاييس الملائمة لأداء الجودة على ثلاث فئات هي:

- مقاييس جودة المدخلات وهي التي تهتم بقياس جودة المواد الواردة إلى المنشأة والتأكد من جودتها قبل توصيلها الى المنشأة.
- مقاييس الرقابة أثناء التشغيل وتهتم برقابة الجودة أثناء الإنتاج بغرض التأكد من الالتزام بمواصفات ومستويات الجودة خلال المراحل المختلفة للعملية الانتاجية.
- مقاييس رضاء العملاء وهي التي تهتم بقياس اتجاهات ورضاء العميل.

٢- مقاييس أداء التسليم: حيث تعتبر سرعة الاستجابة لطلبات العميل من أهم محددات المنافسة في بيئة التصنيع الحديثة فكلما كانت المنشأة ذات استجابة عالية في تلبية احتياجات العميل كلما زاد ذلك من فرصها في جذب العملاء والحفاظ على الحصة السوقية للمنشأة.

٣- مقاييس أداء الآلات: وهي المقاييس التي تستخدم في تحديد درجة استعداد ومعدل استخدام الآلة الذي يؤثر في عمليات التشغيل وإلى حد كبير على أداء التسليم.

٤- مقاييس تخفيض المخزون: حيث تعتبر تكلفة المخزون من التكاليف التي يجب تخفيضها في ظل بيئة التصنيع الحديثة وبالتالي إتباع استراتيجية لتخفيض المخزون لأقل ما يمكن.

٥- مقاييس المرونة والابتكار: وهي التي تهتم بمدى قدرة المنشأة على سرعة تغيير المنتجات وتقصير فترة الإنتاج استجابة للتغيرات السريعة في البيئة المحيطة واستجابة لمتطلبات العميل.

٦- مقاييس التكلفة: هي المقاييس التي تقوم بالتركيز على أدارة ورقابة التكلفة في الأجل الطويل وإعطاء دور أكبر للمقاييس غير المالية للرقابة على التكاليف.

الدراسة الميدانية:

الحدود الزمانية: العام ٢٠١٣م.

الحدود المكانية: ولاية الخرطوم – السودان.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من القطاعات المكونة لقطاع الصناعات التحويلية بولاية الخرطوم حيث أستبعد الباحث قطاع الغزل والنسيج لتوقفه عن العمل بنسبة ٩٥% وهي:

١- قطاع الصناعات الغذائية.
٢- قطاع صناعة البلاستيك.
٣- قطاع الصناعات المعدنية.
٤- قطاع صناعة الكيماويات والادوية.
٥- قطاع الطباعة والتغليف والكرتون.
٦- قطاع الصناعات الكهربية والهندسية.
٧- قطاع صناعة الزيوت والصابون.
٨- قطاع صناعة الجلود.
٩- قطاع صناعة مواد البناء.

عينة الدراسة: قام الباحث باستخدام أسلوب العينة العشوائية في اختيار عينة الدراسة داخل كل قطاع حيث وزع عدد (٢٣٠) استمارة استبيان على الفئات المستهدفة تم استرجاع عدد (٢٠٠) استمارة بنسبة استجابة بلغت ٨٧%، فيما بلغ عدد الاستمارات التالفة عدد (١٤) استمارة بنسبة ٦% والاستمارات غير المرتجعة عدد (١٦) استمارة بنسبة ٧%.

صدق وثبات أداة الدراسة:

الصدق الظاهري: قام الباحث بعرض الاستبانة على مجموعة من المحكمين الاكاديميين المختصين ومن ثم قام الباحث بالاسترشاد بتوجيهاتهم وإجراء التعديلات المطلوبة.

الثبات الاحصائي: أستخدم الباحث طريقة التجزئة النصفية لحساب ثبات الاستبانة، حيث أخذ عينة استطلاعيه بحجم (٥٠) فرداً وتوصل إلى معامل ثبات للمحور الأول بلغ ٠.٨٤ والمحور الثاني بلغ ٠.٧٩.

أسلوب معالجة وتحليل البيانات:

لتحقيق أهداف الدراسة تم تحليل البيانات باستخدام الوسط الحسابي والانحراف المعياري.

تحليل البيانات:

الفرضية الاولى: استخدام أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة يؤدي إلى قياس ملائم لتكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

الجدول (١) الوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات الفرضية الأولي

ترتيب العبارة	العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	الاتجاهات الحديثة في المنافسة والتكنولوجيا والإدارة تتطلب تعديلات رئيسية في كيفية قياس وإدارة التكلفة	٤.٥١	٠.٥٨٣
٢	تحقيق رقابة أفضل على عناصر تكاليف الجودة يتوقف على تحديد مسبباتها.	٤.٤٣	٠.٦٤٦
٣	الاستناد على الأنشطة في تتبع التكاليف يؤدي إلى تخصيص تكاليف الجودة بصورة أكثر دقة	٤.٣٣	٠.٧٠٣
٤	استخدام التكلفة المستهدفة ورقابة الجودة في كافة المراحل من تصميم وإنتاج وما بعد الإنتاج يحقق الدقة في قياس تكاليف الجودة.	٤.٣٣	٠.٦٦٩
٥	وجود علاقة سببية واضحة بين تكلفة المنتج وما أستنفذ من موارد يساعد في التحديد الدقيق لتكاليف الجودة.	٤.٢٤	٠.٧١١
٦	يمكن الاستفادة من العلاقات المتداخلة بين الأنشطة المختلفة داخل سلسة القيمة في تخفيض تكاليف الجودة.	٤.٢١	٠.٧٥٤
٧	التركيز على بناء جودة المنتجات عند مرحلة التصميم بدلاً من التركيز على فحص الجودة بعد الانتهاء من الإنتاج يخفض تكاليف الجودة	٤.١٣	٠.٦١٥
٨	وضع نظام للحوافز والمكافآت مبنياً على مدى الاقتراب من تحقيق التكلفة المستهدفة يساعد على تخفيض تكاليف الجودة.	٤.١٣	٠.٧٢٢
٩	تخفيض التباين حول القيم المستهدفة لمكونات المنتج يقلل من شكاوي العملاء ويحقق وفرة في تكاليف عدم التوافق.	٣.٩٨	٠.٨٠٨
١٠	التركيز على أنجاز التكلفة المستهدفة دون العمل بالقرب من حدود السماح يؤثر ايجاباً على تكاليف الفشل الخارجي.	٣.٩٤	٠.٦٩٨
١١	الوحدات المنتجة التي تقع مواصفاتها داخل حدود مواصفات الجودة لا تعتبر متماثلة الكفاءة مما يؤثر على تكاليف الفشل الخارجي	٣.٧٩	٠.٧٨٣

يتضح من الجدول (١) الآتي:

- تراوح الانحراف المعياري لعبارات الفرضية ما بين ٠.٥٨٣ كأدنى قيمة و ٠.٨٠٨ كأعلى قيمة مما يشير إلى تجانس إجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية.
- الوسط الحسابي لعبارات الفرضية تراوح ما بين (٣.٧٩) كأدنى قيمة و (٤.٥١) كأعلى قيمة وهو ما يشير إلى أن آراء أفرد عينة الدراسة تتجه بشكل عام نحو الموافقة على عبارات الفرضية. وبالتالي يمكن قبول صحة فرضية أن استخدام أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة يؤدي إلى قياس ملائم لتكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

يرى الباحث أن التكامل بين الاسلوبين يتم باستخدام أسلوب التكلفة المستهدفة – الذي يعتبر مدخل لتخطيط وإدارة التكلفة في مرحلة التخطيط والتصميم – في تحديد التكلفة المستهدفة للجودة ثم العمل على تخفيض هذه التكلفة باستخدام أسلوب التكلفة على أساس النشاط.

الفرضية الثانية: استخدام المقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة يؤدي إلى زيادة كفاءة المنشآت الصناعية في ترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

الجدول (٢) الوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات الفرضية الثانية

ترتيب العبارة	العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	الاهتمام بدراسة ثقافة العملاء ومستوي إدراكهم وأنماطهم السلوكية والتغير المستمر في أذواقهم ومدي تقييمهم للمنافع مقارنة بالسعر يساعد في ترشيد تكاليف الجودة.	٤.٣٨	٠.٥٨٢
٢	ممارسة الرقابة التشغيلية اليومية لعمليات التصنيع بمقاييس غير مالية (مواعيد التسليم , نسبة أعادة التشغيل ,مرات التوقف)يساعد في التعرف على مسببات تكلفة الجودة.	٤.٢٨	٠.٦٥٩
٣	وفاء النظام المحاسبي بالمعلومات غير المالية يزيد من دقة قياس تكاليف الجودة.	٤.٣٣	٠.٧٠٣
٤	الاهتمام بالعمليات الداخلية للمنشأة وأغفال النتائج الخارجية (تكلفة الفشل الخارجي) يؤثر على دقة قياس تكاليف الجودة.	٤.٢٧	٠.٥٦٨
٥	الاهتمام بقياس تكاليف الجودة المستترة والتقرير عنها يجعل تقارير التكلفة الكلية للجودة تتسم بالاتساق والموضوعية والمصداقية في عكس الحقائق.	٤.٢٤	٠.٧١٢
٦	تقدير التكاليف المستترة للجودة يعد وسيلة فعالة لتحسين الجودة وتخفيض انحرافات التشغيل.	٤.١٦	٠.٧٢٨
٧	عدم الاهتمام بالقياس والتقرير عن الخصم الممنوح لانخفاض الجودة (بيع المنتج درجة ثانية) يؤدي إلى قياس غير دقيق لتكاليف الجودة.	٤.١٤	٠.٧٢٢
٨	يترتب على تجاهل تقدير التكلفة المستترة للجودة تحديد تكاليف الفشل بأقل من قيمتها الحقيقية.	٤.٠٧	٠.٦٦٦
٩	مقدار التكاليف المستترة للجودة يتوقف على درجة حساسية سلوك المستهلك بالنسبة للانحراف عن مستوى الجودة المستهدف.	٣.٩٦	٠.٦٨٩
١٠	يعتبر عدد العملاء الجدد وعدد العملاء الذين تم فقدهم مؤشراً لسلوك تكاليف الجودة.	٣.٩١	٠.٧٤٣
١١	تخفيض زمن الانتظار والفحص أثناء عمليات التصنيع وأداء الآلات يحسن عملية التسليم للعملاء مما يرشد تكاليف الجودة.	٣.٨٨	٠.٨٥٦

يتضح من الجدول (٢) الآتي:

- تراوح الانحراف المعياري لعبارات الفرضية ما بين ٠.٥٨٢ كأدنى قيمة و ٠.٧٤٣ كأعلى قيمة مما يشير إلى تجانس إجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية.

- الوسط الحسابي لعبارات الفرضية تراوح ما بين (٣.٨٨) و (٤.٣٨) وهو ما يشير إلى أن آراء أفرد عينة الدراسة تتجه بشكل عام نحو الموافقة على عبارات الفرضية. وبالتالي يمكن قبول صحة فرضية أن استخدام المقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة يؤدى إلى زيادة كفاءة المنشآت الصناعية في ترشيد تكاليف الجودة في ظل بيئة التصنيع الحديثة.

النموذج المقترح:

بعد استعراض الجوانب النظرية لمفهوم تكاليف الجودة وأهميتها في تقويم أداء المنشآت الصناعية يقوم الباحث ببناء نموذج علمي لترشيد تكاليف الجودة وذلك بالاعتماد على مدخل يقوم بالتكامل بين أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة مع استخدام المقاييس غير المالية.

أولاً: أهداف النموذج

يهدف النموذج المقترح إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- وضع أسلوب محاسبي للحصول على قياس دقيق لتكاليف الجودة في المنشآت الصناعية بهدف تقويم الأداء.
٢- توضيح الأساليب التي يمكن أن تزيد من القدرة التنافسية للمنشآت الصناعية في بيئة التصنيع الحديثة.
٣- تحديد مراحل التكاليف التي يمكن للمحاسبين العمل فيها لتطوير أسلوب المحاسبة عن تكاليف الجودة في المنشآت الصناعية في بيئة التصنيع الحديثة.

ثانياً: مقومات النموذج

حتى يحقق النموذج المقترح الأهداف التي يسعى لتحقيقها يتطلب توافر المقومات الآتية:

١- المقاييس المالية (أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة).
٢- المقاييس غير المالية.
٣- قياس تكلفة الجودة المستترة (دالة تاجوشي).
٤- المراجعة الداخلية.

ثالثاً: خطوات تطبيق النموذج

يتطلب الأعداد لتطبيق النموذج المقترح لترشيد تكاليف الجودة في المنشآت الصناعية القيام بالخطوات الآتية:

<u>الخطوة الأولى:</u> المقاييس المالية

يمكن خلق تكامل بين أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة حيث يساعد أسلوب التكلفة على أساس النشاط في زيادة فعالية أسلوب التكلفة المستهدفة وذلك بتوفير المعلومات عن تكاليف الأنشطة ومسببات تكلفتها أثناء مرحلة التصميم مما يساعد مصممي المنتج على التنبؤ بتأثير تصميماتهم على تكلفة المنتج عند مرحلة مبكرة من مراحل دورة حياة المنتج. وبالتالي فأن الحصول على معلومات دقيقة عن تكلفة الأنشطة المختلفة داخل العملية الانتاجية عند مرحلة مبكرة يجعل أدارة التكلفة تشكل جزءاً مهماً من القرارات الاستراتيجية للمنشأة.

إن عملية التكامل بين أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة تتطلب الآتي:

١- تحليل البيئة الخارجية:

يتم دراسة وتحليل البيئة الخارجية التي تعمل فيها المنشأة وذلك عن طريق:

أ- دراسة ثقافة العملاء ومستوي ادراكهم وأنماطهم السلوكية والاستهلاكية.
ب- أمكانيات وتسهيلات الموردين.

ت- تحديد وتحليل تكلفة المنافسين ثم المحاولة لتوجيه أمكانيات وتسهيلات المنشأة الداخلية للإنتاج بنفس او أقل من تلك التكلفة والتي تمثل التكلفة التنافسية والتي تحكمها إمكانات وظروف المنافسين في البيئة الخارجية.
ث- دراسة ظروف السوق واحتياجاته وتجميع بيانات عن أسعار المنافسين وتحليلها والتنبؤ بالتغيرات المتوقعة في تلك الاسعار والتنبؤ بردود أفعال المنافسين تجاه الأسعار التي ترغب المنشأة استخدامها في تسعير منتجاتها.
ج- قياس درجة رضاء العملاء عن المنتجات المقدمة لهم او التي في طريقها لهم.
ح- دراسة كافة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية السائدة في الوقت الراهن والمتوقع أن تسود في المستقبل.
خ- دراسة وتحليل تهديدات السلع البديلة.

٢- تحليل البيئة الداخلية:

تعتبر عملية دراسة وتحليل البيئة الداخلية للمنشأة مهمة جداً في سبيل تقويم أداء المنشأة وذلك عن طريق:

أ- التأكد من مدي قدرة نظام التكاليف المطبق في المنشأة على توفير المعلومات المرتبطة بخصائص البيئة المتغيرة المحيطة بمنشآت الاعمال مثل تطبيق الجودة الشاملة ومواكبة التطورات التكنولوجية في مجال الصناعة وظروف المنافسة.
ب- تقييم أوجه القوة والضعف في المنتجات الحالية والمنتجات المقترحة.
ت- دراسة وتحليل العلاقات بين وحدات الأداء المختلفة داخل المنشأة، حيث يجب أن تكون المنشاة عبارة عن فريق عمل منظم وضرورة حدوث تكامل بين وحدات الأداء مثل الشراء والإنتاج والهندسة والتسويق وغيرها من الوحدات.
ث- دراسة وتحليل مدي الاهتمام بتهيئة بيئة العمل الداخلية (درجة الرضا الوظيفي، التدريب، التامين الصحي، ساعات العمل، أوقات الراحة، وتطبيق مبدأ المشاركة).
ج- دراسة مدى مقدرة المنشأة البشرية والمادية على كسب الفرص التسويقية.
ح- تحليل وتطوير النظم الإدارية والتي تشمل التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة.

٣- تخطيط التكلفة:

حيث يتم فيها تصميم المنتج وتحقيق المرونة التي تعكس استراتيجية المنشأة في ظل الظروف الداخلية للمنشأة وظروف البيئة التنافسية المعاصرة التي تحيط بالمنشأة وذلك تمهيداً لتحديد التكلفة المستهدفة.

٤- تحديد التكلفة المستهدفة:

يمكن استخدام أحدى الطرق الآتية لتحديد التكلفة المستهدفة:

أ- اشتقاق التكلفة المستهدفة من تخطيط الربح:

هذه الطريقة تقوم فيها المنشأة بالتخطيط من أعلى لأسفل وذلك بالاعتماد على الظروف الخارجية وتوجهات السوق وتوقعات المنافسين كالآتي:

- تحديد سعر البيع المستهدف بناء على دراسة الاسواق وأسعار المنافسين.
- تحديد هامش الربح المستهدف للمنتج وذلك من خلال المتطلبات المالية للمنشأة وظروف القطاع الصناعي الذى تعمل فيه.
- تحديد التكاليف المسموح بها لإنتاج المنتج والتي تمثل الفرق بين سعر البيع المستهدف وهامش الربح المستهدف.

ب- اشتقاق التكلفة المستهدفة من التخطيط الهندسي:

وفقاً لهذه الطريقة يتم الاعتماد على خبرات المهندسين المكتسبة ومقدار التسهيلات الإنتاجية المتاحة في المنشأة، بحيث يتم تقدير التكاليف التي يمكن تحقيقها اولاً ثم العمل على تخفيضها تدريجياً وصولاً للتكلفة المستهدفة.

ج-اشتقاق التكلفة المستهدفة بالمزج بين خصائص الطريقتين السابقتين:
يتم تحديد الارباح المستهدفة ثم التعاون بين العاملين لإعداد التكلفة المستهدفة بحيث يتم تحديد التكلفة المستهدفة في مرحلة تصميم المنتج ثم بذل كل الجهود الممكنة لتخفيض التكلفة.

٥- تخفيض التكلفة المستهدفة:

يتطلب استخدام أسلوب التكلفة على أساس النشاط في حساب التكلفة المستهدفة للأنشطة المرتبطة بالجودة (المنع، التقييم، الفشل الداخلي، الفشل الخارجي) على أساس الموارد المستنفذة في كل نشاط كما يلي:

أ- تحديد مراكز الأنشطة بحيث تقسم بدورها إلى مجمعات تكلفة جودة بحيث يشمل كل مجمع تكلفة مجموعة الأنشطة المتجانسة التي تسعى لتحقيق هدف معين.
ب- تحديد كافة الأنشطة المرتبطة بالجودة ومجمعات تكلفة النشاط وحصر كافة الأنشطة المرتبطة بالجودة داخل سلسلة القيمة وذلك بغرض تحديد الأنشطة التي تضيف قيمة من وجهة نظر العميل والأنشطة التي لا تضيف قيمة وتحديد التكاليف المرتبطة بكل نشاط. وباستخدام تحليل سلسلة القيمة يمكن تخفيض او التخلص من الأنشطة التي لا تضيف قيمة من وجهة نظر العميل.
ت- تحديد أسس تحميل التكلفة (مسببات التكلفة) لكل نشاط من الأنشطة المرتبطة بالجودة.
ث- تحديد معدل تحميل الوحدة لكل أساس تحميل تكلفة.
ج- احتساب تكاليف كل نشاط من الأنشطة المرتبطة بالجودة عن طريق ضرب مسبب التكلفة المحسوب في الفقرة (ت) في معدل تحميل الوحدة من التكاليف المحسوب في الفقرة (ث).
ح- تحديد أجمالي تكاليف الجودة عن طريق تجميع تكاليف الأنشطة المرتبطة بالجودة وفقاً لسلسلة القيمة لكل وظائف المنشأة.

<u>الخطوة الثانية</u>: المقاييس غير المالية

يمكن استخدام المقاييس غير المالية لضبط الجودة وتحسين الأداء من خلال المقاييس غير المالية الآتية:

١- مرحلة المدخلات:

تركز المقاييس في هذه المرحلة على قياس جودة المواد التي يوفرها الموردون وهنا يجب إشراك الموردين في عملية ضبط الجودة مما يساهم في تقليل فحص المشتريات (باعتباره نشاط لا يضيف قيمة). ويمكن استخدام المقاييس الآتية:

- نسبة تكلفة المواد إلى التكلفة الكلية.
- وقت أستلام المواد.
- كمية المخلفات كنسبة من المواد الجيدة.
- الخسائر الفعلية من المخلفات.

٢- مرحلة الإنتاج (الرقابة أثناء التشغيل):

تركز المقاييس في هذه المرحلة على رقابة الجودة أثناء الإنتاج للتأكد من الالتزام بمواصفات ومستويات الجودة خلال المراحل المختلفة للعملية الإنتاجية مثل:

- عدد الوحدات المعيبة كنسبة من الوحدات المنتجة في كل مرحلة.
- معدل الإنتاج السليم أول مره.
- معدل الفشل في اختبار جودة المنتجات التامة.

٣- مرحلة ما بعد البيع (قياس نظرة العملاء):

تركز هذه المقاييس على قياس رضاء العميل عن المنتجات والخدمات التي تقدمها المنشأة وتوضيح العقبات التي تعترضهم عند تعاملهم مع المنشأة. ويتم قياس نظرة العملاء لمنتجات المنشأة عن طريق المقاييس الآتية:

- عدد مطالبات الإصلاح خلال فترة الضمان كنسبة من عدد الوحدات.
- سرعة الاستجابة لطلبات العملاء (من تاريخ استلام الطلبية من العميل حتى تاريخ التسليم للعميل).
- نسبة الالتزام بمواعيد التسليم.
- عدد شكاوي العملاء كنسبة من الوحدات المباعة.
- إجراء مقابلات شخصية مع عينة من العملاء.
- استمارات استقصاء ترسل للعملاء من فترة لأخرى.

الخطوة الثالثة: قياس تكاليف الجودة المستترة

يتم استخدام دالة تاجوشي (QLF) لتقدير التكاليف المستترة للجودة في النموذج المقترح وذلك لما توصل إليه الباحث بأن الوحدات المنتجة التي تقع مواصفاتها داخل حدود مواصفات الجودة لا تعتبر متماثلة الكفاءة مما يؤثر على تكاليف الفشل الخارجي والتي تتضمن التكاليف المستترة للجودة. بالإضافة إلى أن نموذج تاجوشي أهتم بتكلفة الجودة المستترة داخل حدود السماح.

الخطوة الرابعة: المراجعة الداخلية

لضمان استمرارية التحسين المستمر ونجاح النموذج المقترح لابد من القيام بعملية المراجعة الداخلية، الأمر الذي يتطلب تطوير دور المراجع الداخلي من الدور التقليدي الذي ينحصر في التحقق التفصيلي للسجلات المحاسبية وحماية الاصول والموارد من الاسراف وسوء الاستخدام إلى دور يقوم فيه المراجع الداخلي بتقديم خدمات للإدارة من خلال فحص وتقييم أوجه النشاط المختلفة داخل المنشاة والمساعدة في تحقيق الوفرات الاقتصادية والتأكد من تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة. لذلك فأن على المراجع الداخلي الإلمام بمهارات متنوعة مثل الأساليب الإدارية والمحاسبية والإحصائية الحديثة بجانب المعرفة الأساسية بالمحاسبة والمراجعة.

تلعب المراجعة الداخلية دوراً مهماً في نجاح النموذج العلمي المقترح من خلال إسناد المهام التالية للمراجع الداخلي في المنشآت الصناعية:(عبدالدائم،٢٠٠١م)

١- مراجعة مسببات التكلفة: حتي يمكن للمراجع الداخلي القيام بمراجعة مسببات التكلفة بصورة دورية يجب أن يشترك في عملية تنفيذ النظام منذ البداية من خلال المساهمة في جميع الاجتماعات المتعلقة بتصميم المنتج وهندسة التصنيع وتخطيط ومراقبة الإنتاج حيث تساعد تلك الاجراءات في تفهم عملية التصنيع والعلاقات السببية بين التكاليف والأنشطة.

٢- مراجعة التكاليف العامة: يجب على المراجع الداخلي أن يحاول المحافظة على استخدام عدد مناسب من مسببات التكلفة المستخدمة لتخصيص التكاليف الصناعية غير المباشرة لكن قد يواجه بأن جزء من هذه التكاليف تعالج تكاليف عامة (مشتركة) لذلك على المراجع الاهتمام بمراجعة هذه التكاليف العامة وذلك عن طريق قيامه بما يلي:

- التعرف على نسبة التكاليف العامة إلى أجمالي التكاليف غير المباشرة وكيفية تغيرها بمرور الزمن.
- مراجعة مدى نقصان او زيادة التكاليف العامة وتوضيح الأساليب الممكنة لتخفيضها.
- التعاون مع مدير التكاليف في البحث عن أفضل طريقة يمكن استخدامها لتخصيص التكاليف العامة في ظل استخدام أسلوب التكلفة على أساس النشاط.

٣- مراجعة نظم تقييم الأداء: في مجال مراجعة نظام تقييم الأداء يمكن للمراجع الداخلي التعاون مع مدير التكاليف في مراجعة تطوير نظام لتقييم الأداء،بحيث يعتمد هذا النظام

بشكل كبير على مقاييس مالية بالإضافة للمقاييس غير المالية ومقاييس التشغيل،على أن تتم عملية المراجعة بصورة دورية منتظمة حتي يمكن التعرف على نقاط الضعف في النظام والعمل على تلافيها ونقاط القوة حتى يتم تدعيمها.

٤- مراجعة تخطيط وتطوير المنتج: في ظل استخدام التكنولوجيا الحديثة واستخدام التكلفة المستهدفة فأن معظم التكاليف يمكن التحكم فيها وتخطيطها في المراحل الاولي من حياة المنتج (التصميم) ويمكن للمراجع الداخلي المساهمة في ذلك من خلال الاشتراك والمساهمة في عمليات تخطيط المنتج وتصميم العمليات والتنفيذ واختيار الأنشطة المتعلقة بتطوير المنتج وتحديد أمكانية تتبع تكاليف تطوير المنتج إلى الأنشطة مما يساعد في أمكانية حذف الأنشطة التي لا تضيف قيمة وبالتالي تخفيض تكاليف الجودة الكلية.

٥- مراجعة القيمة المضافة: يترتب على تطبيق أسلوب التكلفة على أساس النشاط تكلفة وعائد، حيث تتمثل التكلفة في الوقت المستنفذ في عملية التطبيق ودفع الأجور الإضافية فيما يتمثل العائد في مدى تخفيض ومتابعة في جميع مراحل دورة حياة المنتج.

يجب على المراجع الداخلي الاهتمام بالقياس الدوري للقيمة المضافة نتيجة لاستخدام أسلوب التكلفة على أساس النشاط وذلك عن طريق مقارنة تكلفة التطبيق بالعائد الذي حصلت عليه المنشأة من عملية التطبيق.

الخطوة الخامسة: التحسين المستمر

لضمان استمرارية نجاح النموذج العلمي المقترح في عملية ترشيد تكلفة الجودة وتقويم الأداء يجب الاهتمام بعملية التغذية العكسية من خلال ما يلي:

- تخفيض التكلفة دون التأثير على منفعة العملاء.
- الاهتمام بخدمات ما بعد البيع ودرجة رضاء العملاء.
- تخفيض الوقت (وقت التسليم، دورة الانتاج، وقت الانتظار).
- مستوى انعدام التالف والاعطال.
- مستوى دعم نشاط البحث والتطوير والابتكار.
- الاهتمام ببحوث السوق وتكلفة المنافسين.

يساهم التعرف على هذه المجالات في دعم عملية تحليل ودراسة البيئة الداخلية والبيئة الخارجية للمنشأة الصناعية مما يدعم سياسة التحسين المستمر.

النتائج:

من خلال تحليل بيانات الدراسة خلص الباحث إلى النتائج التالية:

١- تطبيق أسلوب التكلفة على أساس النشاط يؤدي إلى أمكانية تحديد أنشطة الجودة ذات القيمة المضافة ويوفر نموذج عملي لعمليات دمج وفصل والغاء الأنشطة.

٢- تحليل سلسلة القيمة يعتبر وسيلة فعالة في تخفيض تكاليف الجودة.

٣- الأخذ بمتطلبات العملاء أثناء التصميم يحد من تكاليف عدم التوافق الناشئة عن الفشل الخارجي.

٤- أسلوب التكلفة المستهدفة يتيح للمنشأة تخطيط التكلفة وتحقيق المرونة التي تعكس استراتيجية أدارة المنشأة في ظل ظروف البيئة المعاصرة.

٥- التكامل بين أسلوبي التكلفة على أساس النشاط والتكلفة المستهدفة يساهم في تخفيض تكاليف الجودة.

٦- النموذج العلمي المقترح يساعد في تحقيق متطلبات الإدارة الاستراتيجية ومقابلة الاحتياجات المتغيرة لبيئة التصنيع الحديثة.

٧- قياس الأثر المحاسبي لتكاليف الجودة بالإضافة للمقاييس المالية يحتاج إلى معلومات من مصادر ونظم أخرى غير مالية لتدعيم أتخاذ القرارات الإدارية.
٨- القياس والتقرير عن تكاليف الجودة المستترة يوفر وسيلة هامة للتخطيط ورقابة تكاليف الجودة وتقويم الإداء.
٩- المقاييس المالية بمفردها لا تؤدي الى قياس ملائم ودقيق لتكاليف الجودة.
١٠- استخدام المقاييس غير المالية وقياس تكاليف الجودة المستترة يزيد من كفاءة المنشآت الصناعية في قياس تكاليف الجودة.

التوصيات:

١- إعادة تصميم مخرجات النظام المحاسبي للوفاء بمعلومات تكلفة الجودة بحيث يصبح نظاماً فاعلاً لضبط وترشيد تكلفة الجودة.
٢- تطوير طرق الافصاح والتقرير عن أنشطة الجودة وذلك بتضمين التقارير المالية معلومات تفصيلية عن تكاليف الجودة في مراحل دورة حياة المنتج المختلفة.
٣- أن توجه المنشآت الصناعية أولويات التحسين المستمر للجودة نحو الأنشطة التي تضيف قيمة للمنتج.
٤- عقد الدورات التدريبية للعاملين في المنشآت الصناعية للتعريف بالأساليب الحديثة لإدارة التكلفة.
٥- أن تتعرف المنشآت الصناعية على فرص التحسين المطلوبة بما يتوافق مع رغبات وتوقعات ورضاء العملاء ويؤدي إلى زيادة القيمة المضافة للمنشأة.
٦- أن يكون هنالك فريق عمل يمثل جميع الأنشطة بجانب المراجع الداخلي عند تنفيذ النموذج العلمي المقترح.

المراجع:

أحمد، محمد الرملي (١٩٩٧م)، نموذج مقترح لقياس تكاليف جودة المنتجات، جامعة جنوب الوادي، سوهاج، ص ٣٢.

باسيلي، مكرم عبد المسيح (٢٠٠٧م)،، المحاسبة الإدارية، المنصورة، المكتبة العصرية، ص ١٩.

حسين، أحمد حسين على (١٩٩٨م)، مبادئ التكاليف الصناعية للادرايين، القاهرة، دار الاشعاع للطباعة والنشر، ص ٩٤.

حسين، أحمد حسين على، مرجع سابق، ص ص ٣٢٨- ٣٤٥.

السوافيري، فتحي رزق و حسن، شريفة على (٢٠٠٥م)، مدخل معاصر في المحاسبة الإدارية المتقدمة، الاسكندرية، الدار الجامعية، ص ١٤٤.

الشقاحين، رياض مصلح ضيف الله (٢٠٠٧)، الصعوبات التي تواجه تطبيق النظام المبني على تكاليف الأنشطة في الشركات الصناعية الأردنية، مجلة المحاسبة والإدارة والتامين، جامعة القاهرة، كلية التجارة، العدد ٦٨، ص ص ٦٨٣-٦٨٥

صالح، رضا أبراهيم)٢٠٠٢م)، مدخل المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط كأساس لقياس تكلفة الخدمات الصحية بالمستشفيات، مجلة الإدارة العامة، المجلد الثاني والاربعون، العدد الأول، أبريل، ص ص٦٧ – ٧٣.

عبد الدائم، صفاء محمد (٢٠٠١)،نحو أطار مقترح لإدارة التكلفة المستهدفة في بيئة التصنيع الحديثة، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، جامعة الاسكندرية، المجلد ٣٨، العدد الثاني، ص ٣٩٠.

عيسى، حسين محمد احمد (٢٠٠١م)، أطار مقترح لتطبيق أسلوب التكلفة المستهدفة، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، جامعة عين شمس، العدد الثاني، ص ص ٥٢٣ – ٥٢٧.

Cooper, Robin (1990). Cost classification in unit – based and activity – based manufacturing cost system. Journal of Cost Management, Vol (4),p.p 4- 8.

****

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ٩١-١١٢

دور صناديق الاستثمار الاسلامية في تطوير الأسواق المالية

منى محمد الحسيني عمار (*)

الملخص: تناول البحث قضية هامة من القضايا المطروحة علي الساحة الدولية. وهي دور صناديق الاستثمار الاسلامية في اقامة وتطوير السوق المالية الاسلامية، وذلك من خلال التعرف على ماهية صناديق الاستثمار بصفة عامة وصناديق الاستثمار الاسلامية بصفة خاصة، ثم عرضنا الفرق بين السوق المالية التقليدية والسوق المالية الاسلامية، كما عرضنا نماذج عملية لصناديق استثمار اسلامية تمارس نشاطها في المنطقة العربية , وخاصة المملكة العربية السعودية، ثم أجرينا تقييما لأداء هذه الصناديق للتعرف علي مساهمتها في تطوير سوق الأوراق المالية الاسلامية. والتي كانت نتائجها علي عكس المتوقع منها، فتلك الصناديق لم تتمكن من تحقيق معايير الكفاءة التي تمكنها من النجاح في أداءها سواء من الناحية الاقتصادية او المالية او الاجتماعية أو حتي الشرعية. الأمر الذي يجعلنا نقول أن صناديق الاستثمار الاسلامية بالرغم من أهميتها لتطوير سوق الأوراق المالية. الا انها ليست وحدها قادرة علي تطوير تلك السوق بل تحتاج الي اقامة مؤسسات مالية اسلامية أخري. علاوة علي التجاوزات التي ظهرت في أداء تلك الصناديق والمتمثلة في ضعف امكانياتها المادية والبشرية مقارنة بمثيلتها التقليدية، وخلط الأموال التي تم تجميعها من الصناديق الاسلامية في النظام المالي التقليدي، مما أفقدها ثقة المتعاملين اللذين يرغبون في الابتعاد عن المؤسسات المالية التقليدية. علاوة علي قيام تلك الصناديق الاسلامية بتوجيه أموالها الي السوق المالية العالمية وحرمان أسواقها المحلية من توفير التمويل اللازم لإقامة مشروعات التنمية.

الكلمات المفتاحية: صناديق الاستثمار، سوق الاوراق المالية، كفاءة الأداء، تقليل المخاطر، الضوابط الشرعية.

The role of investment funds In the development of the Islamic financial markets

Mona Mohamed El-Husseiny Ammar

Abstract: Touched on an important issue of the issues on the international arena. Namely the role of Islamic investment funds in the establishment and development of Islamic Financial Market, and through the identification of the nature of the investment funds in general and Islamic investment funds in particular, and then offered the difference between the financial market and traditional Islamic Financial Market, as we have offered practical models for Islamic investment funds operating in the Arab region, especially Saudi Arabia, then we conducted an assessment of the performance of these funds to identify the contribution to the development of Islamic stock market The results that were expected to reverse them, Those funds have not been able to achieve efficiency standards that enable them to succeed in their performance both in terms of economic, financial or social, or even legitimate. Which makes us say that the Islamic investment funds in spite of its importance for the development of the stock market., But it is not alone capable of developing that market, but you need to establish Islamic financial institutions other. Moreover the abuses that have emerged in the performance of these funds and of the weakness of its potential human and material compared their counterparts traditional, and mixing funds that have been collected from Islamic funds in the conventional financial system, causing it to lose the confidence of clients who want to move away from traditional financial institutions. in addition to the establishment of such Islamic funds directing funds to the global financial market and the deprivation of their local markets by providing funding for projects development.

Keywords: investment funds, stock market, efficiency, reduce risk, sharia.

(*) أستاذ الاقتصاد المساعد جامعة الأزهر، mona.ammar20122013@yahoo.com

المقدمة:

تعالت في الفترة الأخيرة الأصوات بضرورة اقامة سوق مالية اسلامية. خاصة بعد ما تعرضت السوق المالية التقليدية لخسائر جمة نتيجة انهيار في مؤسساتها المالية، والتي اعتمدت علي الفائدة الربوية في تعاملاتها، لذلك بدأت فكرة اقامة سوق مالية اسلامية تدخل حيز التنفيذ الفعلي في الدول الاسلامية خاصة بعد نجاح أول تجربة لسوق مالية اسلامية في ماليزيا سنة١٩٩٤.(نبيل سمور ٢٠٠٧)

وبالفعل بدأت دول الخليج تفكر في انشاء سوق مالية اسلامية بداية من سنة٢٠٠٢، وكان لزاما لإقامة تلك السوق وجود مؤسسات مالية اسلامية. باعتبارها القناة الاساسية التي تمد السوق المالية بالتمويل اللازم. ومن أهم تلك المؤسسات صناديق الاستثمار الاسلامية، والتي لاقت قبولا عالميا متزايدا خاصة بعد المتغيرات التي طالت صناديق الاستثمار التقليدية جراء الازمة المالية العالمية سنة٢٠٠٨..(عبد الستار أبو غدة ٢٠٠٥)

فتم انشاء العديد من صناديق الاستثمار الاسلامية، واستحوذت منطقة الخليج علي نسبة كبري من أعداد تلك الصناديق وصلت الي ٢٩% واحتلت المملكة العربية السعودية المرتبة الأولي في ملكيتها للصناديق من تلبك النسبة وصلت الي ١٨% بواقع (٢٠٠) صندوق سنة٢٠١٢.(عوض عياد١٩٩٩)

ومن هنا كان هناك سؤال هام يطرح نفسه في هذا الموضوع وهو: **هل استطاعت صناديق الاستثمار الاسلامية أن تساعد علي اقامة وتطوير السوق المالية الاسلامية؟** وللإجابة علي هذا السؤال اجرينا هذا البحث لنتعرف علي دور الصناديق الاستثمارية الاسلامية في تطوير سوق الأوراق المالية الاسلامية. فعرضنا صناديق الاستثمار بصفة عامة وصناديق الاستثمار الاسلامية بصفة خاصة، ثم عرضنا الفرق بين السوق المالية التقليدية والسوق المالية الاسلامية، كما عرضنا نماذج عملية لصناديق استثمار اسلامية تمارس نشاطها في المنطقة العربية بصفة عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة، ثم أجرينا تقييما لأداء الصناديق الاستثمارية الاسلامية التي تعمل في السوق المالية السعودية للتعرف علي مساهمتها في تطوير سوق الأوراق المالية الاسلامية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن سوق المال الاسلامي يلزمه مؤسسات مالية تعمل وفق أحكام الشريعة الاسلامية لكي تنهض به، ولما كان دور البنوك الاسلامية محدودا في هذا الشأن، لذا انعقد الأمل علي صناديق الاستثمار الاسلامية والتي لاقت قبولا من جانب المتعاملين في الاسواق المالية من جهة ومن جهة أخري استطاعت تلك الصناديق أن تجد لنفسها مكانا في سوق المال المحلي والدولي.(عزالدين خوجة١٩٩٣)، حيث تجمع بين القدرة علي تنوع محافظ الأوراق المالية التي تكونها والالتزام بضوابط الشريعة الاسلامية، وفي الفترة الاخيرة شهدت صناديق الاستثمار الاسلامية نموا ملحوظا خاصة في منطقة الخليج العربي.(مصطفي أحمد١٩٩٧)، الا أن الأسواق المالية لتلك المنطقة لم تبرز نجاحا ملحوظا يعكس النجاح الذي حققته صناديق الاستثمار الاسلامية وهو ما دعانا لإجراء هذا البحث.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله، وهو صناديق الاستثمار الاسلامية ودورها في تنمية وتطوير سوق الاوراق المالية الاسلامية. والتي استطاعت أن تحقق نموا في الفترة الأخيرة محليا ودوليا لما تتميز به من الجمع بين الكفاءة المالية والكفاءة الشرعية.

أهداف البحث:

يهدف البحث الي تحقيق ما يلي:

١- التعرف علي صناديق الاستثمار بصفة عامة وصناديق الاستثمار الاسلامية بصفة خاصة من حيث مفهومها - وخصائصها - وأنواعها - ومزاياها - والتحديات التي تواجهها.
٢- التعرف علي سوق المال الاسلامي بصفة عامة وسوق الأوراق المالية الاسلامية بصفة خاصة باعتبارها البيئة الملائمة لعمل صناديق الاستثمار وذلك من خلال تعريفها، وأدواتها، وخصائصها، وأهميتها، والتحديات التي تواجهها.
٣- ابراز دور صناديق الاستثمار الاسلامية في تطوير سوق الأوراق المالية الاسلامية من خلال عرض نماذج عملية لصناديق استثمار اسلامية وتقييم أداء تلك الصناديق.

مجتمع البحث:
يقوم البحث بدراسة السوق المالية السعودية، حيث أنها السوق التي احتوت العدد الأكبر من صناديق الاستثمار الاسلامية في منطقة الخليج والتي شهدت نموا ملحوظا في صناديق الاستثمار الاسلامية.

منهج البحث:
يتبع البحث المنهج الاستقرائي. حيث يتم فيه تجميع البيانات، وتحليلها، واختبار الفروض واستخلاص النتائج.

الإطار النظري
١) صناديق الاستثمار
تتلخص فكرة صناديق الاستثمار في قيام عدد كبير من المستثمرين بتجميع مواردهم وادارتها بمعرفة مؤسسات مالية لتحقيق مزايا لا يمكن لهم تحقيقها منفردين، فضلا عن أن المخاطر التي يتعرض لها المستثمر في الصندوق تعتبر أقل من تلك التي قد تواجه من يستثمر أمواله في السوق مباشرة حيث أن ضخامة عدد الأسهم والسندات التي تحويها محفظة الصندوق تخفف من الآثار التي قد يخلفها تراجع أي من الأدوات علي الأداء الكلي للمحفظة الاستثمارية.
وفي هذا الجزء سنتناول صناديق الاستثمار بنوعيها التقليدية والاسلامية.
١\١) صناديق الاستثمار التقليدية
تعريفها:
تعود فكرة صناديق الاستثمار الي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان أول تنفيذ لفكرة صناديق الاستثمار في أوروبا وبالتحديد في هولندا سنة١٨٢٢ ثم بريطانيا سنة ١٨٦٠ ثم انجلترا سنة ١٨٧٠، الا أن أول تنفيذ حقيقي للصناديق بمفهومها الحالي كان في الولايات المتحدة سنة١٩٢٤، كما عرف الشرق الأوسط صناديق الاستثمار وتعتبر البداية الأولي للسعودية سنة١٩٧٩ تلتها الكويت سنة ١٩٨٥ ثم جاءت مصر والبحرين وعمان سنة١٩٩٤ ثم المغرب سنة١٩٩٥ فلبنان سنة١٩٩٦ وأخيرا الأردن سنة ١٩٩٧.
<u>ويمكن تعريف صناديق الاستثمار بأنها:</u>
محافظ تجمع فيها المدخرات الصغيرة لتكون حجما من الأموال يمكن أن يستفيد من ميزات التنويع والذي يؤدي الي تقليل مخاطر الاستثمار. (حسني المصري ١٩٩٥)
وتؤسس هذه الصناديق علي صفة شركة استثمار تشرف عليها جهات حكومية متخصصة لغرض الرقابة والتوجيه وتقوم هذه الصناديق بجمع الاشتراكات عن طريق اصدار وحدات استثمارية متساوية القيمة عند الاصدار شبيه بالأسهم.
<u>كما يمكن تعريفها بأنها:</u>
وعاء مالي أو ادخاري يتم تجميع المدخرات فيه واستثمارها في الأوراق المالية بمختلف أنواعها (أسهم، أذونات خزانة، ودائع بنكية، سندات.....) (مني قاسم ١٩٩٥)

وتعرف أيضا بأنها:
أوعية استثمارية تقوم بجمع رؤوس أموال مجموعة من المستثمرين وتديرها وفقا لاستراتيجية وأهداف استثمارية لا يمكن للمستثمر الفرد تحقيقها بشكل منفرد في ظل محدودية موارده المتاحة. (عبد المجيد الصلاحيين ٢٠٠٥)
وتعرف أيضا بأنها:
برنامج استثمار مشترك يهدف الي اتاحة الفرصة للمستثمرين فيه بالمشاركة جماعيا في أرباح البرنامج ويديره مدير الصندوق مقابل رسوم محددة. (مصطفي أحمد ١٩٩٧)
وأيا كان التعريف فان صندوق الاستثمار يشمل مجموعة من الأوراق المالية تختار وفقا لأسس ومعايير محددة تحقق أهداف الصندوق الاستثمارية علاوة علي تحقيق فائدة التنوع للمستثمر بالصندوق التي تؤدي الي خفض مستوي المخاطر الاجمالية للاستثمار.

أنواع صناديق الاستثمار:

تتنوع صناديق الاستثمار وفقا لعدة أسس الي عدة أنواع نتناولها فيما يلي: (منير هندي ١٩٩٩) (صفوت عبد السلام ٢٠٠٥)

- **على أساس نوع الاستثمار:**

١- صندوق استثمار مباشر: ويقوم هذا الصندوق بالاستثمار مباشرة في تأسيس شركات جديدة أو شراء حصص في شركات قائمة أو بإعادة هيكلة شركة خاسرة.
٢- صندوق استثمار غير مباشر: يقوم هذا الصندوق بالاستثمار في سوق الأوراق المالية بتكوين محافظ استثمارية من الأسهم والسندات بحسب الغرض من نشاطه وهو ينقسم الي نوعين:
أ- صناديق استثمار مغلقة: تتميز بثبات هيكل رأس مالها وبالتالي فان عدد الأسهم المتداولة لها ثابت ولا يتغير.
ب- صناديق استثمار مفتوحة: وهي صناديق رأس المال المتغير حيث يتغير باستمرار هيكل رأسمالها وكذلك يتغير عدد الأسهم المتداولة للصندوق بالزيادة والنقص كرد فعل لعمليات البيع والشراء لحاملي أسهم الصندوق.

- **على أساس الغرض من الاستثمار:** (عبد الغفار حنفي ٢٠٠٦)

١- صناديق النمو: وهي الصناديق التي تكون بغرض تحقيق مكاسب تؤدي الي نمو رأسمال الصندوق عن طريق تحقق تحسن في القيمة السوقية للتشكيلة التي يتكون منها الصندوق.
٢- صناديق الدخل: هي تلك الصناديق التي تهدف الي الحصول علي عائد مستمر وعادة ما يعتمد المستثمرون في هذه الصناديق علي العائد منها في مواجهة أعباء معيشتهم ولذلك تشمل محافظ تلك الصناديق تشكيلة من الأوراق المالية أسهم وسندات شركات كبيرة ومستقرة تقوم بالتوزيع للأرباح المتولدة.
٣- صناديق الدخل والنمو: وهي صناديق تجمع بين النوعيين السابقين وتسمي أحيانا الصناديق المتوازنة.

- **على أساس عنصر الأمان:** (منير هندي ١٩٩٩)

١- صناديق استثمار ذات رأس مال مضمون: وهي تلك الصناديق التي توفر للمستثمر ميزة المحافظة علي رأس ماله حيث تتحمل ادارة الصندوق وحدها الخسائر وذلك مقابل حصولها علي عمولة نسبية معينة اذا تجاوز العائد المحقق رقما معينا.
٢- صناديق الاستثمار غير المضمونة: وهي تلك الصناديق التي تكون فيها المخاطرة بالنسبة للمستثمر كبيرة جدا حيث تتعدي الخسارة رأس المال نفسه أو جزء منه.

- **على أساس تكويناتها:** (حنفي وقرياقص ٢٠٠٦)

١- صناديق سوق النقد: تتكون محفظة الأوراق المالية لتلك الصناديق من تشكيلة من الأوراق المالية قصيرة الأجل مثل أذونات الخزانة وشهادات الايداع والكمبيالات المصرفية والتي عادة ما تتداول في سوق النقد ويتم انشاء هذه الصناديق من قبل البنوك.

٢- صناديق الأسهم العادية: وتتكون محافظ الأوراق المالية لهذه الصناديق من الأسهم العادية وتعتبر من صناديق الاستثمار متوسطة وطويلة الأجل وتنقسم هذه الصناديق الي عدة أنواع حسب نوعية السهم المستثمر فيه فهناك صناديق تركز علي الأسهم التي تصدرها منشآت تتسم بدرجة عالية من النمو وصناديق تركز علي الأسهم التي تصدرها المنشآت العاملة في صناعة ما أو منطقة جغرافية معينة أو تتمتع بإعفاء ضريبي.

٣- صناديق السندات: وتتكون محفظة الأوراق المالية لتلك الصناديق من تشكيلة من السندات التي تصدرها المنشآت المختلفة وبعض السندات التي تصدرها الحكومة وتنقسم تلك الصناديق الي عدة أنواع حسب نوع السندات المستثمر فيها فهناك صناديق سندات محلية وصناديق سندات دولية وصناديق سندات خاصة وتعتبر هذه الصناديق من الصناديق متوسطة وطويلة الأجل.

٤- صناديق الاستثمار المتخصصة: تركز هذه الصناديق استثماراتها في محافظ تضم أوراق مالية لصناعات معينة مثل صناعة الكيماويات أو قطاع المصارف أو قطاع التأمين وتستقطب هذه الصناديق المستثمرين المتفائلين بمستقبل صناعات معينة والمستعدين لتحمل المخاطر رغبة في تحقيق عائد أكبر.

مزايا صناديق الاستثمار:

ترجع أهمية صناديق الاستثمار الي المزايا التي تحققها لمستثمريها والتي تتمثل في: (عبد الغفار حنفي ٢٠٠٤)

١- توفر الخبرة الفنية اللازمة: ان صناديق الاستثمار عادة ما تستخدم مستشارين وباحثين متميزين بما يمكنها من ادارة هذه الصناديق بكفاءة عالية وقدرة علي اتخاذ القرار الاستثماري بما يوفر للمستثمر الصغير (الفردي) فرصة الاستفادة من خبرات الادارة المتخصصة الموجودة.

٢- تقليل المخاطر الاستثمارية: من مزايا صناديق الاستثمار قدرتها علي تنويع التشكيلة التي تتكون منها الصناديق بطريقة تسهم في تقليل المخاطر التي يتعرض لها حملة الأسهم، كما يمكن التقليل من المخاطرة (بأموال المستثمرين) من خلال التدقيق في تقارير العمليات التي يمولها الصندوق قبل تأسيسه، بالإضافة الي مساهمة المشتري لأسهم صناديق الاستثمار في المشاركة في مشروعات كبيرة بمساهمات صغيرة.

٣- المرونة والملائمة: يحصل المساهم في صناديق الاستثمار ذات النهاية المفتوحة علي ميزتي المرونة والملائمة، حيث يحق له التحول من صندوق لآخر مقابل رسوم ضيلة وكذلك حقه في استرداد قيمة أسهمه اذا ما أراد التخلص منها كليا أو جزئيا، كما يمكنه أيضا ابقاء رأس ماله وسحب العائد فقط أو اعادة استثمار ذلك العائد اذا أراد.

٤- سرعة استثمار رأس المال: ان قيام ادارة صناديق الاستثمار بدراسة الفرص الاستثمارية المربحة في الأسواق قبل الاكتتاب يؤدي الي كفاءة تشغيلية بسبب انتظار الفرص الاستثمارية المناسبة.

مخاطر صناديق الاستثمار:

بالرغم من المزايا العديدة التي تتمتع بها صناديق الاستثمار الا أنه ينجم عنها بعض المخاطر تتمثل في: **(حمزة الزبيدي ٢٠٠١)**

١- المخاطر الناجمة عن تقلبات الأسعار في أسوق المال.
٢- انخفاض قيمة الأصول المقومة بالنقد الأجنبي في صناديق الاستثمار عند ارتفاع سعر صرف العملة المحلية.
٣- مخاطر أسعار الفائدة والمتمثلة في انخفاض قيمة أدوات الدين الثابت مثل السندات كما أن ارتفاع أسعار الفائدة يؤثر بالسلب علي قيمة الأسهم وعدم قدرة الشركات علي النمو يسبب تحول المستثمرين من سوق الأسهم الي سوق السندات.

٢\١) صناديق الاستثمار الاسلامية

تعتبر ظاهرة صناديق الاستثمار الاسلامية حديثة لا تعود الا منذ سنوات قليلة، وتعتبر منطقة الخليج العربي القائد في النصيب الأكبر من اجمالي أعداد الصناديق الاسلامية، وأهم ما يميز صناديق الاستثمار الاسلامية عن الصناديق التقليدية هو توجيه مواردها نحو الاستثمارات التي تتماشي مع فكرة الاستثمار الاسلامي، بالإضافة الي أن صناديق الاستثمار الاسلامية ليست مجرد وسيط مالي كما هو الحال في صناديق الاستثمار التقليدية، بل ان هذه الصناديق بالإضافة الي ذلك تعتمد علي منهج الاستثمار الاسلامي الذي يمزج بين رأس المال والعمل أي أن صناديق الاستثمار الاسلامية تمثل عقد شركة مضاربة بين ادارة الصندوق التي تقوم بالعمل فقط وبين المكتتبين الذين يمثلون أرباب المال والذين يحصلون علي وحدات استثمار تمثل حصة شائعة في رأس مال الصندوق، وتقوم الادارة باستثمارها في مشروعات مختلفة ومتنوعة بالإضافة الي الاستثمار في الأوراق المالية للشركات التي تتعارض أعمالها مع فكرة الاستثمار الاسلامي.(صفوت عبد السلام ٢٠٠٥)

تعريف صناديق الاستثمار الاسلامية:

تعرف صناديق الاستثمار الاسلامية بأنها:

تلك الصناديق الاستثمارية الذي يلتزم المدير فيها بضوابط الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالأصول والخصوم والعمليات فيه وبخاصة فيما يتعلق بتحريم الفائدة المصرفية، وتظهر هذه الضوابط في نشرة الاصدار التي تمثل الايجاب الذي بناء عليه يشترك المستثمر في ذلك الصندوق وفي الأحكام والشروط التي يوقع عليها الطرفان عند الاكتتاب. (عزالدين خوجة ١٩٩٣)

كما تعرف بأنها:

ذلك الصندوق الذي تلتزم ادارته بأحكام الشريعة الاسلامية من حيث الأصول المكونة له أو في ادارته، اضافة الي مراعاة المبادئ والاهداف العامة للصناديق الاستثمارية التقليدية. (صفية أبوبكر٢٠٠٥)

أنواع صناديق الاستثمار الاسلامية:

تنقسم صناديق الاستثمار الاسلامية الي عدة أنواع هي: (هشام جبر ٢٠٠٥)(عطية فياض ١٩٩٧)

١- صناديق الاسهم الاسلامية:

بالرغم من أن صناديق الاسهم قديمة تعود الي العشرينات من هذا القرن الا أن صناديق الاسهم الاسلامية لا تعود لأكثر من خمس سنوات، وقد ظهرت تلك الصناديق استجابة لرغبات ذوي الالتزام من المسلمين الذين يحرصون علي المباح من الدخل، وصناديق الأسهم العادية هي صناديق يقوم المدير فيها بتوجيه الأموال المتجمعة من اشتراكات المستثمرين الي شراء سلة من أسهم الشركات ويختارها بطريقة تحقق أهداف الصندوق من حيث المخاطرة والعائد، ويشترط في الشركات التي يشتري أسهمها أن يكون أصل مالها وأنشطتها حلال.

لذلك فان عمل هذا النوع من الصناديق يقوم علي مبدأين أساسيين:

الأول: اختيار الشركات التي يكون أساس نشاطها مباح فلا يستثمر في البنوك أو الشركات المنتجة للمواد المحرمة.

الثاني: التقيد بشروط صحة البيع، فلا يشتري أسهم شركة تكون أصولها من الديون.

٢- صناديق السلع:

هذا النوع من الصناديق يكون نشاطه الأساسي شراء السلع بالنقد ثم بيعها بالأجل، ونظرا الي خصوصية عمل الصندوق وضرورة أن تكون المخاطرة فيه قابلة للقياس بدقة وأن يكون بيد المدير ما يمكنه من توجيه الأموال في الصندوق بطريقة تحقق أكبر قدر ممكن من السيولة، اتجهت هذه الصناديق بصفة أساسية الي أسواق السلع الدولية ووجود جهات متخصصة يمكن الاعتماد عليها في تنفيذ عمليات الصندوق بأجر تتوافر فيها الخبرات والقوة المالية، أصبحت تلك الأسواق مكانا مناسبا لعمل صناديق السلع والسلع المقصودة هي السلع الأساسية التي لها أسواق (بورصة منظمة) مثل البترول، الالومنيوم.....

ولصناديق الاستثمار في السلع الاسلامية ضوابط منها أنها تقتصر علي السلع المباحة وتلك التي يجوز شراؤها بالنقد وبيعها بالأجل ويستثني من تلك السلع الذهب والفضة، وتعمل صناديق السلع بالصيغ الآتية:

أ- المرابحة:

يقوم الصندوق بشراء كمية من سلعة الالومنيوم مثلا بالنقد ثم يبيعها الي طرف آخر غير الذي اشتراها منه بالأجل ويكون الأجل قصيرا في الغالب يتراوح بين شهر وستة أشهر، ويستفيد من عمليات التمويل الشركات المتعاملة في أسواق السلع وتعتبر أصول هذه الصناديق ديون تتعلق بذمة العملاء الذين اشتروا هذه السلع ويتحدد مقدار المخاطرة بالتصنيف الائتماني للمدين ولذلك يمكن لمدير الصندوق التحكم بمقدار المخاطرة بحيث تكون عند المستوي الذي يرغبه المستثمرون.

ب- السلم:

السلم بيع يؤجل فيه قبض المبيع ويعجل فيه قبض الثمن وهو من البيوع الجائزة ومن شروطه أن يكون في سلعة قابلة لأن تكون موصوفة في الذمة فلا يجوز في معين ولا فيما لا يقدر علي تسليمه في الأجل وأن يدفع الثمن كاملا في مجلس العقد وتحديد أجل ومكان التسليم، ومن السلع التي تدخل في هذه الصيغة القمح، الشعير، الزيوت.....

ج- **التأجير:**

عقد التأجير من العقود التي تقدم امكانيات تمويلية متميزة يمكن أن تكون بديلا للقروض وتغطي حاجة المتمولين دون الاضطرار الي المعاملات الربوية، وعقد الاجارة هو عقد محله منافع أصل قادر علي توليد هذه المنافع كالسكني للمنزل والنقل للسيارة، فهو من باب بيع المنافع ولذلك يشترط فيه ما يشترط في عقد البيع من أركان لصحته، ويعتمد عمل صناديق التأجير علي امتلاك الصندوق للأصول المؤجرة مثل المعدات والسيارات والعقارات.

وتختلف الصناديق باختلاف عقود الإيجار لأصول الصندوق فبعضها يقوم علي عقد الايجار المعتاد وهنا يتحمل الصندوق مخاطرة ثمن الأصول عند انتهاء العقود، وربما كان علي صفة الايجار المنتهي بالتمليك وفي هذه الحالة تغطي الايرادات قيمة الأصل كاملا.

د- **المأمون:**

تقوم فكرة صناديق المأمون علي الاستجابة لرغبات كثير من المستثمرين الذين يحبون الجمع بين الأرباح العالية والمخاطر المتدنية.

مزايا صناديق الاستثمار الاسلامية:

تتميز صناديق الاستثمار الاسلامية بعدة مزايا هي: (أحمد الحسني ١٩٩٩)(مصطفي أحمد ١٩٩٧)

١- دورها الهام في نقل رؤوس الأموال بين المجتمعات الاسلامية وتدل الاحصاءات علي كبر حجم رؤوس الأموال في العقدين الماضيين التي تم تداولها عن طريق تلك الصناديق والتي قدرت بحوالي (٤٠٠) مليار دولار.

٢- توفر لكثير من المستثمرين الذين يجدون حرجا في التعامل مع البنوك التقليدية لما يشوبها من حرمة التعامل في أنشطة غير مشروعة.

٣- سهولة انشاء صندوق استثمار اسلامي من حيث الاجراءات القانونية مقارنة بإنشاء بنك اسلامي.
٤- توفر لأصحاب الأموال فرصة تحمل مخاطر العمل الاستثماري مباشرة بدلا من توسيط المصارف.
٥- قبولها عالميا خاصة بعد المتغيرات الحادة التي طالت الصناديق التقليدية جراء الأزمة المالية سنة٢٠٠٨.

مخاطر صناديق الاستثمار الاسلامية:

تتمثل المخاطر التي تتعرض لها صناديق الاستثمار الاسلامية فيما يلي:(عبد الستار أبو غدة ١٩٩٧)

١- ان كثيرا من هذه الصناديق لايزال غير متوافق مع المتطلبات الأساسية الشرعية.
٢- تساهم القيود الشرعية الواجب مراعاتها في هذه الصناديق في التأثير علي جانب المنافسة في السوق المالي.
٣- محاولة كثير من صناديق الاستثمار الاسلامية تجاوز بعض الضوابط الشرعية باللجوء الي التعامل بالهامش الربحي أو البيع علي المكشوف.
٤- مساهمتها السلبية في تمويل التنمية في الدول الاسلامية لأنها تتوجه نحو أسواق المال في الدولة المتقدمة وتحرم منها الدول الاسلامية.

التحديات التي تواجهها صناديق الاستثمار الاسلامية:

واجهت صناديق الاستثمار الاسلامية عدة تحديات نذكر منها ما يلي: (مؤتمر البحرين ٢٠١١)(أشرف دوابه ٢٠٠٦)

١- ضعف الثقة بالاقتصاد العالمي والمؤسسات المالية عموما.
٢- الاقبال الكثيف من المؤسسات المالية الربوية والحكومات الأجنبية علي استقطاب الأموال تحت مسميات اسلامية بحيث تنتهي هذه الأموال في النظام المالي الربوي الذي وجد التمويل الاسلامي بديلا عنه.
٣- ضعف الامكانيات الفنية والبشرية لدي المؤسسات المالية الاسلامية لتشغيل أموال الصناديق التي تديرها بشكل كفؤ ومنافس للمؤسسات المالية الربوية.
٤- اتباع المصارف الاسلامية للتقنيات والمنتجات الغربية أكثر من اعتمادها علي وضع منتجات محلية شرعية.

٢) الأسواق المالية

الأسواق المالية شأنها شأن الأسواق الأخرى التي توفر نظاما لتبادل الخدمات أو المنتجات أو كليهما معا، عن طريق الجمع بين طرفين أحدهما محتاج للخدمة والآخر منتج لهذه الخدمة. فالأسواق المالية بوجه عام هي الوسيط الذي يعرض المدخرون الراغبون في الاستثمار. من خلاله مدخراتهم اما مباشرة أو من خلال وسطاء علي مؤسسات الأعمال وأصحاب المشروعات والاشخاص الذين يريدون اقتراض هذه الأموال.

وفي هذا الجزء سوف نعرض الأسواق المالية بشقيها التقليدي والاسلامي كلا على حدي.

١\٢) الأسواق المالية التقليدية

❖ **تعريفها:**

تعددت التعاريف الواردة بشأن الأسواق المالية نذكر منها ما يلي:

تعرف الأسواق المالية بأنها:

الاطار أو النظام الذي تتجمع فيه طلبات الشراء والبيع للأدوات المالية والتي يؤدي تنفيذها الي تحريك عمليات التداول في الأسواق المالية، ويعتبر وجود الأسواق المالية من الشروط الضرورية لإتمام المبادلات المالية بسرعة وسعر عادل. (عبد الغفار حنفي ٢٠٠٦)

كما عرفت بأنها:

الاطار الذي يجمع بين الوحدات المدخرة والتي ترغب بالاستثمار ووحدات العجز التي هي بحاجة الي الأموال لغرض الاستثمار عبر فئات متخصصة عاملة في السوق بشرط توافر قنوات اتصال فعالة. (أمين حسن ٢٠٠٧)

عرفت أيضا بأنها:

الميكانيكية التي نشأت لتسهيل عمليات تبادل الأصول المالية. (وسام ملاك ٢٠٠٣)

من خلال ما سبق من تعريفات يمكن استخلاص عدة حقائق حول الأسواق المالية:

١- أن السوق المالي يستمد مفهومه من مفهوم السوق بشكل عام.
٢- أن السوق المالي هو الوسيلة التي يلتقي من خلالها البائع والمشتري بغض النظر عن المكان المادي للسوق.
٣- بورصة الأوراق المالية هي أحد أهم أجهزة السوق المالية، فيها يتم التقاء العرض بالطلب من خلال وسيلة من وسائل الاتصال المألوفة واجراء التعامل بالأوراق المالية في اطار توفر شروط محددة ووفقا لقواعد ونظم معينة.
٤- من الأركان الرئيسية في السوق المالي الوسطاء وصناع السوق وقنوات الاتصال التي تقوم علي تسهيل عمليات اتصال البائعين بالمشترين.

الشروط الواجب توافرها لإقامة الأسواق المالية:

يتطلب انشاء سوق مالي توفر عدة شروط تتمثل في: (جيهان جمال ٢٠٠٩)(عبد المجيد المهيلمي٢٠٠٦)

١- زيادة عدد المؤسسات المالية: حيث تعتبر المؤسسات المالية بمثابة أوعية ادخارية لعامة الأفراد وتقوم هذه المؤسسات بعمليات الاقراض الي المستثمرين من أجل قيام مشاريعهم.
٢- تحويل المدخرات الي استثمارات: تعتبر السوق المالي من أهم الأدوات التي يتم بواسطتها تحويل المدخرات الي استثمارات وذلك لكون هذا السوق مجالا لاستثمار أموال الأفراد في شراء الأوراق المالية التي تمثل حصصا من رأس مال مؤسسات صناعية أو تجارية أو عقارية.
٣- انشاء بورصات للأوراق المالية: حيث تعتبر بورصات الأوراق المالية من أجهزة الادخار والاستثمار الهامة في الدول ذات الحرية الاقتصادية أو ذات الاقتصاد المختلط حيث يلعب كلا من القطاع العام والقطاع الخاص دوره في هذا الشأن.

٤- الاهتمام بوسائل الاعلام ومراقبتها: تكوين الشركات أو طرح الأسهم والسندات لابد أن يكون مصحوبا بإعلان مناسب حتي يعلم كل مستثمر وكل مدخر الفرصة التي قد تحتاج لتوظيف أمواله ولابد من مراقبة هذه البيانات الواردة في الاعلانات حتي نحافظ علي مصلحة صغار المدخرين وحتي تكون هذه الاعلانات ذات صبغة جدية.
٥- وجود حد أدني من الاستقرار السياسي داخل الدولة: يعتبر هذا الشرط من أهم العوامل لجذب رؤوس الأموال وتحويلها من مدخرات خاصة الي استثمارات طويلة الأجل.

سوق الأوراق المالية:

تعد سوق الأوراق المالية أحد عناصر سوق المال بجانب العنصريين الآخرين سوق النقد وسوق رأس المال.

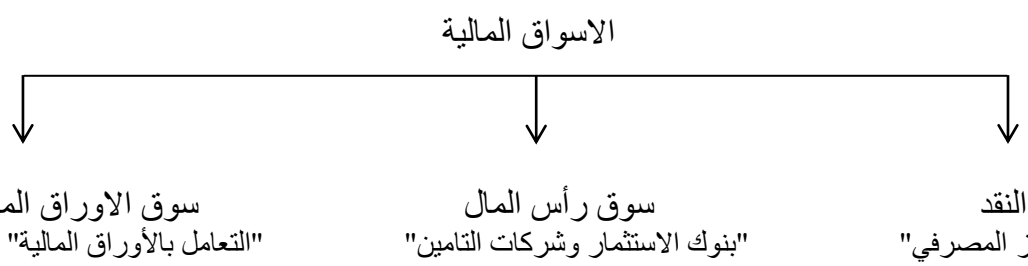

تعريف سوق الأوراق المالية:

تعرف سوق الأوراق المالية بأنها:

عبارة عن نظام يتم بموجبه الجمع بين البائعين والمشترين لنوع معين من الأوراق أو لأصل مالي معين حيث يتمكن بذلك المستثمرين من بيع وشراء عدد من الأسهم والسندات داخل السوق اما عن طريق السماسرة أو الشركات العاملة في هذا المجال. (منير هندي ١٩٩٩)

كما تعرف سوق الأوراق المالية "البورصة" بأنها:

سوق مخصص لبيع وشراء الأوراق المالية ومد المؤسسات الاستثمارية (بنوك استثمار- وسطاء، سماسرة) الذين يقومون بتنفيذ واتمام صفقات التبادل لتلك الأوراق. (طارق حماد ١٩٩٨)

أقسام سوق الأوراق المالية:

تنقسم سوق الأوراق المالية الي: (عبد الغفار حنفي، السيدة عبد الفتاح ٢٠١٠)

أ- السوق الأولي: ويسمي بسوق الاصدار وهو الذي يتم فيه طرح الاصدارات الجديدة من الأوراق المالية.

ب- السوق الثانوي: ويسمي بسوق التداول وهي التي يتم فيها تداول الأوراق المالية بيعا وشراء والتي سبق طرحها في سوق الاصدار.

العناصر الأساسية لسوق الأوراق المالية:

يمكن استنتاج العناصر الأساسية لسوق الأوراق المالية فيما يلي: (طارق حماد ١٩٩٨)

١- الأوراق المالية: (الأسهم والسندات) وهي السلعة التي يتم تداولها في السوق.

٢- المتعاملون: البائعون والمشترون والسماسرة والمؤسسات والهيئات والشركات المرتبطة بعمليات تداول الأوراق المالية.

٣- المعلومات: وتمثل محركات ومؤشرات اتخاذ قرارات الشراء والبيع أو الاحتفاظ بالأوراق المالية بمعرفة المستثمرين الحاليين والمرتقبين.

كفاءة سوق الأوراق المالية:

تعرف سوق الأوراق المالية الكفء بأنها:

السوق التي تكون في حالة توازن مستمر بحيث تكون أسعار الأوراق المالية فيها مساوية تماما لقيمتها الحقيقية وتتحرك بطريقة عشوائية دون امكانية السيطرة عليها. (جون ميرفي ٢٠٠٤)

وهذا يعني أن هناك علاقة قوية بين أسعار الأوراق المالية والمعلومات والبيانات المتعلقة بهذه الأوراق، هذه العلاقة تعكس كفاءة السوق. فسوق الأوراق المالية يكون كفيء عندما تعكس القيمة الحقيقية الواقعية لتلك الأوراق ولن يتحقق ذلك الا بوجود عدة شروط منها: (منير هندي ١٩٩٤)

١- وجود متعاملين علي قدر كبير من المعرفة العلمية والعملية بما يؤدي الي عدم تأثير تصرفات بعضهم علي أسعار الأوراق المالية.

٢- معلومات متوفرة للجميع وتكلفة الحصول عليها قليلة.

٣- أن يتحدد سعر الورقة المالية بناء علي أساس معلومات صحيحة وليس علي أساس الشائعات.
٤- امكانية وصول المعلومات لكل المتعاملين عن سعر الورقة في نفس اللحظة.
٥- أن تتحرك الأسعار بصورة عشوائية دون امكانية السيطرة عليها من قبل المتعاملين.
٦- للمستثمر الحق في بيع أو شراء الكمية التي يريدها من الأوراق المالية بسهولة ودون شروط.
٧- اتصاف المستثمرين المتعاملين في سوق الأوراق المالية بالعقلانية أي الرشد.
٨- عدم وجود قيود علي التعامل في سوق الأوراق المالية.
٩- توفر الحماية ضد المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها المستثمر.
١٠- توفر كافة الآليات التي تمكن من اصلاح أي خلل في التسعير وهو ما يعرف بكفاءة التشغيل.

ومفهوم الكفاءة مفهوم نسبي وليس مطلق لذلك تقسم الكفاءة الي ثلاث مستويات هي:

- **المستوي الضعيف:**

ويحدث عندما تكون أسعار الأسهم تسير بصورة عشوائية أي لا يوجد علاقة بين سعر الورقة في الماضي وسعرها في المستقبل.

- **المستوي شبه القوي:**

عندما يعكس سعر الورقة في المستقبل المعلومات الماضية والحالية المنشورة والمعلنة عنها.

- **المستوي القوي:**

عندما يعكس سعر الورقة في المستقبل المعلومات الماضية والحالية المعلنة وغير المعلنة والمتمثلة في توقعات المستثمرين.

أهمية سوق الأوراق المالية:

تتجلي أهمية سوق الأوراق المالية في جملة من المهام التي تؤديها في اقتصاديات الدول التي تتواجد بها والتي تنعكس من خلال الأدوار التي تلعبها هذه السوق اذا ما توفرت لها البيئات المناسبة لعملها والتي يمكن اجمالها فيما يلي: (راشد التميمي، أسامة سلام ٢٠٠٤)

١- تمثل سوق الأوراق المالية القناة التي يتم من خلالها تدفق الأموال من الوحدات التي تحقق فوائض للوحدات التي تعاني من عجز، أي أنها تقوم بدور الوسيط بين عارضي الأموال وطالبيها لغرض تحقيق التوازن المالي المطلوب داخل الاقتصاد ويتم ذلك التوفيق بين الطرفين من خلال نقل الأموال بينهما بواسطة الأوراق المالية المعتمدة في السوق.
٢- تلعب سوق الأوراق المالية دورا في ايجاد السيولة الكافية للمدخرين (المستثمرين) عند رغبتهم في تسييل استثماراتهم في الأوراق المالية من خلال امكانية تحويل الاستثمارات طويلة الأجل الي أصول سائلة بسهولة ويسر وسعر مناسب اذا ما رغبوا في استرداد مدخراتهم أو أرادوا تغيير محافظ أوراقهم المالية، كما أن السيولة التي توفرها هذه الاسواق تجعل الاستثمارات أقل مخاطرة وأكثر ربحية مما يؤدي الي زيادة الاستثمارات.
٣- توفير فرص لجذب رؤوس الأموال الأجنبية المباشرة.
٤- توفير درجة عالية من المرونة في نظام الائتمان وذلك بمساهمتها في تحقيق الضغط علي موارد الجهاز المصرفي وزيادة الائتمان في الخارج وبالتالي التخفيف من تأثيرات ارتفاع الاسعار "التضخم" التي يمكن أن تحدث نتيجة للتوسع في منح الائتمان.
٥- مراقبة الاستثمارات من خلال التعرف علي سير العمل في المشاريع الاقتصادية عن طريق معرفة التغيرات في أسعار الأوراق المالية، أي أن أسعار هذه الأوراق مرآة عاكسة للحالة الاقتصادية المستقبلية.

٦- تحقيق صالح كل من البائع والمشتري من خلال الحصول علي القيمة الحقيقية للأوراق المالية.

٢\٢) السوق المالية الاسلامية

نتيجة لأن السوق المالية احدي اجهزة الوساطة المالية الهامة في الاقتصاديات المعاصرة، لذا اهتم الباحثين في الاقتصاد الاسلامي بهذه السوق وذلك من خلال استحداث أدوات متوافقة مع أحكام الشريعة الاسلامية تمكن جمهور المتعاملين المسلمين من التعامل بهذه الأسواق والاستفادة من فوائدها. وهو ما أوصي به كل من المؤتمر الثالث للمصارف الاسلامية بدبي سنة١٩٨٥، والمؤتمر الأول للبنوك الاسلامية في اسطنبول سنة١٩٨٦، وندوة خطة الاستثمار في البنوك الاسلامية بالأردن سنة١٩٨٧، وندوة اسهام الفكر الاسلامي في الاقتصاد المعاصر بالقاهرة سنة ١٩٨٨ والندوة الأولي للأسواق المالية بالرباط سنة١٩٨٩. وتم تنفيذه فعليا في ماليزيا سنة١٩٩٤ حيث انشأت أول سوق راس مال اسلامية، كما أتفق علي انشاء سوق مالية اسلامية دولية في البحرين سنة ٢٠٠٢.

تعريف السوق المالية الاسلامية:

تعرف السوق المالية الاسلامية بأنها:

ذلك الاطار أو المجال الشرعي الذي يتم فيه اصدار الأدوات المالية المتوافقة والشريعة الاسلامية من طرف أصحاب العجز ثم اقتنائها وتداولها عبر قنوات ايصال فعالة بين أصحاب الفائض بصورة منظمة ومراقبة من طرف الهيئة الشرعية للسوق وذلك من أجل تثمير الأموال في اطار شرعي. (أحمد محي الدين ١٩٩٥)

خصائص السوق المالية الاسلامية:

يمكن تحديد الخصائص المميزة للسوق المالية الاسلامية فيما يلي: (سمير رضوان ١٩٩٦)

١- أنها سوق تقل فيها المضاربة علي أسعار الأوراق المالية بدرجة كبيرة نتيجة لحظر الشريعة لكثير من المعاملات التي تعتبر محلا لعملية المضاربة.
٢- أنها سوق تعني بالسوقين الأولية والثانوية بشكل متكافئ لما في الأول من متابعة لضوابط الاصدار ولما في الثاني من ضوابط التداول.
٣- أنها سوق تشكل أدوات الملكية السمة البارزة له.
٤- أنها سوق لا تتحكم بها الاحتكارات والرشاوي ولا المعلومات المضللة والهامشية في تحديد أسعار الأوراق فيها.
٥- تعتبر متنفس اسلامي لأصحاب الفائض من الأموال من أفراد ومؤسسات ولما تحقق لهم من معني لتثمير أموالهم.

أدوات السوق المالية الاسلامية:

أدوات السوق المالية متنوعة نذكر منها: (سامي حمود ١٩٩٦)

١- أدوات المشاركة: وهي سندات المشاركة المستمرة والمتناقصة حيث يقوم المتعاملين بإبرام عقد مشاركة تتمثل في سندات يمثل كل سند حصة أو سهم مشاركة في رأس مال مشروع ويتم تعيين هيئة لإدارة المشاركة بحسب شروط نشرة الاصدار مع الأخذ بعين الاعتبار الشروط الشرعية لعقد المشاركة ويتم تداول هذه الحصص في السوق المالي الاسلامي وتحديد نوع المشاركة اذا كانت مستمرة أو متناقصة وذلك لقاء عائد فعلي حقيقي حسب نتيجة المشروع من ربح أو خسارة.
٢- أدوات البيوع: وهي (المرابحة، السلم، الاستصناع) حيث تقوم جهة معينة في السوق المالي بإصدار سندات بيوع يمثل كل سند حصة في رأس مال المشروع لتمويل السلع والبضائع الحالة كما في المرابحة والمؤجلة كما في السلم والاستصناع وذلك لقاء عمولة لهذه الجهة التي تتولي متابعة المستحقات وتوزيع الأرباح الفعلية لأصحاب السندات أو الأسهم.

٣- أدوات المنافع: وهي سندات الاجارة التي تقوم علي أساس عقد الاجارة المعروف في الفقه الاسلامي حيث تقوم جهة معينة تملك عقارات مؤجرة تدر دخلا بشكل منتظم بإصدار سندات اجارة للتداول بين المتعاملين ويمثل كل سند حصة في ملكية العقار يستحق حامله بحسب نصيبه في هذا العقار جزء من الايراد المتحقق أو تقوم جهة معينة بشراء أصول ثابتة مثل معدات أو سيارات وتقوم بإصدار سندات تمثل مجموعها رأس مال هذه الأصول وتقوم بإدارتها من تأجير وصيانة وتأمين لقاء عمولة ومن ثم تحويل صافي المتحقق لحاملي السندات أو الأسهم.

أهمية السوق المالية الاسلامية:

ان الهدف من اقامة سوق مالية اسلامية هو تحقيق ما يلي: (وهبه الزحيلي ١٩٩٠)(محمد عبد الحليم ٢٠٠٩)

١- المساهمة في تنشيط وتنمية التمويل الاسلامي للمشروعات الاسلامية متوسطة وطويلة الأجل وذلك بتيسير وتنظيم ضمانات شرعية مناسبة لعمليات شراء وبيع الأوراق المالية الاسلامية وفقا للأسعار الجارية. فعلي المستوي الجزئي يتضمن تحقيق هذا الهدف العملي بقاعدة رفع المشقة وجلب التيسير للمتعاملين في الأوراق المالية، كما يتضمن حمايتهم من عواقب الجهالة والغبن والوقوع في أيدي بعض الوسطاء الاحتكاريين، أما علي المستوي الكلى فيتضمن تحقيق هذا الهدف المساهمة في بناء الاقتصاد الاسلامي داخليا وبالتالي القضاء علي التبعية الاقتصادية التي تعاني منها الدول الاسلامية حاليا.

٢- تنمية السلوك الاستثماري الرشيد لدي المتعاملين من خلال نشر معلومات كافية عن المراكز الاقتصادية والمالية الحقيقية للمشروعات أو الشركات الاسلامية التي تتداول أوراقها في السوق وتحقيق هذا الهدف الذي يرتكز علي قاعدة (الدين النصيحة) يسهم في تحقيق هدف أفضل استخدام ممكن للموارد الاقتصادية في الأجل الطويل.

٣- حماية المتعاملين في الأوراق المالية والمؤسسات والشركات المصدرة لهذه الأوراق والنشاط الاقتصادي للمجتمع الاسلامي من المضاربات السعرية غير الرشيدة وغير الشرعية وذلك من خلال نشر دراسات تقديرية عن الاتجاهات السعرية للأوراق المالية المتداولة، أما حماية السوق والنشاط الاقتصادي الاسلامي من هذه المضاربات فيكون عن طريق منع جميع أسبابها المؤدية اليها ومن بينها النجش.

الشروط الواجب توافرها لنجاح سوق مالية اسلامية:

لكي تؤدي السوق المالية الاسلامية الأهداف السابقة لابد من توافر عدة شروط أهمها: (محمد القري ١٩٩٣)

١- أن تكون الشريعة الاسلامية مصدر أي قوانين أو لوائح ضرورية لتنظيم وادارة نشاط السوق والرقابة عليها وفرض الأحكام التأديبية اللازمة في حالة المخالفات.

٢- الالتزام بمبدأ حرية الدخول الي السوق وحرية التعامل فيها وعلي ذلك لا يصح فرض أي قيود تمنع أي مسلم عاقل من ممارسة أعمال السمسرة (الوساطة المالية) أو البيع والشراء في السوق، والالتزام بهذا المبدأ يعني في الواقع منع قيام أية احتكارات أو تكتلات من قبل السماسرة.

٣- منع تداول أية أوراق مالية الا بعد التأكد من خلوها من الربا في قليل أو كثير أو أنها لن تستخدم في تمويل مشروعات محرمة أو ضارة بالمسلمين وأنها صدرت من قبل شركات أو هيئات ذات سمعة محمودة في الأوساط الاسلامية والاقتصادية أو عن طريق بعض البنوك الاسلامية المعروفة.

٤- وجود قواعد ولوائح ناظمة للنشاط وكفيلة بتحقيق سلامة معاملات التداول ال مالي من الجهالة والغش والغبن وحماية السوق من حمي المضاربات السعرية بصفة عامة وقطع دابر المضاربات السعرية غير الشرعية بصفة خاصة.

التحديات التي تواجه السوق المالية الاسلامية:

ان الأسواق المتعلقة بالصكوك المالية الاسلامية والسندات الحكومية المحلية لاتزال ضحلة، والسوق المالية الاسلامية الدولية حديثة العهد وهذا يرجع الي عدة أسباب منها: **(عبد الرحيم الساعاتي ٢٠٠٨)**

١- عدم وجود الخبرات الفنية الكاملة خاصة فيما يتعلق بالمحللين الماليين للأسواق والاستثمارات المباشرة.
٢- هناك اختلافات بين لجان ومجالس الرقابة الشرعية من بلد لآخر وربما كان من مصرف لآخر في بعض الأحيان داخل البلد الواحد.
٣- عدم اصدار صكوك عالمية وذلك لعقبات فنية مرتبطة في معظمها بالتصنيف المالي والمخاطر التي ترتبط في معظمها بالمصارف الاسلامية.
٤- لاتزال أسواق المال الاسلامية في حاجة لمزيد من المنتجات الاسلامية المبتكرة والمجازة شرعيا.
٥- ان الأنظمة الضرائبية وقوانين ولوائح الاستثمار باختلافاتها من بلد لآخر واضافة لذلك انخفاض نسبة الشفافية قد أثرت سلبا علي تعاملات المصارف الاسلامية في أسواق المال المحلية والعالمية.
٦- الاختلافات الفقهية بين الشرق الأوسط والشرق الأقصى خاصة ماليزيا مما أعاق وصولها الي دول المشرق العربي وذلك لتبنيها بعض الآراء الفقهية التي خالفت فيها رأي المجامع الفقهية وجماهير أهل العلم في هذا العصر.

٣) فاعلية صناديق الاستثمار الاسلامية في تطوير سوق الأوراق المالية الاسلامية

ان توفر سوق مالية اسلامية متطورة يتطلب وجود مؤسسات مالية اسلامية تستفيد من نتائج الهندسة المالية وفق المنهج الاسلامي في ابداع وابتكار الطرق والعمليات التمويلية التي تضمن لهذه المؤسسات التميز في تقديم أدواتها المالية وتحقق لها التميز علي المؤسسات المالية التقليدية هذا من جهة، ومن جهة أخري ضمان تدخل فعال لها في الاسواق وعملية اصدار مجموعة متنوعة من الصكوك وتداولها في السوق المالية الاسلامية تمثل تغيرا جوهريا في الهيكل التمويلي للمؤسسات الاسلامية يمكنها من استيعاب المدخرات علي مختلف رغبات أفرادها والتوفير الملائم للاحتياجات التمويلية للمشروعات مما يساهم في تقويم مسار المؤسسات الاسلامية "الصناديق الاستثمارية الاسلامية"

وفي هذا الجزء سنتناول دور صناديق الاستثمار الاسلامية في تطوير سوق الاوراق المالية الاسلامية، من خلال عرض نماذج عملية لصناديق استثمار اسلامية، مع تقييم أداء هذه الصناديق.

١\٣) نماذج عملية لصناديق استثمار اسلامية

شهدت صناديق الاستثمار الاسلامية نموا ملحوظا منذ سنة٢٠٠٢ نتيجة لارتفاع مستوي السيولة وتغير استراتيجية الاستثمارات ونضج أسواق المال وذلك بشكل خاص في منطقة الخليج التي طبقت تلك التجربة وابرزت نجاحا كبيرا فيها باعتبارها تضم (٢٩%) من اجمالي تلك الصناديق في حين أن أوروبا وأمريكا الشمالية تضمان (١٥%) من العدد الاجمالي للصناديق وتضم آسيا (٣٤ %) أما الباقي فتمتلكه بقية الدول علي رأسها مصر وباكستان، وتبلغ حصة ماليزيا وحدها (٢٢%) بواقع (١٩٤) صندوق وتمثل المرتبة الأولي في ملكيتها لتلك الصناديق، تتبعها السعودية في المرتبة الثانية بنسبة (١٨%) بواقع (٢٠٠) صندوق سنة٢٠١٢ تمثل (٦٧%) من مجموع

الصناديق الاستثمارية المسجلة بالمملكة، ثم تلتها الكويت في المرتبة الثالثة بنسبة (١٠%) فالبحرين بنسبة (٦%).
وفيما يلي سنتناول نماذج عملية لصناديق استثمار اسلامية تعمل في السوق المالية السعودية باعتبارها السوق الأكبر من حيث عدد صناديق الاستثمار الاسلامية.

النموذج الأول) صناديق شركة التوفيق:
تعتبر شركتا التوفيق للصناديق الاستثمارية والامين للأوراق المالية والصناديق الاستثمارية وهما احدا مجموعة دلة البركة المملوكة للشيخ صالح كامل، من أولي الشركات المؤسسة لصناديق استثمار اسلامية فقد تم انشاؤهما سنة١٩٨٧ برأس مال ٢ بليون دولار أمريكي.[1]
وقد أنشأت شركة التوفيق عدة صناديق استثمار اسلامية يأتي علي رأسها صندوق التوفيق للأسهم الاسلامية وبيانته كالتالي:
اسم الصندوق: صندوق التوفيق للاتصالات العربية.
الاسم المختصر: AATELF
هدف الصندوق: يهدف الصندوق الي تحقيق نمو رأسمالي طويل الأجل مع التقيد بأحكام الشريعة الاسلامية من خلال الاستثمار بشكل فعال في أسهم مدرجة وغير مدرجة في أسواق الأسهم وأوراق مالية ذات علاقة بشركات الاتصالات وشركات البنية الاساسية المؤسسة والعاملة في الشرق الأوسط وأفريقيا وفقا للتوجهات الشرعية.
نوعه: صندوق مفتوح.
المدير: التوفيق المالية.
البلد: المملكة العربية السعودية.
تاريخ التأسيس: ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٥
العملة: دولار امريكي.
رأ س المال: ١٠٠ مليون دولار.
سعر الوحدة: ١٠٠ دولار بحد أدني ١٥ ألف دولار للأفراد و١٠٠ ألف دولار للشركات.

النموذج الثاني) صناديق الراجحي:
اسم الصندوق: صندوق الراجحي لاسم البتروكيماويات والاسمنت.
الاسم المختصر: Petro cement Rajhi
مدير الصندوق: الراجحي المالية، مصرف الراجحي.
تاريخ التأسيس: ٢ /١٢ /٢٠٠٧
فئة الصندوق: الأسهم.
بلد الصندوق: المملكة العربية السعودية.
نوع الصندوق: مفتوح.
هدف الصندوق: توفير فرص استثمارية ملائمة للمستثمرين من الافراد والشركات الذين يهدفون الي تنمية رؤوس اموالهم من خلال الاستثمار طويل الاجل في اسهم شركات قطاعي البتروكيماويات والاسمنت المدرجة في سوق الاسهم السعودية (تداول).

[1] من الجدير بالذكر أن شركة التوفيق هي من أوائل المؤسسات المالية التي ابتكرت المنتجات الاستثمارية الاسلامية المتميزة من خلال البحث عن الفرص الاستثمارية الناجحة التي تحقق لعملائها العائد الجيد والتي وصل عددها الي اكثر من ٣٨ صندوق ومنتجا استثماريا تجاوزت اصولها ٣ مليارات دولار امريكي والتي تغطي مختلف فئات الاصول والتي تشمل الاسهم والعقارات والصكوك والشركات الناشئة والتأجير واعادة الاعمار.

سياسة الصندوق: يعمل الصندوق بشكل رئيسي في قطاعي البتروكيماويات والاسمنت في سوق الاسهم السعودي ويستثمر بالشركات الملتزمة في تعاملاتها بأحكام الشريعة الاسلامية وقد يستثمر الصندوق في قطاعات أخري بنسبة لا تتجاوز ١٥% كحد أقصي من القيمة الصافية.

النموذج الثالث) صناديق الأهلي:
اسم الصندوق: صندوق الأهلي لأسهم الشركات السعودية المتوسطة.
مدير الصندوق: الأهلي كابيتال، الأهلية المالية
تاريخ الانشاء: ٥ / ٨ / ٢٠٠٨
بلد الصندوق: المملكة العربية السعودية.
فئة الصندوق: الأسهم المحلية.
الاكتتاب: للمواطنين والأجانب.
نوع الصندوق: مفتوح ومتوافق مع أحكام الشريعة الاسلامية.
هدف الصندوق: يستثمر الصندوق بشكل أساسي في الشركات السعودية ذات القيمة السوقية التي تتراوح من ٣، ٥٠ مليار ريال وهي الشركات متوسطة الحجم ويهدف الي تحقيق الارتفاع في رأس المال علي المدي الطويل.

النموذج الرابع) صندوق جدوي:
اسم الصندوق: صندوق جدوي لمؤشر الأسهم السعودية.
مدير الصندوق: جدوي للاستثمار.
الاسم المختصر: Saudilndex
العملة: الريال السعودي.
فئة الصندوق: الاسم المحلية.
تاريخ التأسيس: ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٨.
الحد الأدنى للاشتراك: ٥٠.٠٠٠ ريال سعودي، سعر الوحدة ١٠٠ ريال.
هدف الصندوق: تنمية رأس المال علي المدي الطويل من خلال الاستثمار في الأسهم الخليجية بنسب مماثلة لأوزان الشركات المكونة لمؤشر اس أند بي المركب للأسهم السعودية المتوافقة مع أحكام الشريعة.
يعتمد هذا الصندوق علي مؤشر الاسهم السعودية ويتبع استراتيجية غير نشطة من خلال تتبع أداء مؤشر ستاندرد أند بورز للأسهم السعودية المتوافقة مع الضوابط الشرعية ويسعي الصندوق الي تحقيق أداء المؤشر الارشادي من خلال الاستثمار في الأسهم المدرجة بالمؤشر ومن خلال الاحتفاظ بكل سهم بنفس نسبته وقيمة السهم في المؤشر.

٢\٣) تقييم أداء صناديق الاستثمار
شهدت صناعة صناديق الاستثمار الاسلامية قبولا عالميا متزايدا خلال الفترة الماضية. خاصة بعد المتغيرات التي طالت الصناديق التقليدية جراء الأزمة المالية سنة٢٠٠٨. واكتسب قطاع صناديق الاستثمار الاسلامية اهتماما كبيرا علي الصعيد الدولي، في ظل تزايد عدد الجهات المصدرة والمستثمرين الدوليين الذين يسعون وراء الأدوات المالية المتوافقة مع الشريعة الاسلامية.
وفي هذا الجزء سوف نركز التقييم علي الصناديق الاستثمارية الاسلامية العاملة في السوق المالية السعودية. باعتبارها السوق الأولي في ملكيتها لصناديق الاستثمار الاسلامية في المنطقة العربية.

أداء صناديق الاستثمار في سوق الأوراق المالية السعودية:

نشأت السوق المالية في السعودية ببدايات غير رسمية في الخمسينات واستمر الوضع كذلك الي أن وضعت الحكومة التنظيمات الأساسية للسوق في الثمانينات وبموجب نظام السوق المالية الصادر بالمرسوم الملكي رقم (٣٠) بتاريخ ١٤٢٤/٦/٢ تأسست هيئة السوق المالية وهي هيئة حكومية ذات استقلال مالي واداري وترتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء.

وتتولي الهيئة الاشراف علي تنظيم وتطوير السوق المالية واصدار اللوائح والقواعد والتعليمات اللازمة لتطبيق أحكام نظام السوق المالية بهدف توفير المناخ الملائم للاستثمار في السوق وزيادة الثقة به والتأكد من الافصاح الملائم والشفافية للشركات المساهمة المدرجة في السوق وحماية المستثمرين والمتعاملين بالأوراق المالية من الاعمال غير المشروعة في السوق.

وتتمتع الهيئة بعدة صلاحيات تتمثل في:

- تنظيم وتطوير السوق المالية وتنمية وتطوير أساليب الأجهزة والجهات العاملة في تداول الأوراق المالية.
- حماية المستثمرين من الممارسات غير العادلة وغير السليمة التي تنطوي علي احتيال أو خداع أو التداول بناء علي معلومات داخلية.
- العمل علي تحقيق العدالة والكفاءة والشفافية في معاملات الأوراق المالية.
- تطوير الضوابط التي تحد من المخاطر المرتبطة بتعاملات الأوراق المالية.
- تطوير وتنظيم ومراقبة اصدار وتداول الأوراق المالية.
- تنظيم ومراقبة أنشطة الجهات الخاضعة لإشراف هيئة السوق المالية.
- تنظيم ومراقبة الافصاح عن المعلومات المتعلقة بالأوراق المالية والجهات المصدرة لها.

وقد نص نظام السوق المالية علي انشاء السوق المالية السعودية كشركة مساهمة وهي الجهة الوحيدة المصرح لها بمزاولة العمل في تداول الأوراق المالية في المملكة.

وقد تم انشاء شركة السوق المالية السعودية (تداول) كشركة تقدم خدمات مالية شاملة ومتنوعة وتنافس علي المستوى العالمي، حيث أن رسالتها هي تقديم منتجات وخدمات الأسواق المالية بكل كفاءة وفاعلية.

تطور أداء الصناديق الاستثمارية في السوق المالية السعودية:

الجدول التالي يعرض تطور أداء سوق الاوراق المالية السعودية نتيجة وجود صناديق الاستثمار من خلال عدة مؤشرات أهمها عدد الصناديق الاستثمارية وأنواعها وعدد المستثمرين في هذه الصناديق وحجم أصولها:

جدول رقم (١) تطور أداء سوق الاوراق المالية السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٧ – ٢٠١١

سنة ٢٠٠٧			سنة ٢٠٠٨		
نوع الصندوق	عدد الصناديق	عدد المستثمرين	حجم الأصول	عدد الصناديق	عدد المستثمرين	حجم الأصول
أسهم محلية	٣٥	٣٢٨.٨	٤٣.٧	٤٥	٢٧٠.٥	١٦.٥
أسهم خليجية	١٣		٣.٨	١٦	٢٦.٢	١.٦
أسهم عالمية	٧٤		١٤.٩	٧٤		٦.٧
أدوات الدين	١١	٤٤.٢	٠.٨٠٨	٧	٧٨.٣	٠.١٥
أسواق النقد	٤٩	٥٢.٩	٣٣.٩	٥٧		٤٣
عقاري	٤		١.٥٩١	٤		٢.٣
قابض	٣٣		٢.٣٦٣	٣٤		١.٨
أخري	١٤		٤.١	٢٥		٢.٨
الاجمالي	٢٣٣	٤٢٥.٩٦	١٠٥.٠٩	٢٦٢	٣٧٤.٩٧	٧٤.٨
سنة ٢٠٠٩			سنة٢٠١٠			

نوع الصندوق	عدد الصناديق	عدد المستثمرين	حجم الأصول	عدد الصناديق	عدد المستثمرين	حجم الاصول
أسهم محلية	٥٧	٢٥٠.٢	١٨.٥٤	١٥٤	٢٤٧.٨	٣٠.٩٧
أسهم خليجية	٢١	٢٤.٨٣	١.٧٨			
أسهم عالمية	٧٣		٩.٣٩٧			
أدوات الدين	٦	٨١.٢٦٩	٠.٢٠٥	٦	٩٤	٠.٢٢
أسواق النقد	٦١		٥٤.٥١٨	٥٦	٦٠.٣	٥٨
عقاري	٦		٢.٢٣٧	٦	٣.٢	١.٦
قابض	٣٠		١.٩١٣	٢٧	٦.٤	٢.٧
أخري	١٢		٠.٩٦٨	١٨	٢	١.١
الاجمالي	٢٦٦	٣٥٦.٣٣١	٨٩.٥٦٠	٢٦٧	٣١٩.٨	٩٤.٧

سنة ٢٠١١

نوع الصندوق	عدد الصناديق	عدد المستثمرين	حجم الاصول
أسهم محلية	١٥٠	٢٢٦.٢٠٤	٢٦.٦٢٨
أسهم خليجية			
أسهم عالمية			
أدوات الدين	٧	٤٢	٠.٢٤١
أسواق النقد	٥٠	٥٤.٨٣٩	٤٩.٥٤٤
عقاري	١٠	٤.٥٦٥	٢.٥٥٠
القابض	٤٣	٦.٢٠١	٢.٧١٥
أخري	١٢	١.٦	٠.٨٥٠
الاجمالي	٢٧٢	٢٩٣.٥٠٦	٨٢.٠٧٦

شكل رقم (١) تطور عدد الصناديق الاستثمارية في سوق الأوراق المالية السعودية خلال الفترة من سنة٢٠٠٧ – ٢٠١١

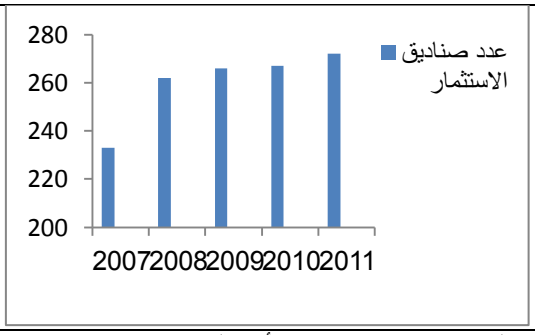

شكل رقم (٢) تطور عدد المستثمرين بالألف في سوق الأوراق المالية السعودية خلال الفترة من سنة٢٠٠٧ – ٢٠١١

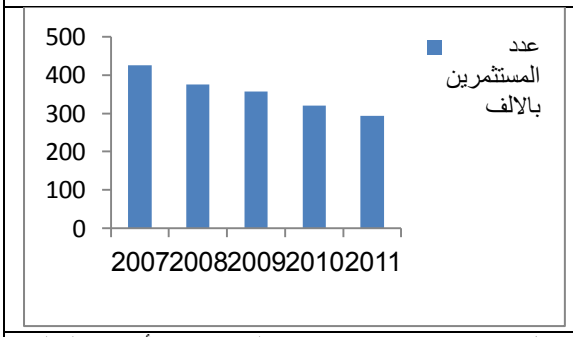

شكل رقم (٣) تطور حجم أصول صناديق الاستثمار في سوق الأوراق المالية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٧ – ٢٠١١ "القيمة بالمليار ريال"

شكل رقم (٤) تطور حجم مبالغ طرح الأوراق المالية في السوق السعودية خلال الفترة ٢٠٠٧ – ٢٠١١ "القيمة بالمليار ريال"

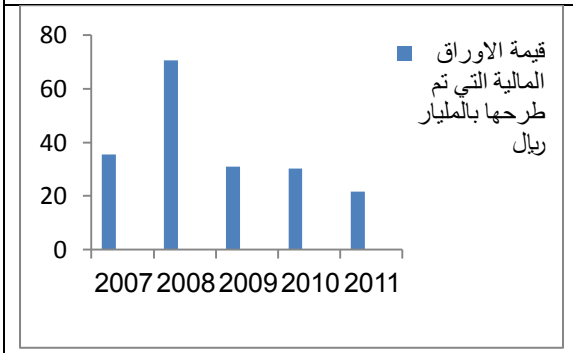

تطور أداء صناديق الاستثمار الاسلامية في السوق المالية السعودية:

تركزت صناديق الاستثمار الاسلامية في الأسهم المحلية والعالمية، والجدول التالي يوضح حجم صناديق الاستثمار الاسلامية في السوق السعودية من خلال عدة مؤشرات هي: عدد تلك الصناديق، عدد المستثمرين فيها بالألف، حجم الأصول في تلك الصناديق.

جدول رقم (٢) تطور أداء صناديق الاستثمار الاسلامية في السوق السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٧ – ٢٠١١

المؤشر	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١
عدد الصناديق "صندوقا"	١٢٢	١٣٥	١٥١	١٥٤	١٥٠
عدد المستثمرين "بالألف"	٣٢٨.٨	٢٩٦.٧	٢٧٥	٢٤٧.٨	٢٢٦.٢
حجم الأصول في الصناديق "بالمليار ريال"	٦٢.٤	٢٤.٨	٢٩.٧١	٣٠.٩٧	٢٦.٦

شكل رقم (٥) عدد صناديق الاستثمار الاسلامية مقارنة بإجمالي صناديق الاستثمار المسجلة في السوق السعودية خلال الفترة ٢٠٠٧ - ٢٠١١ "بالصندوق"

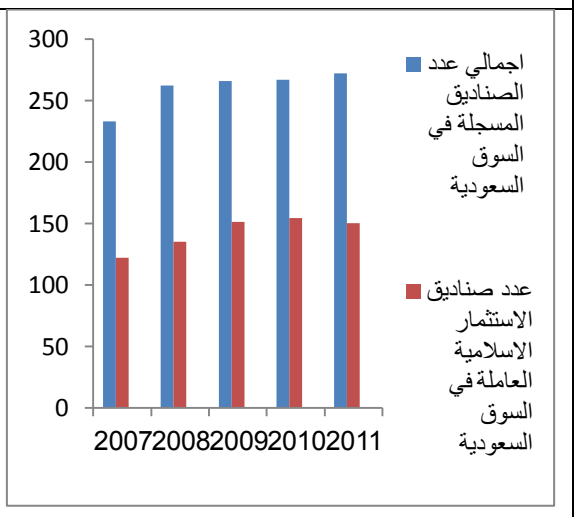

شكل رقم (٦) عدد المستثمرين في الصناديق الاستثمارية الاسلامية مقارنة بإجمالي عدد صناديق الاستثمار المسجلة في السوق السعودية خلال الفترة ٢٠٠٧ – ٢٠١١ "العدد بالألف"

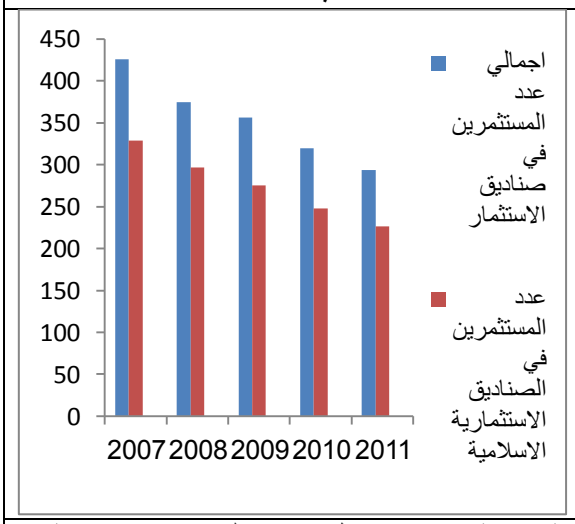

شكل رقم (٧) حجم الاصول في صناديق الاستثمار الاسلامية مقارنة بحجم الاصول في اجمالي صناديق الاستثمار الاسلامية المسجلة في السوق السعودية خلال الفترة ٢٠٠٧ – ٢٠١١ "بالمليار ريال"

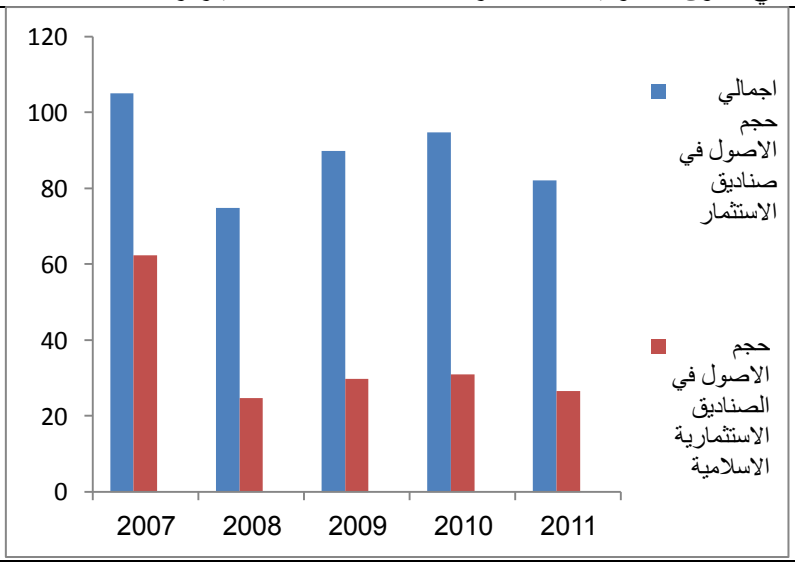

يتضح من العرض السابق ما يلي:
١- أن عدد صناديق الاستثمار بصفة عامة يزيد من سنة الي أخري في حين أن عدد صناديق الاستثمار الاسلامية بالرغم من زيادته الا أنه تراجع سنة٢٠١١.
٢- عدد المستثمرين في السوق المالية بصفة عامة في انخفاض مستمر خلال فترة الدراسة وكذلك الحال بالنسبة لعدد المستثمرين في صناديق الاستثمار الاسلامية.
٣- حجم الأصول في صناديق الاستثمار بصفة عامة في تذبذب ما بين الارتفاع والانخفاض خلال الفترة محل الدراسة، كذلك الحال بالنسبة لحجم الأصول في صناديق الاستثمار الاسلامية الا أن معدل الانخفاض بالنسبة لتلك الصناديق أكبر من معدل الانخفاض الذي حدث في الصناديق الاستثمارية بصفة عامة.

نتيجة تقييم أداء صناديق الاستثمار الاسلامية:
اذا اردنا ان نعرف دور صناديق الاستثمار الاسلامية في تطوير سوق الاوراق المالية فلابد أن نقيم أدائها في تحقيق مقومات النجاح الاساسية والتي تتمثل في: (رفيق المصري ٢٠٠٧)

- **الجدوى الشرعية:** وتتمثل في قدرة الصناديق علي تحقيق الاهداف المتعلقة بالربح والسيولة والمحافظة علي را س المال والالتزام بمبادئ الاستثمار المعروفة كالتنويع والاختيار والملائمة، في حين أن الاستثمار في صناديق الاستثمار الاسلامية يهتم بالجدوى الشرعية للاستثمار حيث يستثني من أدوات الاستثمار كل استثمار به فائدة ربوية كالسندات وأوراق الدين قصيرة الأجل التقليدية، كما تستثني من الصناديق الاستثمارية الاسلامية أسهم الشركات التي تتعامل بالأنشطة المحرمة وهذه الاستثناءات تشكل احدي التحديات التي تواجه ادارة الصندوق لتدبير استثمارات أخري تتوافق مع أهداف ادارة الصندوق وتجعل من الوصول الي التنويع أمرا ممكنا. أي أن الصندوق الاسلامي ونتيجة لتحقيق الجدوى الشرعية والتزامه بمبادئ الشريعة الاسلامية في تعاملاته جعلته يواجه قصورا في تنوع محافظ أوراقه المالية.
- **الجدوى الاقتصادية:** يجب أن يحقق الاستثمار في الصناديق اضافة اقتصادية للاقتصاد الكلي ومنفعة اقتصادية عامة، اضافة الي مصلحة المكتتبين في الصندوق وهذا يتطلب توفر ادارات لهذه الصناديق تتميز بالمعرفة العلمية والخبرة العملية وكذلك الأمانة المالية والمحافظة علي رأس المال وبذل أقصي الجهد لتحقيق أقصي عائد ممكن، وهذا ما افتقدته صناديق الاستثمار الاسلامية التي تم اجراء التقييم لها.
- **الجدوى المالية:** ان ضعف الامكانيات الفنية والبشرية لدي المؤسسات المالية الاسلامية لتشغيل أموال الصناديق التي تديرها بشكل كفئ ومنافس للمؤسسات المالية الربوية سواء علي المستوي المحلي أو الدولي.
- **الجدوى الاجتماعية:** ان صناديق الاستثمار الاسلامية الحالية في مجملها ساهمت بشكل سلبي في تمويل التنمية في الدول الاسلامية لأنها تتوجه نحو أسواق المال في الدول المتقدمة وتحرم منها الدول الاسلامية.

النتائج والتوصيات:
أولا: النتائج
١- أن لصناديق الاستثمار الاستثمارية دور هام في تطوير سوق الأوراق المالية الاسلامية.
٢- أن صناديق الاستثمار الاسلامية باعتبارها أولي المؤسسات المالية اللازمة لإقامة وتطوير السوق المالية الاسلامية، الا انها ليست وحدها قادرة علي تطوير ذلك السوق بل تحتاج الي اقامة مؤسسات مالية اسلامية أخري.

٣- أن صناديق الاستثمار الاسلامية ركزت فقط علي تحقيق مصلحة المكتتبين في الصندوق دون تحقيق اضافة للاقتصاد الكلي مما جعلها تفقد الجدوى الاقتصادية عند تقييمها.
٤- ضعف الامكانيات الفنية والبشرية في صناديق الاستثمار الاسلامية جعلها غير قادرة علي منافسة مثيلتها التقليدية.
٥- وجهت صناديق الاستثمار الاسلامية أموالها الي أسواق المال العالمية وبالتالي كان ذلك علي حساب الأسواق المحلية مما كان له أثر سلبي علي مشروعات التنمية للدول الاسلامية.
٦- قامت بعض الصناديق الاسلامية باستقطاب الأموال ثم دمجها في النظام المالي التقليدي مما جعل جزء كبير من المستثمرين يفقدون الثقة في صناديق الاستثمار الاسلامية بصفة عامة.

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة استحداث أوراق مالية جديدة موافقة لأحكام الشريعة الاسلامية لكي تساعد صناديق الاستثمار في أداء عملها وتمكنها من تنوع محافظها المالية.
٢- انشاء صناديق استثمار متخصصة لتغطية الصكوك الاسلامية.

المراجع:

١- أحمد حسن الحسني، صناديق الاستثمار، دراسة وتحليل من منظور الاقتصاد الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية سنة ١٩٩٩.
٢- أحمد محي الدين، أسواق الأوراق المالية وأثرها الانمائية في الاقتصاد الاسلامي، سلسلة صالح كامل للرسائل الجامعية في الاقتصاد الاسلامي سنة ١٩٩٥.
٣- أشرف محمد دوابه، صناديق الاستثمار في البنوك الاسلامية بين النظرية والتطبيق، دار السلام للطباعة والتوزيع سنة ٢٠٠٦.
٤- أمين عبد العزيز حسن، الأسواق المالية، دار قباء الحديثة للنشر سنة ٢٠٠٧.
٥- المؤتمر السنوي السابع والثامن لصناديق الاستثمار والأسواق المالية الاسلامية، البحرين عامي ٢٠١١، ٢٠١٢.
٦- جيهان جمال، عالم البورصة، بدون نشر سنة ٢٠٠٩.
٧- جون ميرفي، ترجمة شيماء سليمان، التحليل الفني للأسواق المالية سنة٢٠٠٤.
٨- حسني المصري، صناديق الاستثمار المشترك في القانون الكويتي والقانون المقارن، الكويت سنة ١٩٩٥.
٩- حمزة الزبيدي، الاستثمار في الأوراق المالية، عمان، الاردن سنة ٢٠٠١.
١٠- راشد فؤاد التميمي، أسامة عزمي سلام، الاستثمار بالأوراق المالية، دار المسيرة للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٣.
١١- رفيق يونس المصري، فشل الأسواق المالية، دار المكتبي للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٧.
١٢- سامي حمود، الأدوات المالية الاسلامية للشركات المساهمة، المهد الاسلامي للتدريب والبحوث، جدة سنة ١٩٩٦.
١٣- سمير عبد الحميد رضوان، أسواق الأوراق المالية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مصر سنة ١٩٩٦.
١٤- صفوت عبد السلام عوض الله، صناديق الاستثمار دراسة وتحليل من منظور الاقتصاد الاسلامي، المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر الامارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٥
١٥- صفية أحمد أبو بكر، صناديق الاستثمار الاسلامية خصائصها وأحكامها، المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر الامارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٥.
١٦- طارق عبد العال حماد، دليل المستثمر الي بورصة الأوراق المالية، مركز الخبرات المهنية للإدارة سنة ١٩٩٨.
١٧- عبد الستار أبو غدة، التكييف الشرعي لصناديق الاستثمار ومشروعيتها، مركز صالح كامل، أبحاث ندوة صناديق الاستثمار سنة ١٩٩٧.
١٨- عبد الستار أبو غدة، صناديق الاستثمار الاسلامية المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر الامارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٥.
١٩- عبد الغفار حنفي، السيدة عبد الفتاح، الأسواق والمؤسسات المالية، الدار الجامعية للنشر سنة ٢٠١٠.
٢٠- عبد الغفار حنفي، أساسيات الاستثمار في بورصة الأوراق المالية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٦.
٢١- عبد الغفار حنفي، الأسواق المالية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع سنة٢٠٠٦.

٢٢- عبد الغفار حنفي، الاستثمار في بورصة الأوراق المالية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٤.
٢٣- عبد الغفار حنفي ورسمية قرياقص، أساسيات الاستثمار والتمويل سنة ٢٠٠٦.
٢٤- عبد الرحيم الساعاتي، عمليات السوق المالية وعوامل استقرارها في السوق المالية الاسلامية سنة ٢٠٠٨.
٢٥- عبد المجيد الصلاحيين، صناديق الاستثمار، مفهومها، خصائصها، أحكامها، المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر الامارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٥.
٢٦- عبد المجيد المهيلمي، التحليل الفني للأسواق المالية، بدون ناشر سنة ٢٠٠٦.
٢٧- عز الدين محمد خوجة، صناديق الاستثمار الاسلامية، مجموعة دلة البركة سنة ١٩٩٣.
٢٨- عطية فياض، التكييف الشرعي لصناديق الاستثمار ومشروعيتها، جامعة الأزهر، أبحاث ندوة صناديق الاستثمار سنة ١٩٩٧.
٢٩- عياض عوض المهلكي، واقع وآفاق صناديق الاستثمار السعودية سنة ١٩٩٩.
٣٠- محمد عبد الحليم عمر- أهمية السوق المالية الاسلامية الدولية، مركز الاقتصاد الاسلامي، جامعة الازهر سنة ٢٠٠٩.
٣١- محمد علي القري، نحو سوق اسلامية، مجلة دراسات اقتصادية اسلامية، البنك الاسلامي للتنمية مجلد ١ عدد ١ سنة ١٩٩٣.
٣٢- مصطفي علي أحمد، صناديق الاستثمار، مزاياها أنواعها، التكييف الشرعي، أبحاث ندوة صناديق الاستثمار جامعة الأزهر سنة ١٩٩٧.
٣٣- مني قاسم، صناديق الاستثمار للبنوك والمستثمرين، الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٩٥.
٣٤- منير هندي، صناديق الاستثمار في خدمة صغار وكبار المدخرين، منشأة المعارف الاسكندرية سنة ١٩٩٩.
٣٥- منير هندي، أساسيات الاستثمار في الأوراق المالية، المكتب العربي الحديث الاسكندرية سنة ١٩٩٩.
٣٦- منير هندي، أدوات الاستثمار في أسواق رأس المال والأسواق المعاصرة والمستقبلية، الاكاديمية العربية عمان سنة ١٩٩٤.
٣٧- منير هندي، أدوات الاستثمار في أسواق رأس المال، الأوراق المالية وصناديق الاستثمار، منشأة المعارف الاسكندرية سنة ١٩٩٩.
٣٨- ندوة التطبيقات الاسلامية المعاصرة، الصناديق الاستثمارية الاسلامية، المغرب سنة ١٩٩٨.
٣٩- هشام جبر، صناديق الاستثمار الاسلامية، المؤتمر العلمي الاول كلية التجارة الجامعة الاسلامية فلسطين سنة ٢٠٠٥.
٤٠- هيئة السوق المالية السعودية موقعها الالكتروني www.cma.org.sa
٤١- Islamic financial system: principles and operations
نظام التمويل الاسلامي، المبادئ والتطبيقات مجموعة من الباحثين في الاكاديمية العالمية للبحوث الشرعية - ماليزيا.

****

أمارابك: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ١١٣-١٣٤

أثر تطبيق معايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد على جودة الخدمات المقدمة في المستشفيات الخاصة في عمان-الأردن

هاشم أبوسنينة (*)

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى قياس أثر تطبيق معايير اللجنة المشتركة الدولية لاعتماد المستشفيات على جودة الخدمات المقدمة للمرضى من خلال التعرف على أبعاد تلك الشهادة. ولتحقيق هذا الهدف، اعتمدت الدراسة على القيام بالمراجعة الأدبية لهذا الموضوع والاطلاع على الدراسات السابقة في هذا المجال. وبعد ذلك، كان هناك محاولة للتعرف على واقع تطبيق المعايير، وأثر هذا التطبيق على جودة الخدمات، وذلك من خلال دراسة عينة من الأطباء والممرضين عن طريق استبانة تم تصميمها وتوزيعها في المستشفيات الخاصة المعتمدة، وعددها أربعة استجابت جميعها للدراسة، وفي عينة من المستشفيات غير المعتمدة وعددها خمسة مستشفيات. تم تطوير نموذج الدراسة في ضوء فرضيتين رئيستين، انبثقت عنهما مجموعة من الفرضيات الفرعية، دارت حول وجود أثر ذي دلالة إحصائية لمعايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات المتمثلة هنا بأداء الأطباء وأداء الممرضين والتوثيق وضبط العدوى وأخطاء الأدوية. وباستخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، تم اختبار الفرضيات عن طريق التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار الانحدار البسيط واختبار التباين الأحادي، وخلصت الدراسة إلى وجود دلالة إحصائية لأبعاد معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات المقدمة.

الكلمات المفتاحية: **الحدث العارض ـ خطأ الأدوية ـ السياحة العلاجية**.

The Impact of Applying the Standards of the Joint Commission International Accreditation on the Services' Quality at the Private Hospitals in Amman, Jordan

Hashem Abu Sneineh

Abstract: This study aimed at measuring the impact of applying the Joint Commission on International Accreditation on the quality of service at the private hospitals in Amman. To achieve this aim, a literature review was performed to establish a better idea about this issue. Afterwards, there was an attempt to understand the real situation in the private hospitals in Amman, by designing a questionnaire and distributing it to doctors and nurses in four accredited hospitals and five non-accredited hospital. The model of the study was derived from two main hypotheses investigating a statistical relation between the international standards and the quality of the service (doctors performance, nurses' performance, documentation, and infection control and medication errors). Using the Statistical Package for to Social Science (SPSS) the data were analyzed by finding the frequencies, percentages, means, standard deviation, simple linear regression, one way ANOVA, the results showed that there is a statistical relation between the Joint Commission on International Standards and the improvement of the quality of service provided at private hospitals in Amman.

Keywords: Sentinel event - Medication error - Medical tourism.

(*) أستاذ مساعد في ادارة الاعمال في كلية فلسطين الاهلية الجامعية، مدير الموارد البشرية في المستشفى التخصصي سابقاً، hasneineh@gmail.com

المقدمة:

يعتبر قطاعا التعليم والصحة من أهم الوظائف التي تقوم بها الدولة، وقد خطا الأردن خطوات متميزة في مجالي الصحة والتعليم، وظل القطاع الصحي في أغلبه حكومياً حتى نهاية القرن العشرين، ومع بداية القرن الحالي وبسبب زيادة الحاجة لعمل المستشفيات الخاصة، خاصة في الدول العربية، وكون جودة الخدمة المقدمة في القطاع الحكومي غير مرتفعة، فقد كان للاستثمار في القطاع الصحي دور في توسيع عمل المستشفيات الخاصة، حتى أصبح عددها في الأردن ستين مستشفى (موقع جمعية المستشفيات الخاصة، ٢٠١٠).

ونظرا لأهمية القطاع الصحي في العالم، ونظرا لكون العديد من دول العالم تتنافس في هذا المجال، فقد تنبهت المستشفيات، وخصوصا المستشفيات الخاصة، لأهمية جودة الخدمات التي تقدمها لمرضاها. ومن أهم العوامل المؤثرة على خلق ثقافة جودة في المستشفيات هو العمل على تغيير نظرة الناس الى المستشفيات الخاصة والمتمثلة بكون المستشفيات الخاصة موجودة لأجل الربح لا لأجل تقديم خدمة طبية ذات جودة عالية، وفي نفس السياق فقد أصبح المرضى أكثر معرفة ودراية بالأمراض التي تصيبهم والعمليات التي يحتاجونها وحقوقهم والقوانين والأنظمة التي تحكم عمل المستشفيات، كذلك فقد أصبح مدراء المؤسسات الصحية تحت ضغوطات من المجتمع والمرضى لإظهار أن خدماتهم ذات جودة عالية، وضغوط أخرى من أصحاب رأس المال لإثبات أن جودة الخدمات تعود عليهم بمردود مالي ملموس.

وكل هذا، بالإضافة إلى زيادة المطالبة بمعايير وأنظمة تحدد المسؤوليات وآلية المحاسبة، دفع المستشفيات للبحث عن جهات مختلفة تساعدهم على تنظيم عملهم من خلال مجموعات من المعايير تطبق في المستشفيات. وقد قامت عدة دول مثل المملكة المتحدة وكندا واستراليا والأردن بإنشاء جهات خاصة لمنح الاعتماد للمستشفيات بعد التأكد من تطبيقها لمجموعة من المعايير.

وعليه فبرنامج اللجنة المشتركة لاعتماد المستشفيات هو الأكثر اهمية وشهرة على مستوى العالم. وأحد أقسام هذه اللجنة هو اللجنة المشتركة الدولية والذي يمنح الاعتماد للمستشفيات على مستوى العالم وليس فقط في الولايات المتحدة الامريكية "وقد ذكر برنامج الاعتماد الدولي في احدى دراسات Deloitteبأنه أحد أهم الأسباب لإزالة مخاوف المرضى من الخدمات الطبية المقدمة لهم"*(القاسم، محاضرة، ٢٠١٠)*

كما وتم تعريف الاعتماد في كتيب اللجنة للعام ٢٠٠٨، "فان الاعتماد هو عملية يقوم بموجبها كيان غير حكومي عادة، منفصل ومتميز عن مؤسسة الرعاية الصحية بتقويم مؤسسة الرعاية الصحية ليحدد ما إذا كانت هذه المؤسسة تفي بمجموعة من المتطلبات(المعايير) المصممة لتحسين السلامة وجودة الرعاية. ويكون هذا الاعتماد عادة تطوعياً. وتعتبر معاييره مثلى وقابلة للتحقيق ويوفر التزاما مرئيا من قبل المؤسسة لتحسين سلامة ورعاية المرضى وجودتها، وضمان رعاية سليمة، والعمل باستمرار على خفض المخاطر التي يتعرض لها المرضى والموظفون". *(كتاب معايير اللجنة المشتركة الدولية لاعتماد المستشفيات، ٢٠٠٧، ص٧)*

وتعتمد معايير الاعتماد الدولي بشكل أساسي على أسس إدارة الجودة الشاملة والتي هي فلسفة ادارية معاصرة طُوّرَت على ايدي علماء مثل جوران وكروسبي، واكتسبت اهتماما من المدراء حول العالم في القطاع الصحي. "الفلسفة الأساسية لمعايير الاعتماد الدولي مبنية على أسس إدارة الجودة وتحسين الجودة المستمرة". *(كتاب معايير اللجنة المشتركة الدولية لاعتماد المستشفيات، ٢٠٠٧، ص٨)*

وفي الأردن فقد أصبح القطاع الصحي الخاص من القطاعات التصديرية، وينافس عالمياً لجذب المرضى من عدة دول للعلاج فيه، حتى انه أصبح يعرف بالسياحة العلاجية. "وبحسب البنك الدولي فقد احتل الأردن المركز الأول في جذب السياحة العلاجية في المنطقة، والمركز الخامس على مستوى العالم، وقد عولج في القطاع الصحي الخاص في الأردن في عام ٢٠٠٧ حوالي ٤٥٠٠٠ مريض عراقي و٢٥٠٠٠ مريض فلسطيني و٢٠٠٠٠ مريض يمني و١٩٠٠٠ مريض

سوداني و١٠٠٠٠ مريض سوري و١٠٠٠٠ مريض ليبي بالإضافة إلى ١٨٠٠ مريض امريكي و١٢٠٠ مريض بريطاني و٤٠٠ مريض كندي" *(The Oxford Business Report,2009,p179)*

ولكي تصبح المستشفيات الأردنية قادرة على المنافسة، فقد أصبحت تسعى للحصول على الاعتماد الدولي حيث ان "الاعتماد الدولي أصبح يُنظر إليه من قبل شركات التأمين والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية على أنه مقياس لكون المؤسسة الصحية آمنة للمرضى الذين سيرسلونهم خارج بلدانهم للسياحة العلاجية". وسوف يتم في هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على أثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات.

٢-الإطار النظري

٢-١- مشكلة الدراسة:

مؤخرا تم الانتباه إلى أهمية القطاع الصحي الخاص في الأردن لما لهذا القطاع من مساهمة فعالة في الاقتصاد الاردني. ففي عام ٢٠٠٧ كان العائد من هذا القطاع مليار دولار امريكي *(الحموري، محاضرة، ٢٠٠٩)*.

وفي الوقت الحالي، فان كثافة مراجعة المرضى للقطاع العام أدت إلى زيادة التوجه للعلاج في القطاع الخاص، وخصوصا من قبل الرعايا الاجانب، "بحيث أنه بدلا من ارسالهم لبلدانهم لتلقي العلاج يتم علاجهم في المستشفيات الخاصة، طالما وجدوا أن القطاع الخاص لديه كفاءة عالية ولديه اعتماد دولي كدليل على جودة الخدمة. ولكي تعالج هذه المؤسسات موظفيها في المستشفيات الأردنية فقد طلبت ان تكون هذه المستشفيات معتمدة اعتمادا دوليا"*(الحموري، محاضرة، ٢٠٠٩)*

وبعض شركات التأمين الدولية تشترط حصول المستشفيات على الاعتماد الدولي لتسفير المرضى إليها، حيث تعتبر المستشفيات والشركات ان الحصول على الاعتماد الدولي هو محاولة من المستشفيات لتحسين خدماتها. *(سنجق، ٢٠١٠)*.

وعليه فان مشكلة الدراسة الرئيسة تكمن بالسعي نحو استقصاء أثر تطبيق معايير اللجنة المشتركة الدولية لاعتماد المستشفيات على جودة الخدمات المقدمة في المستشفيات الخاصة في عمان.

٢-٢ أسئلة الدراسة:

سيتم قياس مشكلة الدراسة بالإجابة على الأسئلة التالية:

١. هل يؤثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على تحسين جودة الخدمة الطبية؟
٢. هل يؤثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على أداء الأطباء والتمريض؟
٣. هل يؤثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على توثيق الحالات؟
٤. هل يؤثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على أخطاء الأدوية؟
٥. هل يؤثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على نسبة العدوى؟

٢-٣- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أهمية القطاع الصحي الخاص والذي يعتبر أحد القطاعات التصديرية المهمة والتي تساهم في الناتج الإجمالي المحلي، خصوصاً وأن الدخل المحصل من هذا القطاع ليس نتاج انفاق المريض على العلاج فقط بل بالإضافة لذلك هناك إنفاق مرافقي المرضى الذين يحضرون من خارج الأردن، والذين ينفقون في قطاعات مختلفة مثل قطاع التجارة، الفنادق، والسياحة.

كذلك تنبع أهمية الدراسة من أهمية شهادة الاعتماد الدولي التي يتوجب الفهم الصحيح لجوانبها المختلفة والتي وبالرغم من أن العديد من الدول العربية تطبق معاييرها، إلا أنه لم تتم دراسة أثر تطبيق هذه المعايير على الخدمة الطبية بشكل كبير.

كذلك فإن الحصول على الاعتماد الدولي دليل على اهتمام المستشفى بجودة الخدمة مما يؤدي إلى جذب المرضى من عدة دول للعلاج في الأردن وبالتالي زيادة الدخل الناتج عن القطاع الصحي.
كما أن هذه الدراسة تساعد في زيادة وعي إدارات المستشفيات والعاملين فيها حول الاعتماد الدولي وأهميته وفوائده مما سيساهم في رفع مستوى الإدراك لأهمية تطوير جودة الخدمات المقدمة.

٢-٤- حدود الدراسة:

الحدود المكانية: شملت الدراسة جميع المستشفيات الخاصة الحاصلة على الاعتماد الدولي في عام ٢٠١١ وعينة من المستشفيات غير الحاصلة على هذا الاعتماد في عمان الكبرى.
الحدود الزمانية: تم اجراء الدراسة في نهاية عام ٢٠١٠ وبداية عام ٢٠١١

٣-الاعتماد والاعتماد الدولي:

تعمل المستشفيات في كافة أنحاء العالم على تطوير جودة خدماتها، وعلى اتخاذ إجراءات كافية للحفاظ على سلامة المرضى، والوصول إلى رضاهم عن طريق تحسين مستوى الخدمات المقدمة لهم. ويعتبر الاعتماد أحد الوسائل التي تؤدي إلى الالتزام بتعظيم الجودة والسلامة إلى تقليص المخاطر. *(Johnston, Lecture, 2010)*
ويتماشى مضمون تعريف الجمعية العالمية للجودة في القطاع الصحي The International Society for Quality in healthcare(ISQUA) مع مضمون تعريف اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد مع اختلاف الصيغة، حيث عرف الاعتماد من قبل هذه الجمعية "بأنه اعتراف من قبل جهة اعتماد صحية بالإنجاز في تطبيق معايير اعتماد من قبل مؤسسة صحية، ويظهر هذا الانجاز عن طريق التقييم من قبل جهة مستقلة خارجية تقوم بتقييم مستوى الانجاز بالنسبة للمعايير" *(The ISQUA Handbook، p7, 2008)*
يعتبر الاعتماد، كونه أمر اختياري ويتم من جهة خارجية، وسيلة مهمة لإثبات أن المؤسسة الحاصلة عليه تعمل على أسس الجودة وأن الخدمات التي تقدمها ذات جودة وسلامة عالية وبأقل مخاطر ممكنة. *(المصري، محاضرة، ٢٠١٠)*
وتسعى المؤسسات الصحية للحصول على الاعتماد من جهات مختلفة، محلية وعالمية للحصول على الفوائد التالية:

١. تحسين صورة المؤسسة وخلق ثقة بينها وبين المرضى.
٢. رفع رضا العاملين حيث أن تحسين البيئة التي يعملون بها، هي جزء من أهداف الاعتماد. "كما أن عمل الموظف في مستشفى معتمد يرفع من كفاءته كونه يعمل في بيئة عمل مليئة بالتدريب المستمر والخبرات المختلفة". *(المصري، محاضرة، ٢٠١٠)*
٣. يحسن الاعتماد من طرق التعامل مع المرضى، ويسعى إلى إشراكهم في عملية الرعاية واطلاعهم على كافة الإجراءات التي ستجري لهم وكذلك إعلامهم بحقوقهم وواجباتهم.
٤. يغير الاعتماد من ثقافة المؤسسة، وينشئ ثقافة منفتحة على التعليم والتدريب عن طريق كتابة وإعلام الإدارة بالأحداث والمخاوف المتعلقة بسلامة المرضى.
٥. ينشئ الاعتماد قيادة متعاونة تسعى لتحقيق الجودة والسلامة للمرضى على كافة مستويات القيادة.

٣-١- نشأة وتطور الاعتماد:

نشأ الاعتماد كفكرة وضعت أسسها منذ عام ١٩١٠، ولا زالت تتطور حتى الآن ففي عام ١٩١٠ قدم Dr. Ernest Codman مقترح نظام النتائج النهائية بحيث يتم حسب هذا النظام، متابعة كل مريض تمت معالجته لوقت كافٍ لمعرفة هل كان العلاج فعالاً أم لا، وفي حال تبين عدم فعالية العلاج، يقوم المعنيين بمحاولة معرفة الأسباب التي أدت إلى عدم فعاليته.

وفي عام ١٩١٣ تأسست كلية الجراحيين الأمريكية American College of Surgeon (ACS) واعتمد نظام النتائج النهائية كهدف لهذه الكلية.وقد تم إصدار "الحد الأدنى لمعايير الاعتماد " في صفحة واحدة فقط من قبل كلية الجراحين الأمريكية عام ١٩١٧."ومن ثم في عام ١٩١٨ بدأت كلية الجراحيين الأمريكية تفتيشها على المستشفيات ووجدت أن ثمانية وتسعين مستشفى فقط من أصل ستمائة واثنين وتسعين قد طبقت الحد الأدنى من المعايير"*(موقع اللجنة المشتركة للاعتماد، ٢٠١٠)*. ولقد تم نشر أو ل كتيب للمعايير وكان مؤلفاً من ١٨ صفحة في عام ١٩٢٦.

أما تحسن معايير الرعاية وانتشارها فلم يتم لغاية ١٩٥٠ "حيث أصبح هناك٣٢٠٠ مستشفى حاصلاً على موافقة البرنامج عليها" *(موقع اللجنة المشتركة للاعتماد، ٢٠١٠)*. هذا التحسن، شجع جمعية الأطباء الأمريكية وجمعية المستشفيات الأمريكية والجمعية الطبية الكندية والجمعية الطبية الأمريكية على تأسيس اللجنة المتحدة لاعتماد المستشفيات Joint Commission on Accreditation of hospitals (JCAH) وذلك كهيئة مستقلة غير ربحية لمنح الاعتماد للمستشفيات.

وقامت كلية الجراحين الأمريكية رسميا عام ١٩٥٢ بنقل مهام الاعتماد إلى اللجنة المتحدة لاعتماد المستشفيات JCAH، والتي أصبحت تعتمد المستشفيات ابتداء من كانون ثاني لعام ١٩٥٣. إلا أن بدء استيفاء رسوم مقابل عمل المسح التقييمي لم يبدأ حتى عام ١٩٦٤.

وفي عام ١٩٨٧، تم تغيير اسم المؤسسة إلى اللجنة المتحدة لاعتماد هيئات الرعاية الصحية، بدلا من اعتماد المستشفيات فقط (The Joint Commission on Accreditation of Healthcare Organizations)

وفي عام ١٩٨٨ تم تطوير نظام مؤشرات القياس للعمل به خلال تطبيق المعايير التي تم إعادة صياغتها في عام ١٩٩٣ ليصبح التركيز على الرعاية المقدمة للمرضى، بدلا من التركيز على قابلية المؤسسة للأداء.

وقد تم عمل سياسة الأحداث العارضة (sentinel event) في عام ١٩٩٦، والحدث العارض هو أي حدث غير منتظر ينطوي على وفاة أو خسارة كبرى دائمة لوظيفة غير متصلة بالمسار العادي لمرض المريض أو حالته (*كتاب لجنة المعايير المشتركة، ٢٠٠٧، ص٢١)*

ويعتبر عام ٢٠٠٠ أحد الأعوام المهمة حيث تم خلاله إطلاق أو ل مجموعة معايير دولية (Joint Commission International standards) وتم منح الاعتماد الدولي للمرة الأولى في هذا العام. وفي عام ٢٠٠٢تم إطلاق أهداف سلامة المرضى الوطنية لأول مرة لتدخل في آلية الحصول على الاعتماد الدولي.

"يعتبر الاعتماد الذي تقدمه اللجنة المشتركة الدولية مجموعة منوعة من المبادرات المصممة للاستجابة إلى طلب متنام في كل أنحاء العالم على تقييم الرعاية الصحية المستند إلى المعايير. والغاية هي أن تقدم إلى المجتمع الدولي عمليات موضوعية تستند إلى المعايير، لتقييم مؤسسات الرعاية الصحية. ويهدف البرنامج إلى حفز إظهار التحسن المستمر والمستدام في مؤسسات الرعاية الصحية بتطبيق معايير مجمع عليها دولياً، وأهداف دولية لسلامة المرضى، ودعم القياسات الدالة" *(كتاب معايير اللجنة المشتركة الدولية، ٢٠٠٧، ص٨)*

وقد طورت اللجنة المشتركة الدولية معايير وبرامج اعتماد من اجل المختبرات السريرية، تسلسل الرعاية، مؤسسات النقل الطبي، الرعاية الجوالة وذاك بالإضافة إلى معايير المستشفيات، وهذه المعايير قابلة للتطبيق في جميع أنحاء العالم كونها مبنية في الأساس على معايير مجمع عليها دولياً تُطور من قبل فريق عمل خاص وموافق عليها من قبل مجلس دولي، كذلك فان فلسفة معايير الاعتماد الدولي ترتكز على مبادئ إدارة الجودة والتحسين الدائم للجودة، كما أن المعايير مصممة بقابلية على استيعاب العوامل القانونية والدينية والثقافية داخل كل بلد. كما صمم اعتماد اللجنة المشتركة الدولية ليكون صالحا وموضوعيا ويمكن الركون له. "وتتخذ لجنة الاعتماد الدولية

قرارات الاعتماد النهائية استنادا إلى تحليل نتائج الفحص". *(كتاب معايير اللجنة المشتركة الدولية، ٢٠٠٧، ص٨)*. وتعتبر القيادة من أهم العوامل المؤثرة في تطبيق معايير الاعتماد الدولي، حيث يتضمن دور الإدارة وضع الخطط للوصول إلى تطبيق فعال لمعايير الاعتماد، تحفيز الموظفين، توفير الموارد اللازمة ليكون التطبيق مؤثراً ويحقق النتائج المرجوة منه.

٣-١-١ تطبيق معايير الجودة والاعتماد في المستشفيات الأردنية الخاصة:

تسعى المستشفيات الأردنية لتطبيق معايير الجودة في أقسامها، وخصوصا للحصول على شهادتي الاعتماد المحلي والعالمي، وذلك في إطار المنافسة الشديدة التي تحصل الآن بين المستشفيات وخصوصا الكبرى منها. ويسعى حاليا عدد من المستشفيات الخاصة للحصول على الاعتماد الدولي وذلك للمنافسة مع المستشفيات الحاصلة على الاعتماد.

وبالإضافة لفوائد الاعتماد التسويقية والتنافسية، فتبقى الفائدة الأولى هي تحسين الخدمة المقدمة للمرضى وهوما تم ملاحظته لدى المستشفيات المعتمدة، والتي يبين الجدول المرفق التحسن الحاصل على بعض خدماتها بعد الحصول على الاعتماد الدولي.

يوضح الجدول في صفحة ٣٠تحسن نسب العدوى والتوثيق وأخطاء الأدوية في ثلاثة مستشفيات معتمدة من أصل أربعة، وهي المستشفيات التي وافقت على تزويد الباحث بهذه النسب. وتدل هذه النسب على أن معايير الاعتماد ساعدت على تحسن آليات العمل المتبعة مما أدى للحصول على هذا التحسن في النتائج خاصة، وأن معايير الاعتماد هي المعايير الوحيدة التي تم تطبيقها في هذه المستشفيات خلال هذه الفترة، وتعتبر المتغير الوحيد المؤثر على هذه النتائج، كذلك فقد اعتبر المسئولون عن جمع هذه البيانات إن هذه التغيرات هي تغيرات فعالة ومؤثرة على الخدمة النهائية المقدمة في هذه المستشفيات.

وفي مؤتمر مجلس اعتماد المؤسسات الصحية الذي عقد عام ٢٠١٠، عرضت احدى المستشفيات الأردنية المعتمدة وهو المستشفى التخصصي تجربتها مع الاعتماد والفوائد التي حصدها المستشفى من الاعتماد. حيث وصلت نسبة التزام الكادر بغسل الأيدي إلى ٧٥% بعد أن كانت ٢٥% قبل الاعتماد. وانخفضت نسبة انتقال العدوى بعد الحصول على الاعتماد إلى نصف ما كانت عليه قبل الاعتماد. وأشارت مديرة الجودة في المستشفى التخصصي إلى أن عدد حالات السقوط للمرضى قد انخفضت بعد الاعتماد إلى ١٢ حالة بعد أن كانت ٢٧ حالة قبل الاعتماد، بالإضافة لانخفاض نسبة أخطاء الأدوية إلى ٠.٠١ بعد أن كانت ٠.٠٦%. كذلك فقد تحسنت أنظمة الجودة المتمثلة بأعداد السياسات والإجراءات، حيث أصبح في المستشفى٣٧٥ سياسة وإجراء، بعد أن كان عددها قبل الاعتماد ١٥٠ فقط. بالإضافة لارتفاع في إكمال الملفات الطبية بنسبة زيادة ٢٢% عن السنوات قبل الاعتماد. وبما أن الاعتماد يؤثر على التعليم فقد ارتفع عدد المحاضرات إلى ١١٠ محاضرات للأطباء والتمريض بعد ان كانت ٤٥ محاضرة قبل الاعتماد. *(المصري، محاضرة، ٢٠١٠)*

الجدول (1-3): جدول يبين تغير نسب حالات العدوى، نسب التوثيق، نسب أخطاء الأدوية في المستشفيات المعتمدة قبل حصولها على الاعتماد وبعد حصولها عليه

حالات العدوى	قبل الاعتماد	بعد الاعتماد
مستشفى ١	%٠.٨	%٠.٧
مستشفى ٢	%٠.٤٦	%٠.٣١
مستشفى ٣	%٠.٣١	%٠.٢٨
التوثيق	قبل الاعتماد	بعد الاعتماد
مستشفى ١	%٧٥	%٩٨
مستشفى ٢	%٧١	%٩١
مستشفى ٣	%٧١	%٨٨
أخطاء الأدوية	قبل الاعتماد	بعد الاعتماد
مستشفى ١	%٠.٦٧	%٠.٢٩

حالات العدوى	قبل الاعتماد	بعد الاعتماد
مستشفى ٢	%٠.٥٧	%٠.٤١
مستشفى ٣	%٠.٠٠٤	%٠.٠٠٢

٤-الدراسات السابقة:

١ - دراسة (لجنة الاعتماد المشتركة، ١٩٩٨) في هذه الدراسة تم تعريف الخطأ في استعمال الأدوية، حيث عرف بأنه سلسلة من الخلل في استخدام الأدوية والتي يمكن منعها من خلال نظام تحكم ومراقبة فعال. وقد رأت الكاتبة بأن الأطباء والممرضين والصيادلة كانوا بالعادة أكثر أشخاص منتقدين بسبب مسؤوليتهم عن أخطاء الأدوية، إلى أن أشار نظام الاعتماد إلى أن الخطأ في الدواء هو مسؤولية جميع المتعاملين مع المرضى، مثل مدخلي البيانات وحتى المرضى أنفسهم، وهوما تم تصميم فصل خاص في معايير الاعتماد للتقليل من أخطاء الأدوية بتطبيق هذه المعايير. وبتطبيق هذه المعايير يتوقع ان يقل ما يلي: الخطأ في وصف الدواء، كتابة الجرعة بشكل خاطئ، التوقيت الخاطئ لأخذ الدواء، الخطأ في كمية الدواء، التحضير الخاطئ للدواء، المراقبة الخاطئة للدواء

٢ - دراسة (لجنة الاعتماد المشتركة، ٢٠٠١) قامت هيئة الاعتماد منذ منتصف التسعينات بالاشتراك مع مؤسسات مهمة في مجال الصحة، بعمل مؤتمر لتوضيح الأمور التي تحتاجها المستشفيات لكي تحسن من سلامة المرضى والخدمات التي تقدم للمرضى، وقد كان هذا المؤتمر بداية الانطلاق للعمل نحو تقليل الأخطاء في الخدمة المقدمة للمرضى. ولتحقيق ذلك، قامت هيئة الاعتماد بإطلاق مجموعة من المعايير التي تشجع قيادات المستشفيات على خلق بيئة عمل خالية من عنصر اللوم ومن توجيه أصابع الاتهام نحو شخص أو مجموعة، حيث انه اتضح بعد دراسة أجريت على أطباء وممرضين في غرف العناية المركزة في أمريكا، أن هناك العديد من الأخطاء التي تحدث لا يتم الإبلاغ عنها بسبب خوف ٧٦% من مقدمي الخدمة على سمعتهم، خوف ٧١% منهم من مقاضاتهم، خوف ٦٤% من إجراءات دوائر الترخيص، وخوف ٦٣% على أمنهم الوظيفي.

وبحسب هذه الدراسة فان لتطبيق معايير هيئة الاعتماد فوائد أخرى، منها اهتمامها بالتعيين الكافي للموظفين، وكذلك الاهتمام بتدريب هذه الكوادر، حيث لا تهتم المعايير بوجود كادر كافٍ، بل تهتم كذلك بوجود خطة تدريب وبوجود برنامج تعليمي وتدريبي مستمر، وتطالب معايير الاعتماد، بتحديد مؤهلات الكوادر المطلوبة، وتحديد تلك الخاصة بالكوادر التي عينت والتأكد منها.

٣ - دراسة (لجنة الاعتماد المشتركة، ٢٠٠١) ناقشت هذه الدراسة أداء الكادر الطبي وخصوصا الأطباء والتمريض وكيف يمكن لمعايير الاعتماد أن تحسنها حيث أن الاعتماد بالإضافة لكونه فرصة للتحسين فهو فرصة للتدريب المستمر للكادر الطبي، مما يؤدي لتطوير مهاراتهم في أداء وظائفهم، وكذلك يعطيهم فرصة لفهم مبادئ تحسين الأداء. ويبين الكتاب أن سبب كون الاعتماد مهم في تحسين الأداء هو أنه يشكل للكادر الطبي طريقة منظمة للأداء حيث يتم تصميم العمليات، ثم مراقبة الأداء عن طريق جمع المعلومات، ثم تحليل الأداء، وبعدها تحسين الأداء والمحافظة على التحسين. ويظهر في الدراسة أن تطبيق معايير الاعتماد يؤدي إلى أن المستشفى سوف يؤدي مهامه بشكل صحيح في كل الأوقات، وقد أظهرت دراسة تم إجراؤها من قبل أل Advisory board 2000 national physician أن ٥٠% من الأطباء غير راضيين عن المعلومات التي تصلهم عن الجودة وعن تكاليفها، وأن نسبة الرضا عن هذه المعلومات ترتفع عند جعل الأطباء ينضمون للعمل في مواضيع الجودة والسلامة.

٤ - دراسة (Cheng et.al , 2003) أظهرت هذه الدراسة أن التقنيات الموجودة في المستشفيات، ومهارات الأطباء التقنية ومهارات الاتصال لديهم، هي مؤشر جيد على رضا المرضى وعلى قيام المرضى بالتوصية بالمستشفى للآخرين. كذلك أظهرت أن المرضى يكون رضاهم أكثر بوجود جودة خدمة عالية مما هو بوجود خدمات طبية. وتبين في الدراسة انه كلما كانت المهارات التقنية أعلى،

كلما ازداد رضا المرضى. يرتبط موضوع هذا البحث بالدراسة التي أجريها بكون المهارات التقنية من أهم المجالات في معايير الاعتماد الدولي.

٥ - دراسة (مخيمر وطعانة، ٢٠٠٣) في هذه الدراسة، ناقش الكاتبان عدة مفاهيم متعلقة بإدارة المستشفيات الحديثة ومن بينها ضرورة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المستشفيات لتحسين جودة الخدمات المقدمة للمرضى. وقد بين الكاتبان أن هناك عنصرين أساسيين تقاس بهما جودة الرعاية الطبية وهما العنصر التقني والمتعلق بتطبيق المعارف والمعلومات والتقنيات الطبية وغيرها من العلوم الصحية في معالجة المشكلات الصحية، والعنصر الإنساني المتمثل في إدارة التفاعل الاجتماعي والنفسي بين مقدمي الخدمات الطبية والمرضى وفق القيم والقواعد الاجتماعية التي تحكم التفاعل بين الأفراد بشكل عام وفي مواقف المرضى بشكل خاص. وقد اعتبر الكاتبان أن تعريف الهيئة المشتركة لاعتماد منظمات الرعاية الصحية هو تعريف شامل لجميع العناصر الفنية والاجتماعية والنفسية والأكثر من ذلك انه يحتوي على مواصفات أو معايير، وملاحظة الممارسة ثم المقارنة بين المعايير والممارسة الفعلية والحث على التحسين أو التطوير المستمر في الإجراءات والتشخيص والعلاج.

٦ - دراسة (Berwick et.al , 2003) اقترحت هذه الدراسة اتجاهين لتحسين الجودة: الاتجاه الأول يتضمن تحسين الجودة من خلال الاختيار الذي يتضمن اختيار عدة خدمات طبية بناء على جودة أداء مزودي الخدمة. أحد الأمثلة المذكورة في طريقة الاختيار هو قيام لجنة الاعتماد الدولي باعتماد المستشفيات بناء على جودة الخدمات العالية التي يقدمونها. الاتجاه الثاني تضمن تحسين الجودة في تغيير الرعاية. التغيير المذكور في هذا الاتجاه يمكن أن يطبق على المؤسسات الصحية، وفي هذا السياق فان المؤسسات الصحية من الممكن أن تحدث التغيير في طريقة التخطيط وطريقة تزويد الخدمة للمرضى. المثال المذكور هنا هو دراسة نسبة العدوى

٧ - دراسة(Williams , 2004) أظهرت هذه الدراسة أن المستشفيات التي تطبق معايير، تتضمن معايير لجنة الاعتماد، قد تحسن الأداء فيها في الفترة من أخر ال٢٠٠٢ وحتى بداية ٢٠٠٤، وقد ظهر هذا التحسن في خمسة عشر مستشفى من أصل ثمانية عشر. هذا التحسن كان في العناية الصحية وفي استعمال الأدوية أو في عمل الاستشارات الطبية.

٨ - دراسة (نياز، ٢٠٠٥) في هذه الدراسة يوضح الكاتب أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية وذلك من خلال مناقشته للنقاط التي وضعها د.دونالد بيروديك حول الجودة الشاملة في القطاع الصحي. وقد بين في هذه الدراسة أن المؤسسات الصحية بحاجة إلى تعريف أو سع وأشمل للجودة الشاملة من المؤسسات الأخرى، وبأن إدارة الجودة الشاملة تساعد على تحديد المشكلات مما يمكن فريق العمل من تحليل العمليات وفهمها وبالتالي إلى أداء أفضل. وقد ناقش نياز في هذه الدراسة أهمية الاعتماد ودوره في تنظيم العمل في المؤسسات الصحية، وناقش بشكل خاص معايير لجنة الاعتماد المشتركة ومعايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد وأهميتها. ووضح أن اهتمام المستشفيات بالدول المختلفة خارج الولايات المتحدة بالحصول على الاعتماد من هذه اللجنة، يعود إلى أن هذه المعايير تعتبر المريض حجر الزاوية فيما يتعلق بتقديم الخدمات الصحية وجودة هذه الخدمات. كما ناقش نياز برامج الاعتماد المختلفة في كندا واستراليا واسبانيا ونيوزيلندا. وناقش فكرة عمل برامج اعتماد في الدول العربية.

٩ - دراسة (Milstein and Smith, 2006) تم في هذه الدراسة مناقشة الأسباب التي تدفع المرضى الأمريكيين للبحث عن علاج في دول أخرى. أحد الأسئلة التي طرحت في هذه الدراسة هي هل هناك مستشفيات خارج أمريكا تقدم فيها نفس جودة الخدمات المقدمة في المستشفيات الأمريكية؟ اعتبر الباحثان أن المستشفيات المعتمدة من مؤسسات عالمية للمعايير ومن لجنة الاعتماد الدولية هي مستشفيات كفؤة وتقدم مستوى جيد من الخدمة. وكذلك فقد ذكرت الدراسة أنه وبالرغم من أن المستشفيات الأمريكية تقدم مخرجات أفضل إلا أن المستشفيات المعتمدة من لجنة الاعتماد الدولية أصبحت نسبة الوفيات اقل من ١%.

١٠ - دراسة (حسان، ٢٠٠٦) وجدت هذه الدراسة أن هناك تحسن ملحوظ في الأداء العام لأحد المستشفيات في دبي بحجم ٤٠٠ سرير، بعد ١٥ شهر من تطبيق معايير الاعتماد الدولي. هذا التحسن تم قياسه من وجهة نظر اصحاب العلاقة في المستشفيات حيث قامت الباحثة بعمل دراسة ميدانية أعطت أرقام إحصائية عن تحسن الجودة، وقد كانت النواحي المدروسة هي: التميز التنظيمي، تحسين الجودة وسلامة المرضى، القيادة وأداء الإدارة، رضا المرضى وسعادتهم، التعلم التنظيمي، أداء المنظمة الأخلاقي، التوثيق.

١١ - كتيب (Brown,2007) تم التشديد في هذه الدراسة على أهمية معايير اللجنة الدولية للاعتماد، وما تركته هذه المعايير من أثر على طريقة أداء الخدمات في القطاع الصحي وجودة هذه الخدمات. وبينت في كتابها أن التغيير الذي بدأ في عام ١٩٨٥ بسبب هذه المعايير التي تقوم بتقييم المؤسسات الصحية بناء على التزامها بتحسين جودة الرعاية المقدمة للمرضى. كذلك توضح الكاتبة أن معايير لجنة الاعتماد في عام ١٩٨٨ قامت بتطوير معاييرها الخاصة بالجودة وأن تكون هذه المعايير بكل تأكيد متماشية مع الأساليب الإدارية المتبعة في المؤسسات الصحية، بحيث تبذل المؤسسة كل إمكانياتها لكي تحسن جودة الخدمات المقدمة لمرضاها بما في ذلك التأكد من أن قادة المؤسسة مهتمون شخصيا بتحسين الجودة للخدمات المقدمة للمرضى.

١٢ - دراسة (اللجنة المشتركة للاعتماد، ٢٠٠٨) قامت لجنة الاعتماد بإجراء دراسة في المستشفيات الأمريكية المعتمدة، وهي تشكل ما نسبته ٩٠% من المستشفيات الأمريكية. وقد أظهرت الدراسة أن جودة الخدمة المقدمة في المستشفيات التي تم اعتمادها من قبل لجنة الاعتماد الدولي قد تحسنت بشكل ملحوظ خلال ست سنوات. وقد ساهم الاعتماد الدولي بهذا التحسين، حيث كان يطلب من المستشفيات أن تعمل تقارير عن جودة الأداء بشكل دوري. من الأمثلة على التحسين المذكور في الدراسة: تحسن في العناية بمرضى الذبحة الصدرية بنسبة ١٢.٤% وبمرضى الالتهاب الرئوي بنسبة ١٣.٧% والعناية بالحالات الجراحية بنسبة ٧.٧%.

١٣ – دراسة (Ashish K.Jha et al, 2008) في هذه الدراسة تم تقسيم المستشفيات إلى أربعة ربيعات بناءً على عدد المرات التي قام المستشفى بعمل ما يلزم حسب المقاييس المطلوبة في ظروف معينة. هذه المقاييس تم اشتقاقها من معايير خاصة بجودة المستشفيات من برنامج اتحاد جودة المستشفيات والذي يتضمن معايير من برنامجMedicare and Medicaid وكذلك من معايير لجنة الاعتماد. المرضى الذين راجعوا مستشفيات مصنفة ضمن الربيع الأول كانوا راضين بشكل كبير عن جودة الخدمات المقدمة، وقاموا بشكل قاطع بالايصاء بهذه المستشفيات لمرضى آخرين. كذلك فان المستشفيات الموجودة في الربيع الأول كان أداؤها أفضل بكثير من المستشفيات في الربيعات الأخرى.

١٤ - دراسة(Sheppard and Halasa,2009) تم إجراء هذه الدراسة بالتعاون بين مجلس اعتماد المستشفيات في الأردن وبين جامعة Brandeis وذلك لمعرفة أثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي، وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن هناك تحسن ملحوظ على أداء المستشفيات المعتمدة مقارنة بالمستشفيات غير المعتمدة، وقد أظهرت الدراسة أن عملية التوثيق وإكمال الملفات الطبية في المستشفيات المعتمدة أفضل من المستشفيات غير المعتمدة، حيث ارتفعت نسبة إكمال الملفات في المستشفيات المعتمدة من ٤٨.٩% إلى ٧٦.٥% أي زيادة بمقدار ٢٧.٦% بينما انخفضت نسبة إكمال الملفات والتوثيق في المستشفيات غير المعتمدة من ٥٣% إلى ٥٠.٥% في المستشفيات غير المعتمدة أي انخفاض بقيمة ٢.٥%.

١٥ - دراسة(Jarlier and Charvet-protat, 2009) هذه الدراسة أجريت في بعض المستشفيات الأمريكية حول تطبيق بعض برامج إدارة الجودة الشاملة أظهرت أن جودة بيئة العمل للموظفين، وكذلك رضا المرضى قد ارتفع، وأن عدد إعادة الإدخال غير المخطط له قد قل، وأن نسبة العدوى ما بعد العمليات والعدوى المكتسبة من المستشفيات قد قل. وبينت الدراسة أن رضا المرضى قد بقي كما هو أو ارتفع.

١٦ - **دراسة (سنجق، ٢٠٠٩)** ناقش المؤلف في هذه الأطروحة تاريخ الاعتماد وأثره وفوائده وتعرض إلى واقع المستشفيات الأردنية الخاصة وكونها تتمتع بسمعة جيدة في المنطقة مما دفع بمدراء المستشفيات إلى تحسين جودة الخدمات المقدمة فيها. كما أكدت الدراسة على وجود أثر لتطبيق معايير الاعتماد الدولي على توفير بيئة عمل آمنة وبالتالي زيادة رضا الموظفين مما يؤدي إلى رفع مستوى جودة الخدمات المقدمة للمرضى. كما ناقشت الدراسة أهمية سلامة المرضى وجودة الخدمة المقدمة لهم من وجهة نظر معايير الاعتماد الدولي، الأمر الذي دفع الكاتب للدعوة لشمل نظام الاعتماد – سواء الدولي أو المحلي-في أي استراتيجية توضع لتحسين وتأمين النوعية الجيدة من خدمات الرعاية الصحية.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

ما يميز هذه الدراسة هو نموذجها الذي يطرح بشكل أساسي خمس نقاط من عناصر الجودة، والذي يشير لكون هذه الدراسة قد وسعت دائرة البحث لتشمل متغيرات أو سع نطاقا حول موضوع الدراسة. وكذلك تتميز بأنها الدراسة الأولى (بحسب علم الباحث) التي تتطرق لموضوع أثر معايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد على جودة الخدمات في المستشفيات الأردنية.

٥- منهجية الدراسة

٥-١- مجتمع الدراسة:

لقد تكون مجتمع الدراسة من جميع المديرين ورؤساء الأقسام والموظفين في الأقسام الطبية والتمريضية في المستشفيات الخاصة المعتمدة في عمان، حيث أن الدراسة هدفت إلى معرفة أثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات الطبية المقدمة في قطاع المستشفيات الخاصة في عمان. وكذلك لقياس أثر تطبيق المستشفيات غير المعتمدة لأساسيات الجودة.

٥-٢- عينة الدراسة:

١. المستشفيات المعتمدة: تم أخذ جميع المستشفيات الخاصة المعتمدة من قبل الاعتماد الدولي في عام ٢٠١٠ وعددها أربع مستشفيات كعينة للدراسة وهي: مستشفى التخصصي – مستشفى الأردن – مستشفى الإسراء – مركز الحسين للسرطان.
٢. المستشفيات غير المعتمدة: وهذه المستشفيات تم اختيارها بشكل عشوائي وهي: مستشفى الخالدي – مستشفى فلسطين – مستشفى الشميساني – مستشفى ماركا الإسلامي – المركز العربي.

تكونت عينة الدراسة من (٥٠٠) مبحوثاً، ووزعت الاستبيانات على أفراد عينة الدراسة، فاسترد منها (٣٧٥) استبانة، واستبعدت (١٣) استبانة لعدم صلاحيتها للتحليل، وبذلك أصبح عدد الاستبيانات الصالحة للتحليل (٣٦٢) استبانة، منها٢٠٣ استبانات من المستشفيات المعتمدة و١٥٩ من المستشفيات غير المعتمدة.

٥-٣- أداة الدراسة:

لقد تم تطوير أداة الدراسة بالاعتماد على مراجعة الأدب النظري لمفهوم الاعتماد الدولي وأثره على مستوى جودة الخدمات، إضافة إلى الاطلاع على الأدوات المستخدمة في الدراسات السابقة.

وتشتمل أداة الدراسة على ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: خصص لجمع البيانات الشخصية والوظيفية عن المبحوثين في مستشفيات القطاع الخاص، وتشتمل على الجنس، العمر، والمؤهل العلمي، والخبرة، والمسمى الوظيفي، الحصول الاعتماد، عدد سنوات الحصول على الاعتماد، توفر قسم جودة.

أما الجزء الثاني: من الاستبانة فقد خصص لقياس تصورات المديرين والعاملين نحو الاعتماد الدولي وأثره على مستوى جودة الخدمات، وقد تضمنت أداة الدراسة فقرات كافية تغطي جميع العوامل (نظام الجودة، أداء الأطباء، أداء التمريض، التوثيق، الأدوية، ضبط نقل العدوى).

واعتمد في تدريج الاستبانه على مقياس ليكرت الخماسي (Likert Scale) واحتسبت أو زان تلك الفقرات على النحو التالي: (دائما) وتمثل (٥ درجات)، و(غالبا) وتمثل (٤ درجات)، و(أحيانا) وتمثل (٣ درجات)، و(نادرا) وتمثل (٢ درجة)، (بالمرة) وتمثل (١ درجة).

٥-٤- الفرضيات:

الفرضية الرئيسة الأولى:

- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات الطبية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة المعتمدة دولياً في عمان.

الفرضية الرئيسة الثانية:

تم وضع هذه الفرضية لاستطلاع وضع المستشفيات الخاصة في عمان التي لم تطبق معايير الاعتماد الدولي وإنما اكتفت بتطبيق معايير الجودة الأساسية. وقد كان العامل المستقل هو تطبيق أساسيات الجودة، بينما العامل التابع هو جودة الخدمات المقدمة، وتنص هذه الفرضية على:

- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق معايير الجودة الأساسية على جودة الخدمات الصحية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة غير المعتمدة دولياً في عمان.

٦- تحليل البيانات والنتائج

تم إجراء التحليل الوصفي لمتغيري الدراسة (تطبيق معايير الاعتماد الدولي، وجودة الخدمات الطبية) وفقاً لإجابات أفراد عينة الدراسة على الفقرات الواردة في الاستبانة. إذ استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وتم ترتيبها تنازلياً حسب أهميتها النسبية استناداً لقيمة المتوسط الحسابي.

وبالنسبة لفقرات الاستبانة فقد تم الأخذ بعين الاعتبار تدرج المقياس المستخدم في الدراسة، واستناداً إلى ذلك فإن قيم المتوسطات الحسابية التي وصلت إليها الدراسة، اعتمدت على معيار تفسير النتائج بحيث إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي للفقرات أكبر من (٣.٥) فيكون مستوى تقدير عينة الدراسة مرتفعاً، أما إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي (٢.٥- ٣.٤٩) فإن مستوى تقديرهم بالنسبة للمتوسط الحسابي متوسطاً، وإذا كان المتوسط الحسابي (٢.٤٩) فما دون فإن مستوى تقديرهم بالنسبة للمتوسط الحسابي منخفضاً.

السؤال الأول: ما مدى تطبيق معايير الاعتماد الدولي في المستشفيات الخاصة في الأردن؟

للإجابة عن هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة حول تطبيق معايير الاعتماد الدولي في المستشفيات الخاصة في الأردن، والجدول (1-6)يبين ذلك.

الجدول (1-6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة حول تطبيق معايير الاعتماد الدولي في المستشفيات الخاصة المعتمدة مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم البعد	الأبعاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
١	٥	نظام الأدوية	٤.٣١٤٧	.٧٦٣٤٣	مرتفع
٢	٤	نظام ضبط العدوى	٤.٢٩٠٦	.٨١٦٣٨	مرتفع

٣	٦	نظام التوثيق	٤.١٨٢٣	.٧٩٦٠٠	مرتفع
٤	٢	اداء الأطباء	٤.٠٧٩٤	.٨١٧٨٤	مرتفع
٥	٣	اداء التمريض	٤.٠٥٨٤	.٨٥٨٩٧	مرتفع
٦	١	نظام الجودة	٣.٩٧٦١	.٢٩٥٥٢	مرتفع
الكلـــــي			٣.٥٥	٠.٤٢٤	مرتفع

يظهر من الجدول (1-6) أن المتوسط العام للعوامل المؤثرة بلغ (٣.٥٥)، وهذا يعني أن تطبيق معايير الاعتماد الدولي وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى مرتفع. وبتحليل أبعاد العوامل المؤثرة، يتضح أن بعد نظام الأدوية احتل الرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره (٤.٣١٤)، يليه بعد نظام ضبط العدوى بمتوسط حسابي بلغ (٤.٢٩٠٦)، وفي الرتبة الأخيرة جاء بعد نظام الجودة بمتوسط حسابي بلغ (٣.٩٧٦١)، وكانت تصورات أفراد مجتمع الدراسة لهذه الأبعاد ذات مستوى مرتفع، ويعبر الانحراف المعياري عن مدى التشتت في البيانات فهو يعتبر من مقاييس التشتت وهو الجذر التربيعي الموجب للتباين، ويحسب مقدار انحراف كل قيمة عن وسطها الحسابي والانحراف المعياري دائما أكبر من أو يساوي الصفر. وتم تحليل فقرات كل بعد من أبعاد تطبيق معايير الاعتماد الدولي، وعلى النحو الآتي:

أولاً: تصورات أفراد مجتمع الدراسة لبعد نظام الجودة:

استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة على فقرات متغير نظام الجودة، والجدول (2-6) يبين ذلك.

جدول رقم (2-6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة في المستشفيات الخاصة المعتمدة عن فقرات متغير نظام الجودة مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	**الأهمية النسبية**
١	٢٣	تقدم الإدارة العليا الدعم التكنولوجي لبرامج تحسين الجودة وسلامة المرضى	٤.٥١	.٥٥١	مرتفع
٢	٢٦	هناك معايير محددة وواضحة يتبعها المستشفى لتحسين جودة الأداء	٤.٤٥	.٦٥٧	مرتفع
٣	٢٨	يتم عمل تدريب للموظفين الجدد والقدامى حول موضوع الجودة	٤.٢٨	.٧٦٩	مرتفع
٤	٢٥	يتم إعلام الموظفين بكل ما تخطط له الإدارة في مجال تحسين جودة الخدمات	٤.٢٦	.٦٥١	مرتفع
٥	٢١	تشارك الإدارة العليا في المستشفى في التخطيط لبرامج تحسين الجودة ومراقبتها	٤.٢٤	.٥٨٣	مرتفع
٦	٢٤	تقدم الإدارة العليا الدعم المادي إلى برامج تحسين الجودة وسلامة المرضى	٤.٢٢	.٦٢٥	مرتفع
٧	٢٧	يحاول المستشفى تحسين جودة الخدمات والمحافظة عليها	٣.٤٥٢	.984	متوسط
٨	٢٢	تشارك الإدارة العليا في المستشفى في التخطيط لبرامج سلامة المرضى ومراقبتها	٣.٤٣٣	.897	متوسط
الكلـــــي			٤.٣٤	.٤٤٤	مرتفع

يظهر من الجدول (2-6) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا البعد والمتعلقة بنظام الجودة قد تراوحت ما بين (٣.٤٣٣) للفقرة (٢٢) التي احتلت الرتبة الأخيرة و(4.51) للفقرة (٢٣) التي احتلت الرتبة الأولى وبمتوسط حسابي عام لجميع الفقرات بلغ (4.34)، وهذا يعني أن نظام الجودة وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى مرتفع

ثانياً: تصورات أفراد مجتمع الدراسة لأداء الكادر الطبي

استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة على فقرات متغير أداء الكادر الطبي، والجدول (3-6) يبين ذلك.

جدول رقم (3-6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة في المستشفيات الخاصة المعتمدة عن فقرات متغير أداء الكادر الطبي مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
١	٢٩	يتم تدريب الأطباء على الأمور المتعلقة بجودة الخدمات المقدمة للمرضى	٤.٦٤	.٤٨١	مرتفع
٢	٣٢	يتم تدريب الأطباء على كيفية التعامل مع الأدوية وكتابتها	٤.٤٥	.٥٤٨	مرتفع
٣	٣٥	هناك سياسات مكتوبة تحدد عمل الأطباء	٣.٩٧	.٨٥٠	مرتفع
٤	٣٠	يتم تدريب الأطباء على كيفية الوقاية من العدوى ومنع انتشارها بين المرضى	٣.٨٦	.٧٦٦	مرتفع
٥	٣٤	هناك لجنة خاصة للتحقق من شهادات وخبرات وتصاريح الأطباء	٣.٨٦	.٧١٣	مرتفع
٦	٣١	يتم تدريب الأطباء على كيفية التوثيق وتعبئة ملفات المرضى	٣.٤٧	١.٠٢٥	متوسط
٧	٣٣	يتم تعريف الأطباء عن أخطاء الأدوية وكيفية تقليلها	٣.٤٥	.٩٩٩	متوسط
الكلـــــي			٣.٤٩	.٤٧٩	متوسط

يظهر من الجدول (3-6) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا البعد والمتعلقة بأداء الكادر الطبي قد تراوحت ما بين (٣.٤٥) للفقرة (٣٣) التي احتلت الرتبة الأخيرة و(٤.٦٤) للفقرة (٢٩) التي احتلت الرتبة الأولى وبمتوسط حسابي عام لجميع الفقرات بلغ (٣.٤٩)، وهذا يعني أن أداء الكادر الطبي وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى متوسط.

ثالثاً: تصورات أفراد مجتمع الدراسة حول أداء الكادر التمريضي

استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة على فقرات متغير أداء الكادر التمريضي، والجدول (٤-٥) يبين ذلك.

جدول رقم (4-6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة في المستشفيات الخاصة المعتمدة عن فقرات متغير أداء الكادر التمريضي مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
١	٤٠	يتم تعريف الكادر التمريضي عن أخطاء الأدوية ودورهم في تقليلها	٣.٧٤	.٧٩٤	مرتفع
٢	٣٧	يتم تدريب الكادر التمريضي على كيفية الوقاية من العدوى ومنع انتشارها بين المرضى	٣.٥٨	.٩٤٤	مرتفع
٣	٤٢	هناك سياسات مكتوبة تحدد عمل الكادر التمريضي	٣.٤٩	١.٠٢٥	متوسط
٤	٣٨	يتم تدريب الكادر التمريضي على كيفية التوثيق وتعبئة ملفات المرضى	٣.٣٥	١.٠٨٧	متوسط
٥	٣٦	يتم تدريب الكادر التمريضي على الأمور المتعلقة بجودة الخدمات المقدمة للمرضى	٣.٣٣	١.٠٣١	متوسط
٦	٣٩	يتم تدريب الكادر التمريضي على كيفية التعامل مع الأدوية	٣.٢٩	.٩٥٢	متوسط
٧	٤١	هناك لجنة خاصة للتحقق من شهادات وخبرات وتصاريح الكادر التمريضي	٣.١٣	١.٠٤٨	متوسط
الكلـــــي			٣.٢٣	.٦٣٩	متوسط

يظهر من الجدول (4-6) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا البعد والمتعلقة بأداء الكادر التمريضي قد تراوحت ما بين (٣.١٣) للفقرة (٤١) التي احتلت الرتبة الأخيرة و(٣.٧٤) للفقرة (٤٠) التي احتلت الرتبة الأولى وبمتوسط حسابي عام لجميع الفقرات بلغ (٣.٢٣)، وهذا يعني أن أداء الكادر التمريضي وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى متوسط.

رابعاً: تصورات أفراد مجتمع الدراسة لنظام ضبط العدوى

استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة على فقرات متغير نظام ضبط العدوى، والجدول (5-6) يبين ذلك.

جدول رقم (٥-6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة في المستشفيات الخاصة المعتمدة عن فقرات متغير نظام ضبط العدوى مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
١	٤٨	تخفض المستشفى مخاطر العدوى بضمان تنظيف المعدات وتعقيمها	٤.١٧	.٩١٠	مرتفع
٢	٤٣	يتم جمع معلومات حول ضبط العدوى في المستشفى على فترات مختلفة	٤.٠٣	١.٠٥٣	مرتفع
٣	٥٠	تتكامل عملية السيطرة على العدوى مع برنامج المؤسسة الشامل لتحسين جودة الخدمة	٣.٩٨	.٨٩٨	مرتفع
٤	٤٦	هناك سياسات وإجراءات مطبقة لضبط العدوى	٣.٩٢	١.٠١٦	مرتفع
٥	٤٩	توفر المستشفى إجراءات العزل لحماية المرضى والزوار والعاملين	٣.٨٧	١.٠٣٩	مرتفع
٦	٥١	تبلغ نتائج مراقبة العدوى بانتظام إلى الإدارة العليا والعاملين	٣.٨٤	١.٢٣٧	مرتفع
٧	٤٤	يتم الاستفادة من هذه المعلومات وتحليلها لتطوير الخدمة	٣.٨١	١.٢٢٢	مرتفع
٨	٤٧	هناك لجنة خاصة بضبط العدوى	٣.٧٨	١.٢٠٠	مرتفع
٩	٤٥	يتم تحليل البيانات والاستفادة منها في حالة ظهور تفاوتات غير مرغوب بها	٣.٧٥	١.١٩٥	مرتفع
الكلـــي			٣.٨٧	.٨٣٢	مرتفع

يظهر من الجدول (٥-6) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا البعد والمتعلقة بـنظام ضبط العدوى قد تراوحت ما بين (٣.٧٥) للفقرة (٤٥) التي احتلت الرتبة الأخيرة و(٤.١٧) للفقرة (٤٨) التي احتلت الرتبة الأولى وبمتوسط حسابي عام لجميع الفقرات بلغ (٣.٦٥)، وهذا يعني أن نظام ضبط العدوى وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى مرتفع، وعلى جميع الفقرات.

خامساً: تصورات أفراد مجتمع الدراسة لنظام الأدوية

استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة على فقرات متغير نظام الأدوية، والجدول (6-٦) يبين ذلك.

جدول رقم (6-٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة في المستشفيات الخاصة المعتمدة عن فقرات متغير نظام الأدوية مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
١	٥٣	يتم الاستفادة من هذه المعلومات وتحليلها لتطوير الخدمة	٣.٦٦	١.١٤٤	مرتفع
٢	٥٥	هناك سياسات وإجراءات مطبقة للتعامل مع الأدوية ووصفها وطلبها وتدوينها	٣.٥٤	١.٠٣١	مرتفع

٣	٥٨	تحدد المستشفى الأشخاص المؤهلين الذين يسمح لهم بوصف الأدوية أو طلبها	٣.٤٦	١.٠٩٨	متوسط
٤	٥٩	تدون الأدوية الموصوفة والمعطاة في سجل المريض	٣.٤٦	١.٠٣٧	متوسط
٥	٦٢	يقدم تقرير من قبل المعنيين لإدارة المستشفى بأخطاء الأدوية خلال إطار زمني محدد	٣.٤٢	١.٠٢٩	متوسط
٦	٥٦	هناك طريقة مكتوبة للإشراف على لائحة أدوية المؤسسة	٣.٤٠	١.٠٢١	متوسط
٧	٦١	تراقب تأثيرات الأدوية على المرضى	٣.٣٩	١.٠٥١	متوسط
٨	٥٢	يتم جمع معلومات حول أخطاء الأدوية على فترات مختلفة	٣.٣٨	١.١٢٧	متوسط
٩	٥٧	هناك لجنة خاصة لمتابعة استعمال الأدوية وأخطائها	٣.٣٦	١.١٢٤	متوسط
١٠	٥٤	يتم تحليل البيانات والاستفادة منها في حالة ظهور تفاوتات غير مرغوب بها	٣.١٠	١.٠٥٥	متوسط
١١	٦٠	تراجع وصفات الأدوية أو طلباتها للتحقق من ملاءمتها	٣.٠٠	.٩٨٥	متوسط
الكلـــــي			٤.٤٢	.٦٩٥	مرتفع

يظهر من الجدول (6-٦) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا البعد والمتعلقة بـنظام الأدوية قد تراوحت ما بين (٣.٠٠) للفقرة (٦٠) التي احتلت الرتبة الأخيرة و(٣.٦٦) للفقرة (٥٣) التي احتلت الرتبة الأولى وبمتوسط حسابي عام لجميع الفقرات بلغ (٣.٤٢)، وهذا يعني أن نظام الأدوية وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى متوسط، وعلى أغلب الفقرات.

سادساً: تصورات أفراد مجتمع الدراسة لنظام التوثيق

استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات أفراد مجتمع الدراسة على فقرات متغير نظام التوثيق، والجدول (6-7) يبين ذلك.

جدول رقم (6-7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة في المستشفيات الخاصة المعتمدة عن فقرات متغير نظام التوثيق مرتبة تنازلياً

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
١	٦٨	توضع إجراءات مراقبة الجودة موضع التنفيذ وتتبع وتوثق	٤.٥٦	٠.٧٧	مرتفع
٢	٦٥	يحتوي سجل المريض على ملخص للخروج	٤.٥٦	٠.٨٣	مرتفع
٣	٦٧	توثق نتائج التقييم في سجل المريض وتكون متاحة أمام من يقدمون الرعاية للمريض	٤.٥١	٠.٨٢	مرتفع
٤	٧٠	توثق الأدوية التي تصرف للمريض قبل وبعد صرفها	٤.٥٠	٠.٨٠	مرتفع
٥	٦٣	يتم تدريب الموظفين المعنيين على توثيق جميع الأمور المتعلقة بالمرضى في سجلاتهم	٤.٤٢	٠.٨٦	مرتفع
٦	٦٩	تخطط رعاية المريض بعد الجراحة وتوثق	٤.٣٧	٠.٨٢	مرتفع
٧	٦٤	يحتوي سجل المريض على الإجراءات التي عملت له مكتوبة بشكل واضح	٤.٣٤	٠٥	مرتفع
٨	٦٦	يوثق التقييم الطبي الأولي قبل التخدير والمعالجة الجراحية	٤.٢٧	٠.٩٣	مرتفع
الكلـــــي			٣.٥٢	٠.٧٠	مرتفع

يظهر من الجدول (6-7) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا البعد والمتعلقة بـنظام التوثيق قد تراوحت ما بين (٤.٥٦) للفقرة (٦٨) التي احتلت الرتبة الأخيرة و(٤.٢٧) للفقرة (٦٦) التي احتلت الرتبة الأولى وبمتوسط حسابي عام لجميع الفقرات بلغ (٣.٤٢)، وهذا يعني أن نظام التوثيق وفقاً لتصورات أفراد مجتمع الدراسة ذات مستوى مرتفع، ولكل الفقرات.

اختبار فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسة الأولى:

- وتنص على أنه: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات الطبية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة المعتمدة دولياً في عمان.

تم استخدام تحليل الانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة الأولى.

جدول رقم (8-6): نتائج تحليل الانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة الأولى

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	مستوى دلالة F
الانحدار	٦.٤٠٨	١	٢.١٣٦	٥.٠٢٩	.٠٠٢*
الخطأ	٦٤.٥٦٠	٢٠١	.452		
الكلي	٧٠.٩٦٨	٢٠٢			

* ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة (α=0.05)

معامل التحديد (R^2) = 0.90

يتبين من معطيات جدول (8-6) ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة الأولى استناداً إلى ارتفاع قيمة (F) المحسوبة والبالغة (٥.٠٢٩) بقيمة احتمالية (٠.٠٠٢) وهي أقل من مستوى دلالة (α=0.05) مما يدل على وجود أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق معايير الاعتماد الدولية على جودة الخدمات الطبية في المستشفيات الخاصة المعتمدة دولياً في الأردن، ويتضح من نفس الجدول أن البعد المستقل (تطبيق معايير الاعتماد الدولي) في هذا النموذج تُفسر ما مقداره (٩٠%) من التباين في المتغير التابع جودة الخدمات الطبية(أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية ، نظام التوثيق).

وذلك يعني قبول الفرضية والتي تنص على أنه " يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات الطبية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة المعتمدة دولياً في عمان. وهذا يتماشى مع معظم الدراسات السابقة التي تبين أن تطبيق معايير الاعتماد تؤدي إلى تحسن جودة الخدمات. وقد وضحت Ann Jacobson المدير التنفيذي للاعتماد الدولي أن معظم المستشفيات التي تم اعتمادها من قبل الاعتماد الدولي قد لاحظت تحسناً في الأداء وفي جودة الخدمات (Jacobson, Lecture, 2010)

جدول رقم (9-6) نتائج تحليل الانحدار لاختبار أثر الأبعاد التابعة (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) على جودة الخدمات الطبية في المستشفيات المعتمدة

المتغيرات المستقلة	B	الخطأ المعياري	Beta	قيمة t المحسوبة	مستوى دلالة t
أداء الأطباء	.٣١٦	.١٣١	.٢٠٧	٢.٤١٥	.٠١٧
أداء التمريض	-.٠٧٧	.١٢٤	-.٠٥٥	-.٦٢١	.٥٣٦
نظام ضبط العدوى	.١٨٥	.٠٩٧	.١٧٥	١.٩٠٧	.٠٥٨
نظام الأدوية	.235	.142	.314	2.130	.035
نظام التوثيق	.057	.056	.262	1.895	.042

- ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة (α=0.05)

يشير الجدول(9-6) إلى أن البعد (أداء الأطباء) له أثر في جودة الخدمات الطبية، حيث بلغت قيم (ت) له (٢.٤١٥)، بقيم احتمالية بلغت (٠.٠١٧) وهي أقل من مستوى دلالة (α=0.05)، وهذا معزز بارتفاع قيم معامل (Beta) لهذا البعد. وأيضا البعد (نظام الأدوية) له أثر في جودة الخدمات الطبية، حيث بلغت قيم (ت) له (2.130)، بقيم احتمالية بلغت (.035) وهي أقل من مستوى دلالة

(α=0.05)، وهذا معزز بارتفاع قيم معامل (Beta) لهذا البعد، كذلك البعد (نظام التوثيق) له أثر في جودة الخدمات الطبية، حيث بلغت قيم (ت) له (1.895)، بقيم احتمالية بلغت (.042) وهي أقل من مستوى دلالة (α=0.05)، وهذا معزز بارتفاع قيم معامل (Beta) لهذا البعد

كما أن الأبعاد (أداء التمريض، نظام ضبط العدوى) ليس لهما أثر في جودة الخدمات الطبية، حيث بلغت قيم (T) لهم (-٠٦٢١.، ١.٩٠٧) على التوالي، بقيم احتمالية بلغت (0.536، 0.58) على التوالي وهي أكبر من مستوى دلالة (α=0.05)، وهذا معزز بانخفاض قيم معاملات (Beta) لهذه الأبعاد.

الفرضية الرئيسة الثانية:

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق معايير الجودة الأساسية على جودة الخدمات الصحية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة غير المعتمدة دولياً في عمان.

تم استخدام تحليل الانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة الثانية.

جدول رقم (10-6): نتائج تحليل الانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة الثانية

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	مستوى دلالة F
الانحدار	٢.٤٦٦	١	٢.٤٦٦	٢.٦٨٦	.١٠٣
الخطأ	١٤٤.١٢٦	١٥٧	.٩١٨		
الكلي	١٤٦.٥٩١	١٥٨			

* ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة (α=0.05)

معامل التحديد (R^2) =0.13

يتبين من معطيات جدول (10-6) عدم ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة الثانية استناداً إلى انخفاض قيمة (F) المحسوبة والبالغة (٢.٦٨٦) بقيمة احتمالية (.١٠٣) وهي أكبر من مستوى دلالة (α=0.05) مما يدل على عدم وجود أثر ذو دلالة إحصائية لتطبيق أساسيات الجودة على جودة الخدمات الطبية في المستشفيات الخاصة غير المعتمدة في عمان، ويتضح من نفس الجدول أن البعد المستقل (تطبيق أساسيات) في هذا النموذج تُفسر ما مقداره (١٣%) من التباين في المتغير التابع جودة الخدمات الطبية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية نظام التوثيق).

٧- الاستنتاجات:

تناولت الدراسة أثر تطبيق معايير الاعتماد الدولي على مستوى جودة الخدمات في المستشفيات الأردنية الخاصة، وفيما يلي عرض لأهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج:

١. عبرت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين نحو تطبيق معايير الاعتماد الدولي في المستشفيات الخاصة في الأردن كانت مرتفعة، وبتحليل أبعاد العوامل المؤثرة، يتضح أن بعد نظام الأدوية احتل المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره (٤.٣٤)، يليه بعد نظام ضبط العدوى بمتوسط حسابي بلغ (٤.٢٩)، وفي المرتبة الأخيرة جاء بعد نظام الجودة بمتوسط حسابي بلغ (٣.٩٧)، وكانت تصورات أفراد مجتمع الدراسة لهذه الأبعاد ذات مستوى مرتفع. وتُفسر هذه النتيجة إلى أهمية هذه الأبعاد في التأثير على تطبيق معايير الاعتماد الدولي في المستشفيات الخاصة في الأردن.

٢. دلت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين نحو فقرات متغير نظام الجودة كانت مرتفعة، واحتلت الفقرة المتعلقة (تقدم الإدارة العليا الدعم التكنولوجي لبرامج تحسين الجودة وسلامة المرضى) المرتبة الأولى، في حين جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة المتعلقة بـ (تشارك الإدارة العليا في المستشفى في التخطيط لبرامج سلامة المرضى ومراقبتها). وتُفسر

هذه النتيجة إلى التزام متخذي القرارات الإدارية في المستشفيات الخاصة المعتمدة دولياً بإدخال التكنولوجيا الحديثة لدعم برامج تحسين الجودة بدرجه مرتفعة.

٣. دلت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين نحو أداء الكادر الطبي كانت متوسطة، واحتلت الفقرة المتعلقة (يتم تدريب الأطباء على الأمور المتعلقة بجودة الخدمات المقدمة للمرضى) المرتبة الأولى، في حين جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة المتعلقة (يتم تعريف الأطباء عن أخطاء الأدوية وكيفية تقليلها). وتُفسر هذه النتيجة أن متخذي القرارات في المستشفيات الخاصة يأخذون بعين الاعتبار أثر تدريب الأطباء على أنظمة الجودة ومفاهيمها الحديثة عند اتخاذ قراراتهم لكن بدرجة متوسطة.

٤. دلت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين نحو أداء الكادر التمريضي كانت متوسطة، واحتلت الفقرة المتعلقة (يتم تعريف الكادر التمريضي عن أخطاء الأدوية ودورهم في تقليلها) المرتبة الأولى، في حين جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة المتعلقة (هناك لجنة خاصة للتحقق من شهادات وخبرات وتصاريح الكادر التمريضي). وتُفسر هذه النتيجة أن متخذي القرارات في المستشفيات الخاصة الأردنية، مهتمون لرفع كفاءة الأداء التمريضي وذلك من خلال الاهتمام بهم بشكل أكبر إشراكهم في مختلف الدورات التي تعنى بأنظمة الجودة محاولة منهم الوصول إلى مناخ صحي فيها.

٥. أشارت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين نحو نظام ضبط العدوى كانت مرتفعة، وبتحليل أبعاد أنماط اتخاذ القرارات الإدارية، يتضح أن بعد (تخفض المستشفى مخاطر العدوى بضمان تنظيف المعدات وتعقيمها) احتل المرتبة الأولى وكانت تصورات أفراد الدراسة لهذا البعد مرتفعة، وفي المرتبة الأخيرة بعد (يتم تحليل البيانات والاستفادة منها في حالة ظهور تفاوتات غير مرغوب بها). وتُفسر هذه النتيجة أن متخذي القرارات في المستشفيات المعتمدة يعتمدون على نظام ضبط العدوى، من خلال سعيهم إلى تطوير خدماتهم، ومستوى أداء العاملين لديهم، وتحقيق الرعاية الصحية الفضلى.

٦. أشارت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين نحو نظام الأدوية كانت مرتفعة، واحتلت الفقرة المتعلقة (يتم الاستفادة من هذه المعلومات وتحليلها لتطوير الخدمة) المرتبة الأولى، في حين جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة المتعلقة (تراجع وصفات الأدوية أو طلباتها للتحقق من ملاءمتها). وتُفسر هذه النتيجة أن العاملين في المستشفيات المعتمدة يحاولون تطبيق المنهج العلمي أكثر من التقليدي في نظام الأدوية، استنادا إلى ما يمتلكون من قدرات بشرية ومادية، وما تتطلبه مواردهم من تطوير وتحسين لتحقيق الأهداف المنشودة.

٧. أشارت النتائج الإحصائية أن تصورات المبحوثين لنظام التوثيق كانت مرتفعة، واحتلت الفقرة المتعلقة (توضع إجراءات مراقبة الجودة موضع التنفيذ وتتبع وتوثق) المرتبة الأولى، في حين جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة المتعلقة (يوثق التقييم الطبي الأولي قبل التخدير والمعالجة الجراحية). وتُفسر هذه النتيجة أن العاملين في المستشفيات الخاصة يعتمدون على نظام التوثيق بدرجه مرتفعة، وفي بعض الحالات الإدارية من خلال هذا النظام وذلك من أجل تحقيق رؤيتها المستقبلية، والحفاظ على مستوى جودة الخدمة المقدمة للمرضى والمحافظة على سجلهم التاريخي.

٨. دلت النتائج على وجود أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لتطبيق معايير الاعتماد الدولي على جودة الخدمات الطبية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة المعتمدة دولياً في عمان.

٩. أظهرت النتائج الى أنه لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لتطبيق أساسيات الجودة على جودة الخدمات الصحية (أداء الأطباء، أداء التمريض، نظام ضبط العدوى، نظام الأدوية، نظام التوثيق) في المستشفيات الخاصة غير المعتمدة دولياً في الأردن.

٨- مناقشة نتائج الدراسة

أولا: فيما يخص أثر الحصول على شهادة الاعتماد الدولية على جودة الخدمات المقدمة في المستشفيات الخاصة في عمان والحاصلة على هذه الشهادة، فقد جاءت الفرضية الرئيسة لقياس هذا الأثر، وبناء على التحليل الإحصائي تم قبول هذه الفرضية، وهذا يتماشى مع الدراسة التي قامت بها (حسان، ٢٠٠٦) بعنوان" قياس جودة الأداء في العناية الصحية: أثر معايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد على جودة الأداء" والتي خلصت إلى أن هناك تحسن ملحوظ في مستشفى خاص بدبي بعد ١٥ شهر من تطبيق معايير الاعتماد الدولي فيه.

ثانيا: فيما يخص أثر الحصول على شهادة الاعتماد الدولية على أداء الأطباء في المستشفيات المعتمدة دوليا، فقد جاءت الفرضية الفرعية الأولى والمنبثقة عن الفرضية الرئيسة الأولى لقياس هذا الأثر، وبناء على التحليل الإحصائي تم قبول هذه الفرضية وهذا يتماشى مع الدراسة التي قامت بها (لجنة الاعتماد المشتركة، ٢٠٠١) بعنوان "تحسن أداء الكادر الطبي" والتي خلصت إلى وجود تحسن بين تطبيق معايير الاعتماد الدولي على أداء الأطباء وجعلهم يشعرون برضا أكثر عن أداء مهامهم.

ثالثا: فيما يخص أثر الحصول على شهادة الاعتماد الدولية على أداء الممرضين في المستشفيات المعتمدة دوليا، فقد جاءت الفرضية الفرعية الثانية والمنبثقة عن الفرضية الرئيسة الأولى لقياس هذا الأثر، وبناء على التحليل الإحصائي تم قبول الفرضية وهذا يتماشى مع الدراسة التي قامت بها (لجنة الاعتماد المشتركة، ٢٠٠١) بعنوان "الخط الأول للدفاع: دور الممرضين في الوقاية من الأحداث العارضة" التي أكدت أن تطبيق معايير الاعتماد الدولي أدت إلى رضا الممرضين وخصوصا عن شعورهم بالأمان للإبلاغ عن الحوادث وعن البرامج التدريبية.

رابعا: فيما يخص أثر الحصول على شهادة الاعتماد الدولي وجودة نظام ضبط العدوى في المستشفيات المعتمدة دوليا، فقد جاءت الفرضية الفرعية الثالثة والمنبثقة عن الفرضية الرئيسة الأولى لقياس هذا الأثر، وبناء على التحليل الإحصائي تم قبول الفرضية وهذا يتماشى مع الدراسة التي قام بها (Jarlier and Charvet-portat,2009) والتي خلصت إلى أن نسبة العدوى ما بعد العمليات والعدوى المكتسبة من المستشفيات قد قلت.

خامسا: فيما يخص أثر الحصول على شهادة الاعتماد الدولي على جودة نظام الأدوية في المستشفيات المعتمدة دوليا، فقد جاءت الفرضية الفرعية الرابعة والمنبثقة عن الفرضية الرئيسة الأولى لقياس هذا الأثر، وبناء على التحليل الإحصائي تم قبول الفرضية وهذا يتماشى مع دراسة (لجنة الاعتماد المشتركة، ١٩٩٨) بعنوان " استعمال الأدوية: أنظمة لتقليل الأخطاء) والتي خلصت إلى أن تطبيق معايير الاعتماد سوف يقلل الخطأ في وصف الدواء، كتابة الجرعة بشكل خاطئ، التوقيت الخاطئ لأخذ الدواء، الخطأ في كمية الدواء، التحضير الخاطئ للدواء، المراقبة الخاطئة للدواء.

سادسا: فيما يخص أثر الحصول على شهادة الاعتماد على جودة نظام التوثيق في المستشفيات المعتمدة دوليا، فقد جاءت الفرضية الخامسة والمنبثقة عن الفرضية الرئيسة الأولى لقياس هذا الأثر، وبناء على التحليل الإحصائي تم قبول الفرضية وهذا يتماشى مع دراسة (Donald and halasa,2009) بعنوان "قيمة الاعتماد وأثره في المستشفيات المعتمدة من لجنة الاعتماد الدولية" والتي خلصت إلى أن نسبة الملفات الكاملة التوثيق قد ارتفعت في المستشفيات المعتمدة بمقدار ٢٧.٦% وقلت في المستشفيات غير المعتمدة بقيمة ٢.٥%.

٩- التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة، فانه يمكن تقديم مجموعة من التوصيات الهادفة إلى تفعيل دور تطبيق معايير الاعتماد الدولي على مستوى جودة الخدمات في المستشفيات الأردنية الخاصة، وهذه التوصيات:

١. اعتمادا على حيثيات هذه الدراسة، توصي الدراسة بأن تولي إدارة المستشفيات الأردنية أهمية كبيرة للحصول على شهادة الاعتماد الدولية، وذلك من خلال إفهام المدراء والموظفين بأهمية الاعتماد الدولي.
٢. ضرورة تطوير نظام معلوماتي مرن وشامل المحتوى يساعد المسئولين على تطبيق معايير الاعتماد الدولي مستندة على أسس سليمة.
٣. ضرورة عقد برامج تدريبية خاصة بمفاهيم معايير الاعتماد الدولي وجودة الخدمات الطبية لمتخذي القرارات والعاملين في المستشفيات المعتمدة وغير المعتمدة دوليا بشكل دوري.
٤. ضرورة التعاون بين المستشفيات المعتمدة دولياً مع غير المعتمدة في تبادل الخبرات والمعلومات من أجل تحسين الوضع الصحي الأردني.
٥. ضرورة وضع منهج واضح لكل نظام من أنظمة الاعتمادية من خلال الإدارة العليا في كل مستشفى معتمد دولياً أو غير معتمد في الأردن ووضعه موضع التطبيق.
٦. وضح مساق في كليات المهن الطبية يتعلق بتدريس الجودة ونظام الاعتماد.

١٠- المقترحات

قد يكون من المفيد في مجال هذه الدراسة اجراء دراسات مستقبلية تتعلق بما يلي:

١. أثر تطبيق معايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد على رضا المرضى عن الخدمات الطبية المقدمة من المستشفيات.
٢. أثر تطبيق معايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد على السياحة العلاجية في الأردن بشكل خاص وفي الوطن العربي بشكل عام.
٣. أثر معايير اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد على اختيار المريض لمؤسسة طبية لكي يتعالج فيها سواء داخل بلده او خارجها.
٤. واقع برامج الاعتماد العربية وامكانية ان تنافس البرامج الدولية في جذبها للمؤسسات الصحية
٥. أثر برامج الاعتماد وتطبيق معاييرها على تحسن رضا العاملين من خلال استمرار اشراكهم في اتخاذ القرار وتحسين جودة عملهم

مراجع الدراسة:

حسان، ضيا (٢٠٠٦). Measuring Quality Performance in Health Care: The Effect of Joint Commission International Standards on Quality Performance. PhD, Walden University

الحموري، فوزي (٢٠٠٩)**Jordan as medical destination a spotlight on middle east**، ميدهيلث، دمشق تشرين ثاني، ٢٠٠٩

خوجة، توفيق بن أحمد(٢٠١٠) **معجم جودة الرعاية الصحية تفسير المصطلحات**، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة العرب، الطبعة الثانية

سنجق، غالب(٢٠٠٩) **أثر تطبيق معايير شهادة الاعتماد الدولية على رضا العاملين في المستشفيات الخاصة في الاردن**، جامعة العلوم المالية والمصرفية

القاسم، ليث (٢٠١٠) **The Impact of JCI Accreditation of Jordan's Medical Tourism Potential**، مؤتمر مجلس اعتماد المؤسسات الصحية، الاردن حزيران ٢٠١٠

القسوس، صفاء(٢٠٠٨) **Impact of Arab Accreditation Project on Patient Safety**، مؤتمر المستشفيات العربية، مصر، اذار ٢٠٠٨

اللجنة الفنية للمشروع العربي لاعتماد المؤسسات الصحية(٢٠٠٩) **دليل المراجعين لاداة الاعتماد العربية للمؤسسات الصحية**، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة لدول مجلس التعاون، الطبعة الاولى

مخيمر، عبد العزيز، والطعانة، محمد(٢٠٠٣). **الاتجاهات الحديثة في ادارة المستشفيات (المفاهيم والتطبيقات)**، منشورات المنظمة العربية للتنمية الادارية

مركز الملك عبد الله الثاني للتميز(٢٠١٠)**كتيب جائزة الملك عبدالله الثاني للتميز للقطاع الخاص**

المصري، سحر(٢٠١٠) Impact of Accreditation on hospital performance: Specialty Hospital Experience، مؤتمر مجلس اعتماد المؤسسات الصحية، الأردن، حزيران ٢٠١٠

نياز، عبد العزيز حبيب الله (٢٠٠٥). **جودة الرعاية الصحية الاسس النظرية والتطبيق العملي**، وزارة الصحة السعودية، الطبعة الاولى

Beaard,Helen(2010) **Accreditation and Responsibility, Accountability and Transparency Towards the Public**, HCAC conference, Jordan, June 2010

Berwick,D ,Hames B& Coye , M (2oo3)**connections between quality measurement and improvement. medical care**, Vol 41,No1,pp. I-30-I-38

Besterfield,D. et al. (2002)**Total Quality Management**.3rd Edition. Prentice Hall

Brown ,Janet A., **The Healthcare Quality Handbook: A Professional Resource and Study Guide**. 2006/2007.utledge.

Burke,J(2003)**Infection control-A problem for patient safety**. The New England Journal of Medicine, Vol 348,No 7,PP 651-656

Cheng,S , Yang ,M & Chiang, T (2003) **patient satisfaction with and recommendation of hospital: effects of interpersonal and technical aspects of hospital care. International journal for quality in health care**, Vol 15,No 4,PP.345-355

Draper,M , Cohen, P & Buchan H (2001)**Seeking consumer views: what use are results of hospital patient satisfaction surveys?**. International Journal for Quality in Health Care, Vol 13, No 6, PP.463-468

Jacobson,Ann(2010) **The Role of Leaders in Creating a Culture of Patients Safety**, Jordan ,June 2010

Jha,A. et al. (2008)**Patients' perception of hospital care in the united states. The New England Journal of Medicine**, Vol 359,No18,PP.1921-1931

Johnston, Brian (2010) **The Australian Council on Healthcare Standards**, HCAC conference, Jordan, June 2010

Joint commission international accreditation standards for hospitals,2011

Joint commission international accreditation standards for hospitals,2008

Milstein, A and smith M.(2006) **America's New Refugees-seeking Affordable surgery offshore**. The New England Journal of Medicine, Vol 355,No 16, PP.1637-1640

Oxford Business Group(2009), **The Annual Report**.

Rana, B. K (2010) **NABH:Indian Accreditation Program**, HCAC conference, Jordan, June 2010

Romano, P. (2005**) improving the quality of hospital care in America. The New England Journal of Medicine**, Vol 353,No3, PP. 302-304

Scott,W, (2003) **Organizations rational, natural and open systems**.5th edition. New Jersey: Prentice Hall

The Joint Commission on Accreditation of Healthcare Organization(1998), **Medication Use: A Systems Approach to Reducing Errors,** P 39-41

The Joint Commission Resources(2001), **Front Line of Defense: The Role of Nurses in Preventing Sentinel Events**, Joint Commission Resources publications, P. xvii – xix

The Joint commission Resources(2001),**Medical Staff Performance Improvement**, Joint Commission Resources publications, P.10-11, 64-65

Williams,S. et al.(2005) **Quality of care in U.S hospitals as reflected by standardized measures**,2002-2004. The New England journal of Medicine, Vol 353,No3, PP 255-264

1. **http://www.jointcommissioninternational.org/**
2. **http://www.hcac.jo/**
3. **http://www.pha-jo.org/**
4. **http://www.isqua.org/**
5. **http://www.who.int/hinari/en/**
6. **http://www.uptodate.com**

****

أمارابك: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ١٣٥-١٤٤

الفساد الاقتصادي وأثره على الأداء الاقتصادي في السودان

الفاتح محمد عثمان مختار (*)

الملخص: تناول هذا البحث بالوصف والتحليل الفساد الاقتصادي وأثره على الأداء الاقتصادي في السودان، مبيناً لمفهوم الفساد الاقتصادي، وموضحاً لأسبابه وأنواعه، ومحللاً لآثاره على الأداء الاقتصادي في السودان. جاءت أهم النتائج التى توصل إليها البحث بأن استشراء ظاهرة الفساد الاقتصادي في السودان أدت إلى زيادة معدلات البطالة والفقر، كما أوضحت النتائج أيضاً أن أسلوب الترضيات السياسية مع المسلحين أدى إلى عدم الاستقرار السياسي وهروب الاستثمارات الاجنبية إلى خارج السودان مما أثر سلباً على ميزان المدفوعات. كما أبرزت النتائج أن التركيز على الإنفاق على القطاعات التى تضمن استمرار السلطة والنفوذ وإهمال الإنفاق على القطاع الزراعي أفقد السودان ميزة التواجد في الأسواق الخارجية والمنافسة فيها. و جاءت التوصيات بضرورة العمل على تشغيل الطاقات العاطلة، والعمل على إيقاف أسلوب الترضيات السياسية مع المسلحين، واتباع الأساليب الحاسمة معهم، بالإضافة إلى التركيز على الإنفاق على القطاع الزراعي حتى يعود السودان للظهور في الأسواق الخارجية والمنافسة فيها.

الكلمات المفتاحية: الفساد الاقتصادي، الأداء الاقتصادي، السودان.

Economic Corruption and its Impact on Economic Performance in Sudan

Elfatih M. Osman Mukhtar

Abstract: This research describes and analyses the economic corruption and its impact on economic performance in Sudan, indicating the concept of economic corruption, and explaining the causes and types, and analyzing its economic performance on the Sudan. The most important findings are the spread of the phenomenon of economic corruption in Sudan, led to an increase of unemployment and poverty. The results also showed that the method of political compromises and courtesy with the rebellions who could threaten the national security of the regime led to the political instability and the flight of foreign investment to the outside Sudan, which have a negative impact on the balance payments. The results also revealed that the focus on spending on sectors that guarantee the continuation of power and influence and the neglect of spending on the agricultural sector, Sudan will lose the advantage of presence and competition in the foreign markets. The recommendations included the necessity to employ the idle energies and to work to stop the method of political courtesy with the militants , and applying decisive and deterrent methods with them. The focus also should be on spending on agricultural sector to get back Sudan to appear and compete in the foreign markets.

Keywords: Economic Corruption, Economic Performance, Sudan.

(*) استاذ الاقتصاد والتجارة الدولية المساعد ، جامعة الطائف ، المملكة العربية السعودية ، drelfatih@hotmail.com

المقدمة:

يعاني العالم اليوم الكثير من الأزمات والمشاكل الاقتصادية التي تؤرق المخططين وصانعي السياسة الاقتصادية في الدول المختلفة، ومن هذه المشاكل ظاهرة الفساد الاقتصادي والذي تعاني منه جميع الدول المتقدمة والنامية على حدا سواء. وقد انتشرت هذه الظاهرة في بلدان العالم النامي ووفقاً لتقارير منظمة الشفافية العالمية فإن الفساد في العالم النامي يتجاوز نصف الفساد العالمي.[١]

إن الفساد الاقتصادي أصبح مشكلة خطيرة وظاهرة مرضية مستعصية يهدد البلدان النامية بعد أن تفشت جرائمه وزادت معدلاته، وهذا يرجع إلى ضعف الوازع الديني في المقام الأول ثم ثانياً يعود إلى مسألة قصور التدابير اللازمة لعلاج مشكلة الفساد الاقتصادي من ضعف وانعدام الثقة في التشريعات والقوانين الجنائية بالبلدان النامية وضعف آليات المساءلة والشفافية، وهذا ما أدى إلى انتشار الفساد في الدوائر الحكومية وقطاع الأعمال العام والخاص وتحول إلى سلوك متعارف عليه منح المكاسب غير المشروعة للمسئولين في الوظائف المختلفة وفي المقابل ألحق الخسائر الاقتصادية ببلدان أولئك المسئولين والتي تتمثل في الهدر الاقتصادي للموارد المادية والمالية لمجتمعاتهم.[٢]

مشكلة البحث:

أشار تقرير منظمة الشفافية الدولية International Transparency المعنية بمراقبة ممارسات الفساد والحث على مكافحته وتطويقه في تقريرها عن الفساد العالمي لعام ٢٠١٢ إلى أن السودان يعد ثاني أفسد دولة في العالم العربي بعد الصومال، وجاء ترتيب السودان في المركز (١٨) من (١٩) دولة في مؤشر مدركات الفساد بالدول العربية، كما أشار تقرير المراجع العام السوداني لعام ٢٠١٢ إلى كمية المال العام المهدر من جراء الفساد يصل لأكثر من ١٣.٧مليار دولار مما يوضح أن هناك كثير من ممارسات الفساد كالاعتداء على المال العام وتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة، والاختلاس والنصب والرشوة والسرقة والغش وتلوث البيئة... الخ، وجود وتعدد هذه الصور من الفساد واختلافها يَضُر بالأداء الاقتصادي في السودان.

فرضيات البحث:

١. يؤدي انتشار الفساد الاقتصادي في السودان إلى زيادة معدلات البطالة والفقر.
٢. تؤدي كثرة الصراعات والنزاعات السياسية على السلطة والثروة في السودان إلى هروب الاستثمارات الأجنبية وعزوف المستثمرين من الاستثمار في السودان.
٣. تبني النخب الحاكمة في السودان لأسلوب الترضيات السياسية يتسبب في إحداث تغييرات كبيرة على مستوى السلطة والثروة تؤدي إلى حدوث اضطرابات اقتصادية واجتماعية وسياسية حادة بالبلاد.
٤. يؤدي عدم الاستقرار السياسي في السودان إلى تركيز الإنفاق على القطاعات التي تضمن استمرار السلطة وتدفق الثروة كالإنفاق على القطاع العسكري، ويؤدي إلى إهمال القطاعات الاقتصادية الحيوية كالقطاع الزراعي مما يفقد السودان ميزة التواجد في الأسواق الخارجية والمنافسة فيها ويضر ذلك بالأداء الاقتصادي بصفة عامة.
٥. ضعف آليات المراقبة والمساءلة في السودان يؤدي إلى الاعتداء على المال العام والسرقة والاختلاسات.

---

[١] تقرير منظمة الشفافية الدولية، ٢٠١٠

[٢] خلف بن سليمان النمري، الجرائم الاقتصادية وأثرها على التنمية في الاقتصاد الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩، ص٢.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الفساد الاقتصادي وأثره على الأداء الاقتصادي في السودان، من حيث مفهوم الفساد الاقتصادي، وأسبابه، وأنواعه وأشكاله، وأثره علي الأداء الاقتصادي في السودان.

منهجية البحث:

سيقوم هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي بوصف وتحليل الفساد الاقتصادي وأثره على الأداء الاقتصادي في السودان، موضحاً لمفهوم الفساد الاقتصادي في اللغة وفي الاصطلاح وعند علماء الاقتصاد الإسلامي ومبيناً لأسباب الفساد الاقتصادي وأنواعه، ومحللاً لأثر الفساد الاقتصادي على الأداء الاقتصادي في السودان.

١. مفهوم الفساد الاقتصادي:

١-١ مفهوم الفساد في اللغة:

الفساد في اللغة من الفسد فهو فاسد والمفسدة خلاف المصلحة، وهو مأخوذ من الفعل يفسد إذا ذهب صلاح الشيء، وهو نقيض الصلاح، وخروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج أو كثيراً ويقال فسد الشيء بمعنى أنه لم يعد صالحاً، وفسدت الأمور أي اضطربت، وفسد العقل بطل، وفسدت الأمور أي اضطربت وأدركها الخلل[١].

١-٢ مفهوم الفساد في الاصطلاح:

لا يخرج مفهوم الفساد في الاصطلاح عن المعنى اللغوي، حيث عرفه الإمام الفيروز أبادي بأنه " أخذ المال ظلماً، والمفسدة ضد المصلحة"[٢].

ويعرف الشيخ الصابوني الفساد على أنه العدول عن الاستقامة".

وعند أكثر العلماء: الفاسد مرادف للباطل، وكل باطل فاسد، ووردت كلمة الفساد في القرآن الكريم ما يقارب خمسين مرة بصيغ وأساليب مختلفة تندد بالفساد وتبين خطورته، كما وردت في الأحاديث النبوية الشريفة، وفي كلام العرب، وجميعها تدل على أن الفساد ضد الصلاح.

١-٣ بعض التعاريف المختارة للفساد:

يطلق لفظ Corruption بالإنجليزية الفساد وهو مشتق من الفعل اللاتيني rumpere بمعنى الكسر أي شيئاً ما تم كسره، وسعياً منا لتعريف الفساد حاولنا إعطاء مجموعة من التعاريف لبعض المفكرين الغربيين والعرب، وحتى بعض المنظمات الدولية مثل البنك الدولي حيث وجدناها تختلف فيما بينها وفقاً لطبيعة ظاهرة الفساد:

- الفساد انحراف أخلاقي لبعض المسئولين العموميين.
- الفساد هو بيع أملاك الدولة بواسطة المسئولين الحكوميين لتحقيق المصالح الشخصية.
- الفساد هو الاستغلال السيئ للوظيفة العامة أو الرسمية من أجل تحقيق المصلحة الخاصة.
- الفساد هو أسلوب من أساليب الاستغلال الاجتماعي المصاحب لحيازة القوة الرسمية داخل التنظيمات الإدارية.

فالفساد إذاً يحدث عندما يقوم موظف بقبول طلب أو ابتزاز رشوة لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمناقصة عامة، كما يتم عندما يقوم وكلاء أو وسطاء لشركات عمومية أو خاصة بتقديم رشاوي للاستفادة من إجراءات عامة للتغلب على منافسين، بمعنى تحقيق أرباح خارج الإطار

---

[١] شيبوط سليمان وسبخاوي محمد، مكافحة الفساد الاقتصادي من منظور إسلامي، بحث مقدم للملتقى الدولي الأول لمعهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر، ٢٣-٢٤ فبراير ٢٠١١.

[٢] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٤، ص ٣٢٠.

القانوني المتفق عليه، كما يحدث الفساد عن طريق استغلال الوظيفة العامة دون اللجوء إلى الرشوة وذلك بتعيين الأقارب في الوظائف بطرق غير قانونية، ونهب أموال الدولة[١].

وأينما كان الأمر فإن الإفساد يمكن أن يراد به[٢]. الانحراف عن الطريق المستقيم بما يتنافى مع الديانات السماوية ومبادئ الأخلاق السوية. وضده الإصلاح والصلاح، وهو التعمير والذي ذكره الحق تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز وطلبه من عباده، قال تعالى(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِيّ قَرِيبٌ مُجِيبٌ) هود: الآية٦١.

١-٤ الفساد الاقتصادي عند علماء الاقتصاد الإسلامي:

في الحقيقة لم يكن هناك تعريف واضح للفساد عند المحدثين من علماء الاقتصاد الإسلامي ولكننا على ضوء الأحكام السياسية والقواعد الاقتصادية العامة التي جاء بها القرآن الكريم، وجاءت السنة النبوية مفسرة وموضحة لها، ومن خلال اجتهاد الفقهاء في مجال عقود المعاملات، وما يرتبط بها من النشاط الاقتصادي بالوقوف على ما قدمته الممارسة الاقتصادية في صدر الإسلام وبخاصة في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز من رخاء اقتصادي حيث بلغت الدولة الإسلامية الغنى ما زاد عن حاجات المسلمين. فإنه يمكننا أن نتوصل إلى تعريف للفساد من وجهة نظر علماء الاقتصاد الإسلامي فنقول بأنه:[٣] جعل الجانب المادي الهدف الوحيد للنشاط الاقتصادي الذي يمارسه الإنسان المعاصر دون مراعاة للقيود الشرعية التي تنظم أحكام المال، أو الالتفات للجوانب الأخرى التي يكتمل بها البناء الاقتصادي كالقيم والمبادئ الأخلاقية الروحية.

وبعبارة أخرى فإن الفساد الاقتصادي يتمثل في التركيز أثناء الممارسة الاقتصادية عملاً وإنتاجاً وتوزيعاً على جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية وإهمال الجوانب الأخرى، كعدم الالتزام الكامل بالأحكام الشرعية المنظمة لتحصيل المال وكيفية تنميته وإنفاقه، وكذلك عدم أداء الحقوق الواجبة في المال وإساءة التصرف في التعامل بما يضر بمصالح النظام الاقتصادي السليم من جوهره الذي يقوم عليه، ويفرغ مساره التطبيقي من وسائله المشروعة التى تكفل له الوجود الحقيقي والأداء المنشود.

٢. أسباب الفساد الاقتصادي:

٢-١ الأسباب الاجتماعية:

يُفسر المدخل الاجتماعي الفساد بعوامل اجتماعية ثقافية بحتة، حيث يعتبر أن الفساد والسلوك المنحرف لا ينشأ في الغالبية نتيجة بواعث ودوافع فردية للخروج على الضبط الاجتماعي، بل على العكس يشكل جنوحاً اجتماعياً هو حصيلة تعاون كل من النظام الاجتماعي، وثقافة المجتمع على نشوئه وتطوره، أي أنه يعيد مظاهر الفساد إلى البيئة الاجتماعية وبنية العلاقات السائدة بين الناس ومظاهر الاضطراب والخلل في البناء الاجتماعي وسيادة رموز ثقافية منحرفة تتغلغل في مؤسسات المجتمع ونظمه المختلفة، وبذلك يكون التركيز على ما يسمى (بفلكلور الفساد) الذي يجعل الناس يتصورون ويعتقدون أن هذا الفساد واقع أفرزته الثقافة.

وللتدليل على هذه الفكرة، فإن المجتمعات النامية تتميز بسمات تجعل احتمال حدوث الفساد فيها أكبر مقارنة مع المجتمعات الأخرى، فهي مجتمعات تقدس العادات والتقاليد وتشدد على

---

[١] منصوران سهيلة، الفساد الاقتصادي وإشكالية الحكم الراشد وعلاقتهما بالنمو الاقتصادي – دراسة اقتصادية تحليلية – حالة الجزائر– بحث تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦، ص٠٤.

[٢] أسامة السيد عبد السميع، الفساد الاقتصادي وأثره على المجتمع – دراسة فقهية مقارنة - دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٩، ص ١٨.

[٣] رشاد حسن خليل، الفساد في النشاط الاقتصادي (صوره وآثاره وعلاجه) ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠٠٥، ص١٢.

السلطة بالمولد وليس بالجدارة وتميل إلى العقوبات الاجتماعية أكثر من القانونية، وتنتشر فيها الولاءات الخاصة كالولاءات الأسرية والحزبية والقبلية، وارتباط الفرد بأقاربه والقبيلة التى ينتمي إليها وما يتعلق بذلك من فكرة الواجب وحقوق المجتمع[١].

٢-٢ الأسباب السياسية:

يشكل الفساد السياسي قمة الهرم بين أنماط الفساد المختلفة فهو النمط الأخطر كونه يتعلق بالنخبة والسلطة السياسية، حيث تعرفه منظمة الشفافية الدولية بأنه إساءة استخدام سلطة مؤتمنة من قبل مسئولين سياسيين من أجل مكاسب خاصة بهدف زيادة السلطة أو الثروة، ولا يشترط أن يشمل تبادلاً للمال فقد يتخذ شكل تبادل النفوذ أو منح تفضيل معين[٢] .

ومن أهم الأسباب السياسية هي غياب القدوة السياسية أي ضعف الإرادة لدى القادة السياسيين في محاربة الفساد نظراً لانغماسهم أو بعض منهم بقضايا الفساد أو عدم تفعيلها لإجراءات الوقاية من الفساد وتعميق ما يسمى بثقافة النزاهة وسيادة القانون وتفشي البيروقراطية الحكومية والمغالاة في مركزية الإدارة الحكومية، بالإضافة إلى ضعف أداء السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

٢-٣ الأسباب الاقتصادية:

لا يمكننا حصر كل الأسباب الاقتصادية التي أدت إلى ظهور الفساد الاقتصادي، وسنحاول أن نقدم أهمها فيما يلي:-

١. اتساع الدور الاقتصادي للدولة حيث أن اتساع تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية يعد أحد العوامل الرئيسة لظهور الفساد لأن الأفراد يميلون بطبيعتهم إلى منح الرشوة للمسئولين لتخطي القواعد والنظم والإجراءات العامة الروتينية، وهناك من المسئولين من يخفق في رفض تلك الرشاوي، وعليه فإن وضع بعض القيود والقواعد أو التنظيمات على استغلال الموارد الاقتصادية في المجتمع في أيدي المسئولين يمنحهم قوة احتكارية في إعطاء الرخص والتصاريح وحقوق الإنتاج أو التسويق...الخ، مما يمكن المسئولين من ممارسة أشكال الفساد المختلفة وبشتى الصور للحصول على المكاسب الخاصة.

٢. ومن بين الأسباب الاقتصادية كذلك الفقر والأجر المتدني والبطالة، حيث يعد الفقر والبطالة وتدني معدلات الأجور من الأسباب التي تؤدي إلى انتشار بعض مظاهر الفساد مثل الرشوة، والاعتداء على المال العام، والنصب والاحتيال والغش، وتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة.

٣- أنواع الفساد الاقتصادي:

يمكن تصنيف الفساد إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي:

أ. عرضي (فردي).

ب. مؤسسي.

ج. منتظم

يكون الفساد أحياناً حالة عرضية لبعض الأفراد السياسيين أو الموظفين العموميين، أو مؤقتاً وليس منتظماً.

---

[1]- Werlin, Herbert H, Poor Nations, Rich Nations: Atheory of Governance , public Administration Review, Vol63, Issue,3, 2003.p331.

[2]- Hodess, Robin, Introduction in global Corruption Report 2004, Transparency International, P11.

وفي حالات أخرى يكون الفساد موجوداً في مؤسسة بعينها أو في قطاعات محددة للنشاط الاقتصادي دون غيرها من القطاعات الأخرى، وذلك كوجود بعض الموظفين الرسميين الفاسدين في بعض الوزارات والقطاعات المختلفة.

ويكثر الفساد في القطاعات التي يسهل جني الريع منها، حيث يسود الضعف في النظام وتضعف الرقابة والتنظيم في هذه القطاعات.

وفي أحيان أخرى يصبح الفساد ظاهرة يعاني منها المجتمع بكافة طبقاته ومختلف معاملاته، وهذا ما يعرف بالفساد المنتظم أو الممتد [١].

وهذا الفساد يؤثر على المؤسسات وسلوك الأفراد على كافة مستويات النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي وله ملامح تميزه عن غيره.

أ. إنه متجسد في بيئات ثقافية واجتماعية معينة.

ب. يميل إلى أن يكون احتكارياً.

ج. إنه فساد منظم ويصعب تجنبه.

وخلاصة القول إن للفساد أشكال كثيرة، فقد يكون فردياً أو مؤسسياً أو منتظماً، وقد يكون الفساد مؤقتاً أو في مؤسسة معينة أو قطاع معين دون غيره وأن أخطر هذه الأنواع هو الفساد المنتظم حين يتخلل الفساد المجتمع كاملاً ويصبح ظاهرة يعاني منها هذا المجتمع.

٤. انعكاسات الفساد الاقتصادي على الأداء الاقتصادي في السودان:

لا شك أن الفساد الاقتصادي لديه آثاراً سيئة، وأضراراً اجتماعية واقتصادية خطيرة على المجتمعات النامية ومنها السودان، فقد أدى استشراء ظاهرة الفساد الاقتصادي في السودان إلى زيادة معدلات البطالة والفقر في المجتمع، والتي يحدث عنها مشاكل ومفاسد اجتماعية واقتصادية خطيرة من تدمير للموارد البشرية نفسها، والموارد الطبيعية زراعية كانت أو معدنية[٢].

ويشير مؤشر الفساد لمؤسسة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٢ [٣] إلى أن السودان احتل المركز الثاني في قائمة أكثر الدول العربية فساداً بعد الصومال، وجاء ترتيب السودان في المركز(١٨) من (١٩) دولة في مؤشر مدركات الفساد بالدول العربية قبل الصومال التي جاءت في المؤخرة. كما أن السودان يحتل المرتبة (١٧٣) عالمياً في مؤشر الفساد مقارنة بالمرتبة (١٧٧) في عام ٢٠١١، مما يؤكد تفشي ظاهرة الفساد في السودان. والجدول رقم (١) يوضح ذلك.

الجدول رقم (١)

مؤشر مدركات الفساد في الدول العربية

الترتيب عالمياً ٢٠١٢	ترتيب ٢٠١١	البلـــــــــــد	النقاط
٢٧	٢٢	قطر	٦٨
٢٧	٢٨	الإمارات	٦٨
٥٣	٤٦	البحرين	٥٦
٥٨	٥٦	الأردن	٥١
٦١	٥٠	عُمان	٤٨
٦٦	٥٤	الكويت	٤٧
٦٦	٥٧	السعودية	٤٤
٧٥	٧٣	تونس	٤١

[1-] Johnston, M.,1997, "What can be done about Enternched corruption?" paper presented to the Ninth Annual Bank conference on Development Economics, the world Bank, Washington DC., 30 April – I May.

[٢] خلف سليمان النمري، ص٢ ،(بتصرف).

[٣] - تقرير منظمة الشفافية الدولية، ٢٠١٢.

٨٨	٨٠	**المغرب**	٣٧
١٠٥	١١٢	**الجزائر**	٣٤
١١٨	١١٢	**مصر**	٣٢
١٢٣	١٤٣	**موريتانيا**	٣١
١٢٨	١٣٤	**لبنان**	٣٠
١٤٤	١٢٩	**سوريا**	٢٦
١٥٦	١٦٤	**اليمن**	٢٣
١٦٠	١٦٨	**ليبيا**	٢١
١٦٩	١٧٥	**العراق**	١٨
١٧٣	١٧٧	**السودان**	١٣
١٧٤	١٨٢	**الصومال**	٨

المصدر: تقرير منظمة الشفافية الدولية، ٢٠١٢.

وأشار تقرير المراجع العام السوداني لعام ٢٠١٢ إلى أن كمية المال العام المهدر جراء الفساد يصل لأكثر من ١٣.٧ مليار دولار[١]، وهذا المبلغ قد يوازي حجم العجز في موازنة عامين متتالين حكى عنها السيد وزير المالية. وأكد المراجع العام أن هناك مبالغ فقدتها خزينة الدولة للعام ٢٠١٢ جراء الاعتداء على المال العام، وهذا ما أوضحته منظمة الشفافية العالمية عن وجود الفساد المالي في السودان.

كما أن السودان تكثر فيه الصراعات والنزاعات السياسية الداخلية من أجل الظفر بالسلطة والثروة، وترتب على عدم الاستقرار السياسي وسوء الإدارة هروب الاستثمارات الأجنبية وعزوف المستثمرين من الاستثمار في السودان مما جعله يعاني من نقص حاد في النقد الأجنبي أدت إلى ظهور الكثير من مظاهر الفساد في سوق الصرف الأجنبي ترتب عليها انقسام هذا السوق إلى سوقين سوق رسمي يسوده السعر الرسمي للصرف الأجنبي، وسوق غير رسمي يسوده سعر غير رسمي للصرف أعلى من السعر الرسمي بكثير ويتميز هذا السوق بالحركة والنشاط في شراء العرض المتاح من النقد الأجنبي، ويتم توجيه هذا النقد إما إلى تمويل أنشطة غير مخططة أو تمويل أنشطة غير مرغوب فيها من وجهة نظر المجتمع، مما يفضي في النهاية إلى زيادة عجز ميزان المدفوعات واستمراريته.

وقد ساهمت التغييرات الكثيرة في السلطة والثروة بين أفراد النظام الحاكم على مستوى الوزراء والمستشارين والولاء وبعض المسئولين في السودان إلى إحداث اضطرابات اقتصادية واجتماعية وسياسية عميقة وحالة من الاستياء والتذمر كخاصية عادية للحياة في المجتمعات النامية، والسبب في ذلك هو أن توزيع الثروة والسلطة والامتيازات في المجتمع برمته لا يحظى دائماً بقبول واسع النطاق، إذ يسهل نسبياً على أي فصيل نخبوي مستبعد من الحكومة أن ينشق سياسياً ويبدأ حركات النهب المسلح والسرقة والاغتصاب وهتك الأرواح من أجل لفت انتباه الحكومة والمواطنين مما يؤدي في النهاية إلى تبني النخب الحاكمة أسلوب الترضيات السياسية مع المسلحين الذين بإمكانهم أن يهددوا الاستقرار السياسي للنظام، وهذا هو السبب الأساسي في عدم الاستقرار السياسي في السودان، إذ يشهد السودان كثير من الحركات المسلحة في الغرب والشرق تهدد الأمن القومي السوداني وتجعل من السودان دولة غير جاذبة للاستثمارات الخارجية، وحتى المحصولات التي كان السودان يتميز فيها بميزة نسبية في التصدير فقدها كالسمسم والقطن والصمغ العربي بسبب عدم الاستقرار السياسي وانصراف المزارعين عن الزراعة لقلة الدعم والإنفاق على القطاع الزراعي، والتركيز على الإنفاق على القطاعات التى تحقق استمرار السلطة وتدفق الثروة مما كان سبباً في سوء توجيه الموارد واتجاه الإنفاق صوب أوجه الإنفاق التى لا تحظى بأولوية الإنفاق العام والدليل على ذلك تم إغفال الكثير من الأنشطة والقطاعات الاقتصادية الهامة كالإنفاق

[١] تقرير المراجع العام السوداني، ٢٠١٢.

على القطاع الزراعي والصناعي والإنفاق على تحسين مستوى المناطق الريفية والنائية مما تسبب في الإقبال الكبير على العاصمة الخرطوم وجعلها تئن من شدة الزحام والفوضى وانتشار الكثير من مظاهر الفساد كالسرقة والغش والرشوة والنصب والاحتيال وتلوث البيئة.

ولا شك أن تفشي هذه الممارسات والصور من الفساد قد أضر كثيراً بالأداء الاقتصادي في السودان [١].

الخاتمـــــــة:

تم إلقاء الضوء على الفساد الاقتصادي وأثره على الأداء الاقتصادي في السودان، وقد تناول البحث مفهوم الفساد الاقتصادي، والذي احتوى على تعريف الفساد في اللغة وفي الاصطلاح، وبعض التعاريف المختارة للفساد، وتعريفه عند علماء الاقتصاد الإسلامي، ثم تناول ثانياً أسباب الفساد الاقتصادي، وثالثاً أنواعه، وتطرق رابعاً لأثر الفساد الاقتصادي على الأداء الاقتصادي في السودان.

ظهر من البحث أن الفساد الاقتصادي لديه آثاراً سيئة ويحقق أضراراً اقتصادية واجتماعية خطيرة على المجتمعات النامية، فقد أدى استشراء ظاهرة الفساد الاقتصادي في السودان إلى زيادة معدلات البطالة والفقر. كما أشار تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٢ إلى أن السودان احتل المركز الثاني في قائمة أكثر الدول العربية فساداً بعد الصومال مما يوضح تفشي ظاهرة الفساد في السودان، والذي أشار إليه تقرير المراجع العام لعام ٢٠١٢ إلى أن كمية المال العام المهدر جراء الفساد يصل لأكثر من ١٣.٧ مليار دولار، الأمر الذي يوضح أن حجم الفساد المالي في السودان وصل أرقاماً كبيرة مما يدعم ويؤكد تقرير منظمة الشفافية الدولية.

كما عانى السودان وما زال يعاني من الصراعات والنزاعات السياسية الداخلية من أجل الظفر بالسلطة والثروة مما تسبب في هروب الاستثمارات الأجنبية بالبلاد إلى دول أخرى وعزوف الكثير من المستثمرين من الاستثمار في السودان، الأمر الذي أدى إلى نقص حاد في النقد الأجنبي أفضى في النهاية إلى زيادة عجز ميزان المدفوعات واستمراريته.

كما أن تبني النخب الحاكمة أسلوب الترضيات السياسية مع المسلحين الذين بإمكانهم أن يهددوا الاستقرار السياسي للنظام أدى إلى عدم الاستقرار السياسي في السودان مما جعل السودان دولة غير جاذبة للاستثمارات الخارجية وأفقده الكثير من المحصولات التي كانت تنافس في الأسواق الخارجية، والسبب في ذلك أن التهديد المستمر للمسلحين جعل الحكومة تركز على الإنفاق على القطاعات التي تحقق استمرارية السلطة والنفوذ كالقطاع العسكري وتهمل القطاعات الاقتصادية الهامة كالقطاع الزراعي والصناعي. كما أن إهمال الإنفاق على تحسين مستوى المناطق الريفية والنائية تسبب في الإقبال الرهيب على العاصمة الخرطوم بحثاً عن سبل الرزق والعيش الكريم والتعليم والصحة، مما جعل العاصمة تئن من شدة الزحام والفوضى وانتشار الكثير من مظاهر الفساد كالسرقة والغش والنصب والاحتيال والرشوة وتلوث البيئة مما أضر كثيراً بالأداء الاقتصادي في السودان.

الاستنتاجات:

١. وضح من خلال الدراسة أن الفساد الاقتصادي في السودان أدى إلى زيادة معدلات البطالة والفقر.

---

[١] مشتاق خان، دور المجتمع المدني وشبكات النصراء – الأتباع في تحليل الفساد، مؤتمر الفساد ومبادرات تحسين النزاهة في البلدان النامية، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، باريس، ٢٤-٢٥ اكتوبر ١٩٩٧، ص ١٢١، (بتصرف).

٢. يعد السودان من بين الدول العربية الأكثر فساداً، حيث احتل المركز (١٨) من (١٩) دولة في مؤشر مدركات الفساد بالدول العربية الصادر من منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٢ قبل الصومال فقط التي جاءت في مؤخرة الترتيب.
٣. أشار تقرير المراجع العام السوداني لعام ٢٠١٢ إلى أن كمية المال العام المهدر جراء الفساد يصل لأكثر من ١٣.٧ مليار دولار.
٤. ساهمت الصراعات والنزاعات السياسية الداخلية للظفر بالسلطة والثروة بشكل فاعل في هروب الاستثمارات الخارجية بالبلاد إلى دول أخرى وعزوف المستثمرين من الاستثمار في السودان، مما حرمه من النقد الأجنبي الذي كان سيأتي من جراء هذه الاستثمارات، الأمر الذي جعل ميزان المدفوعات السوداني يعاني عجزاً مستمراً.
٥. تبني النخب الحاكمة في السودان لأسلوب الترضيات السياسية مع المسلحين الذين بإمكانهم أن يهددوا الأمن القومي للنظام الحاكم هو السبب الأساسي في عدم الاستقرار السياسي في السودان، إذ يسهل على أي فصيل نخبوي مستبعد من المشاركة في الحكم أن ينشق سياسياً ويبدأ حركات النهب المسلح والسرقة وهتك الأرواح.
٦. ضعف آليات المراقبة والمساءلة في السودان كان حافز لكثير من المفسدين لنهب وسرقة واختلاس أموال الشعب والدولة.
٧. أدى عدم الاستقرار السياسي والأمني في السودان إلى تركيز الإنفاق على القطاعات التي تضمن استمرار السلطة وتدفق الثروة كالإنفاق على القطاع العسكري، وإهمال القطاعات الاقتصادية الحيوية كالقطاع الزراعي مما أفقد السودان ميزة التواجد بالأسواق الخارجية والمنافسة فيها وأضر ذلك بالأداء الاقتصادي السوداني بصفة عامة.
٨. ساهمت التغيرات الكثيرة في السلطة والثروة بين أفراد النظام الحاكم إلى إحداث اضطرابات اجتماعية وسياسية عميقة وحادة وسادت حالة من الاستياء والتذمر، والسبب في ذلك هو أن توزيع السلطة والثروة والامتيازات لا يحظى دائماً بقبول واسع النطاق.
٩. إهمال الإنفاق على تحسين مستوى المناطق الريفية والنائية في السودان تسبب في الإقبال الكبير على العاصمة الخرطوم وجعلها تئن من شدة الزحام والفوضى مما تسبب في انتشار الكثير من مظاهر الفساد الاقتصادي.

التوصيات:

١. العمل على تشغيل الطاقات العاطلة في كل من القطاع العام والخاص والسعي الجاد لعمل مشروعات للخريجين للقضاء أو التخفيف من مشكلة البطالة والفقر.
٢. إحكام الرقابة على المسئولين والموظفين في القطاع العام وتطبيق أقصى العقوبات تجاه كل من تسول له نفسه العبث بأموال الشعب للقضاء أو التقليل من المبالغ الكبيرة المهدرة من جراء الفساد في هذا القطاع.
٣. إيقاف الصراعات والنزاعات السياسية الداخلية من أجل الظفر بالسلطة والثروة لخلق بيئة استثمارية جاذبة للاستثمارات الأجنبية يستفيد السودان من وراءها من النقد الأجنبي للتخفيف من عجز ميزان المدفوعات.
٤. إيقاف أسلوب الترضيات السياسية مع المسلحين الذين بإمكانهم أن يهددوا الأمن القومي للنظام الحاكم، وإتباع الأساليب الحاسمة لكل من يهدد الأمن القومي حتى يتحقق الاستقرار السياسي.
٥. العمل على تحقيق تقدم وتطور ملموس لمكافحة الفساد في السودان لتتحسن صورة السودان في المجتمعات والمنظمات الدولية مما ينعكس بصورة ايجابية على الأداء الاقتصادي بالداخل من جراء المنح والإعانات التي تأتي من المنظمات الدولية، بالإضافة إلى قدوم الاستثمارات الخارجية للاستثمار في السودان.

٦. العمل على إيقاف تركيز السلطة بين أفراد الحزب الحاكم للحد أو التقليل من الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وإيقاف حالة الاستياء والتذمر السائدة بالمجتمع.
٧. العمل على خلق نوع من التوازن في الإنفاق على القطاعات المختلفة وتوجيه الاهتمام على القطاعات الاقتصادية الحيوية الهامة والتي يتمتع فيها السودان بميزة نسبية كالقطاع الزراعي حتى يعود السودان للظهور في الأسواق الخارجية والمنافسة فيها.
٨. الاهتمام بتطوير وتحسين مستوى المناطق الريفية والنائية وتوفير كل الخدمات وسبل العيش الكريم فيها لإيقاف الزحف الكبير نحو العاصمة الخرطوم مما يحد من مظاهر الفساد والفوضى المختلفة التي تنتشر بالعاصمة.

المراجع:

١. أسامة السيد عبد السميع، الفساد الاقتصادي وأثره على المجتمع- دراسة فقهية مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٩.

٢. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٤.

٣. بن لحسن الهواري، أثر آليات العولمة على الفساد الإداري والمالي في الدول العربية، الملتقى الوطني حول حوكمة الشركات كآلية للحد من الفساد المالي والإداري، بسكرة، جامعة محمد خيضر، ٦-٧ مايو ٢٠١٢.

٤. تقرير المراجع العام السوداني، ٢٠١٢.

٥. تقرير منظمة الشفافية الدولية، ٢٠١٢.

٦. خلف بن سليمان النمري، الجرائم الاقتصادية وأثرها على التنمية في الاقتصاد الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ١٩٩٩.

٧. رشاد حسن خليل، الفساد في النشاط الاقتصادي (صوره وآثاره وعلاجه)، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠٠٥.

٨. شيبوط سليمان وسبخاوي محمد، مكافحة الفساد من منظور إسلامي، بحث مقدم للملتقى الدولي الأول لمعهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر، ٢٣-٢٤ فبراير ٢٠١١.

٩. مشتاق خان، دور المجتمع المدني وشبكات النصراء- الأتباع في تحليل الفساد، مؤتمر الفساد ومبادرات تحسين النزاهة في البلدان النامية، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، باريس، ٢٤-٢٥ أكتوبر ١٩٩٧.

١٠. محمد ضيف الله بطانية، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية – الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٧.

١١. منصوران سهيلة، الفساد الاقتصادي وإشكالية الحكم الراشد وعلاقتهما بالنمو الاقتصادي، دراسة اقتصادية تحليلية – حالة الجزائر – بحث تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر،٢٠٠٦.

12.Hodess, Robin, Introduction in global Corruption Report 2004, Transparency International.

13.Johnston, M.,1997, "What can be done about Entrenched Corruption?" paper presented to the Ninth Annual Bank Conference on Development Economics, The world Bank, Washington DC.,30 April – 1 may.

14.Werlin, Herbert H, poor Nations, Rich Nations: Atheory of Governance, public Administration Review, Vol 63, Issue, 3,2003.

****

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www. amarabac. com
المجلد الخامس، العدد الثالث عشر (٢٠١٤). ص ص ١٤٥-١٥٤

الذاكرة الجماعية: الأصل والتفرعات

ليلى العرباوي (*)

الملخص: تشكل الذاكرة الجماعية عنصرا مهما لمقاربة الفضاء الاجتماعي لذا يتعلق الأمر هنا بالبحث في أصولها بالعودة خصيصا إلى عالم الاجتماع الفرنسي الدوركايمي موريس هالبواكس ومحاولة تفكيكها برسم حدودها بالنسبة لمفاهيم أخرى لا تقل عنها أهمية ولكنها تحمل فويرقات في المعنى كالتمثلات الفردية والجماعية والمخيال والتاريخ، الخ وهو ما يجعل اللجوء إلى مؤلفين غير متجانسين كاميلدوركايم وموريس هالبواكس وكورنيليوسكاستورياديس وبيير نورا أمرا ممكنا.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة الجماعية، الفضاء الاجتماعي ، التمثلات، أماكن الذاكرة ،المخيال.

The Collective Memory : The Origin And The Ramifications

Leila Larbaoui

Abstract: The collective memory constitutes an important element to approach social space it is why the question here is to trace his origins since the French an durkheiman sociologist Maurice Halbwachs and to try to draw its limits in relation to other concepts with which it has some little differences like individual and collective representations , imaginary, history, etc.… making the use of authors like Emile Durkheim, Maurice Halbwachs, Cornelius Castoriadis or Pierre Nora possible.

Keywords: collective memory, social space, social representations, memorial sites, imaginary .

(*) أستاذة مساعدة، جامعة سكيكدة، الجزائر، larbaoui.leila@gmail.com

المقدمة:

يندرج الاهتمام بالذاكرة والذاكرة الجماعية في علم اجتماع الذاكرة sociologie de la mémoire التي تدين بالكثير لعالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواكس وإن كان الاهتمام بها راكم الأدبيات إلى درجة تحول معها الموضوع إلى تقليعة من تقليعات الحقل الثقافي والعلمي، دفعت بالبعض للحديث عن أخطار الإفراط في الذاكرة Les excès de mémoire هذا واقع الحال لدى الغرب أما الواقع العربي وعلى النقيض يعاني من انحسار مجالات الذاكرة بل وإن جاز التعبير إلى قحط في الذاكرة بسبب عدم السماح ببروز إلا الذاكرة الرسمية من جهة والإهمال الذي تعاني منه مثل هذه المواضيع لاسيما من طرف المجتمع العلمي الذي يقدم غالبا أعمالا تحت الطلب تصطبغ بالصبغة الوظيفية في معظم الأحيان أو لانتماء الذاكرة للشعبي وللتقليد الشفوي وهو ما يضاعف إقصاءها من دائرة الاهتمام العالم. وتلبي دراسة الذاكرة عدة متطلبات معرفية ومنهجية ونفعية تسجل لفترة فاصلة في انبراء المجتمع العلمي خاصة علماء الاجتماع وهالبواكس أحدهم وأولهم عن التاريخ الكوني والتفاتهم إلى التاريخ الشخصي، دون الوقوع في علم النفس، لأن الذاكرة وهي موضوع الحديث هي قبل كل شيء جماعية لذلك يبين هالبواكس بكثير من العناية ميكانيزمات الانتقال من الذاكرة الشخصية أو الفردية إلى الذاكرة الجماعية. إن هذا الانبراء هو في نهاية المطاف انعكاس للاهتمام ليس بالتاريخ المجرد، الحدثي الكوني وإنما بالتاريخ الطويل لمدرسة الحوليات إذ كان هالبواكس عضوا فيها، والتي تمثل ذروة تأثر علم التاريخ والدراسات التاريخية بعلم الاجتماع وبتأثير دوركايمي. دون أن نهمل وضعية هالبواكس نفسه كيهودي. إننا نعرف أن التحولات الكبرى التي عاشتها أوروبا والتي تعد بالكثير أي بتحولات أكثر تجذرا وعلى المدى الطويل جعلت الجميع ينخرط في موجات وحركات تاريخية بدأت تشعر الأقليات حيالها بالخطر على وجودها لأن هذا الطوق أو الطوقان إلى العالمية مع ما رافقه من أحداث ما كان ليترك مكانا ولو صغيرا حيال الاهتمام بأمور كانت حينذاك ثانوية.

1/ بدايات منشأ تقليد الاهتمام بالماضي:

تتكاثر في الفضاء الثقافي الغربي الأدبيات التي تجعل من الماضي مركز انشغال وتعمل على استحضاره أو جعله يطفو إلى السطح كلاوعي زمني أخفت تحت وطأ الأحداث المتلاحقة وتفاصيل شتى ولم يعد التاريخ المعرفة الوحيدة المؤهلة للحديث باسم الماضي والذي جعل هذا الأمر ممكنا العلاقة المميزة مع الكتابة في زمن معين من تاريخ تطور المجتمعات الغربية والتي تلتها علاقة لا تقل نوعية مع الصورة بحيث أصبحت الذكريات ظاهرة ذكراوية Phénomène mémoriel تتعاطى معها أجناس عديدة من الكتابة والتعبير من محاولات وشهادات ومذكرات[1]وأفلام وأفلام وثائقية.

وبالتالي أصبح استدعاء الذاكرة convocation de la mémoire سيرورة وقائية حينا وإنقاذية حينا آخرا، تحاط بكوكبة من الطقوس وبهالة من التعظيم خصوصا في الفضاء الذي تتكاثر فيه الذاكرات المتصارعة وحتى الذاكرات والذاكرات المضادة كالذاكرة والذاكرة الضد/ الضدية. يأخذ الماضي في حضوره تجليات متباينة إذ يكون إما على شكل تاريخي أو على شكل أدبي أو في عبر وأمثال أو في ا لسرد الشخصي كقصة الحياة. ليكون بذا أثرا أو نمنمة على تراب هو آيل

بالضرورة وفي النهاية لتغيير المكان مكانه داخل الزمان (وعليه الزمان تحذف) ومنه ضرورة استقائه مرات عديدة لترصد ما يطرأ عليه من تغيرات. خاصة أن الذاكرة تشكل ملاذا للمتذكر يتم فيها استثارة ماض تغيب فيه الدولة وكل سلطة لتحضر في أشكال أخرى ربما وأين للراوي سلطة على الكلمات ليكون هو عاهلها الوحيد، تلك هي آليات الذاكرات الجمعية كما يصفها لوقوف أنها رافضة للتسلسل وأسطورية عند وجيه كوثراني[2]. أي خالطة للأزمنة Anachronique.

إن تمردها على الخط الزمني لا يقذف بها، بأي حال من الأحوال، خارجه فالزمن يخدم الذاكرة كما يخدم السائل من طرف الوعاء. لنصغي إلى بروست عندما يتحدث عن الساعة" ساعة ليست فقط ساعة إنها مزهرية مليئة بالعطور وبالنقود وبالمشاريع والمناخات وما ندعوه بالواقع هو علاقة معينة بين هذه الإحساسات وهذه الذكريات التي تحيط بنا في آن معا".

إذن لا معنى للزمن دون هذا المحتوى الذي يؤثثه ولاوجود للذاكرة خارج الذكريات هذه التي تستحضر وبكل ما أوتيت من معنى النسيان بحيث لا ذكرى ولا ذاكرة دون نسيان، انه مجعول ليقويها، ليشد من أزرها بل أنها تتأسس في جوهرها ضده لذا تعود أعياد الميلاد وأعياد الزواج وذكرى الوفاة والبومات الصور لتؤجج الذاكرة تحسبا لهذا النسيان فمن الطبيعي أن نجد ذاكرة للأفراد وذاكرة للمؤسسات كذاكرة التلفزيون والمذياع والسينما والنصب التذكارية وشتى الاحتفالات.

وإذا كانت الكتابة التاريخية تختزل الكثير من الأخطاء المحدقة والاستقصاء التاريخي يصدق ويصادق على الواقعة التاريخية مما يجعل التاريخ صاحب أهلية مقارنة بالذاكرة لان هذه الأخيرة مستعص التعاطي معها من حيث تعقد أساليب التذكر[3] والشك الذي يساورنا فيما يتعلق بثقة الشهادات.

على أساس أن كليهما ينتمي إلى علم ا لماضي المنصرم كما تفضل سوزان سليمان القول إذ لم يعد المختصون في الزمن العتيق spécialistes du révolu يأنفون من الاهتمام بالماضي

لا من وجهة نظر التاريخ كعلم وإنما أيضا من وجهة نظر التذكر ويخططون للتعاون معا من أجل إحاطة أوسع وأعمق بهذا الذي يشغلنا رغم أنه لم يعد حاضرنا وعلينا ألا نفهم أنه لم يعد موجودا بين ظهرانينا .أبعد من ذلك قام العديد من المؤرخين بتناول الذاكرة بالدراسة على أنها لم تكن تكون حصريا موضوعا لهم أو موضوعهم الحصري .المؤرخون الذين ينصبون أنفسهم المحرضين[4] والحكام والمعلقين على التاريخ.

وعلى هذا النحو لم يعد هنالك مانع موضوعي يقف حاجزا أمام تحول الذاكرة بشقها الشخصي والذاتي إلى موضوع للمساءلة العلمية من طرف مختلف العلوم الاجتماعية وان تواجه وتواجه طاقم الأدوات العلمية وهو ذات الطريق الذي سلكته الحادثة التاريخية قبلها لترتقي من مجرد حدث إلى مقام الحادثة.

2/ جهود هالبواكس في نحت مفهوم الذاكرة الجماعية:

يعود الفضل في معلمة مبحث الذاكرة الجماعية كما سبق ذكره إلى هالبواكس ليغدو بعدئذ من المباحث الحاضرة بقوة في حقل العلوم الاجتماعية على اختلاف زوايا الرؤية وأساليب التناول.

وكسلفه أستاذه دوركايم دأب هالبواكس في نصوصه على افتكاك الذاكرة من فضاء علم النفس الفردي ليقحمه وعلى غير العادة في فضاء علم الاجتماع مطلقا عليه تسمية الذاكرة الجمعية /الجماعية فاتحا به تموقعا علميا ضمن أفاق جديدة وغير أليفة فرضت نفسها في أحايين كثيرة على المؤرخين أنفسهم كموضوع حري بالمعالجة بعدما بقيت طويلا على تخوم علم التاريخ خاصة وتخوم العلم عامة. لذا لم يعد من الغريب على البتة أن نشاهد

مؤرخين يتناولون بالدراسة أماكن الذاكرة Lieux de mémoireالتي تشكل الأرضية الخيالية لأمة أو طبقة اجتماعية. [5] اعتراف ثمين بما للذاكرة من أهمية في بناء الهوية أو مايسميه Paul Ricoeur الهوية السردية للأفراد والجماعات والإنسانية قاطبة[6].

ولعل ما يذكرهG Durand يضيئنا أكثر حول مثل هذه المسائل من أن الذاكرة هي القدرة على تنظيم لكل انطلاقا من جزء معيش[7]. لذلك فهي تفلت من الزمن فالزمن المستعاد بفعل الذاكرة والذي يعد انتصارا هوزمن منفي أو منكر[8].

لأن قدرتها على العودة والاستعادة وتحديدا العودة إلى الماضي يسمح لها بإصلاح تجاوزات الزمن لذا فهي قدر مضاد[9].

وهكذا باشتغالها كملطفة وكقدر مضاد يكون ديران قد وضح معالم الذاكرة في اتجاه معاكس لما ذهب إليه برغسون.

3/ الذاكرة كمحاولة لتملك الماضي:

إن كل ذاكرة هي إحياء للماضي عن طريق إثارة الأجزاء الشاهدة على معيش مضى، دليل إضافي لكوجيتو الوجود أنا أتذكر إذن أنا وجدت إذن أنا موجود. فضلا على أن وجود الذاكرة يشعرنا بدرجة الاستمرار الاجتماعي[10].

وعليه إذا كان ماضينا يبقى مخفيا عنا كليا لأنه مختف بواسطة ضرورات الفعل الحاضر فانه سيجد القوة لتجاوز عتبة الوعي في كل المرات التي نهمل فيها الفعل الناجع لنضع أنفسنا نوعا ما في حياة الحلم. [11]

4/الفرق بين الذاكرة والتاريخ:

مما لا يساوره الريب أن الذاكرة ليست بالتاريخ لاختلاف أسلوب انتقائهما ثم انه يمكن أن تتوتر علاقتهما بل ويتعارضان لكن من المؤكد بالموازاة أنهما يحتاجان بعضهما. فالتاريخ يسائل الذاكرة وهذه الأخيرة تحكي تحولها عبره. [12]

والملفت للنظر أن كليهما يتعرض للاعتداء فالتاريخ يعاني خطر التزييف والتزوير والاستغلال والتلاعب لأغراض غير نقية وكذا الذاكرة تعاني الأخرى من تهديد الاغتيال لأنهما يحكيان اللامقول ويميطان اللثام عن المسكوت ولكن بقدر ما هما خطر على، هما في نفس اللحظة وبنفس القدر منفعة ل. لذلك بقدر ما تعمل الأطراف المتضررة على طمسهما تعمل الأطراف

المنتفعة على إذكائها. وتتخذ الذاكرة في هذه الوضعية وضعا جد هش فهي من جهة غير مكتوبة ومن جهة أخرى معرضة للتلف جراء النسيان ولكن لا يستطيع أحد الطعن في أهميتها.

أهمية تعوزها صرامة التاريخ والهالة التي يحاط بها حدثا وعلما ولكن هذا لا ينقص منها شيئا. فهنالك ماض لهذا الحاضر بالذات وهو ذاكرة الرجال القدماء في الزمن الخالي وهو ليس ما نعرفه نحن عن ماضيهم. [13]

5/الفرق بين ذاكرة فردية وذاكرة جماعية

جرت العادة على اعتبار الذاكرة فردية لذلك لم تكن الحاجة قائمة لإضافة النعت لها ليخصصها ومنه انفرد بها علم النفس أولا والمواد الأخرى على نفس الهيئة إلى أن طرحها علم الاجتماع كمعطى جماعي. بحيث عمد هالبواكس لنقل المفهوم من دائرة الفردية إلى الجماعية والى التفريق أولا بين الذاكرة الفردية والجماعية غير أن هذا الاختلاف لا يمنع التقاءهما. [14]

ثم أن الذاكرة الفردية ما هي في نهاية المطاف سوى وجهة نظر حول الذاكرة الجماعية، تتغير وفق المكانة التي يحتلها الفرد والتي تتغير هي الأخرى بحسب

العلاقات التي يعقدها الفرد مع أوساط أخرى. [15]

وهذا ما يزيل الغرابة عن دخول الذاكرة الفردية والجماعية في تعارض أو حتى تناقض بسبب كما سبقت الإشارة إليه تركيبة من التأثيرات ذات الطبيعة الاجتماعية. ربما أبسط محاججة خدمة للسياق أن الإنسان اجتماعي بطبعه

فالأفعال الأكثر فردية التي يقوم بها هي في الأول والأخير اجتماعية لأن المحضن والمجتمع.

وليس هذا فقط بل أن الذاكرة الفردية تستند إلى معطيات الذاكرة الجماعية التي لا تستطيع أن تتبنى تمثلاتها منقطعة عن المجتمع وعن الذاكرة الجماعية فتمثل الذاكرة الفردية للأشياء منظور إليه بهذه الكيفية مرتبط بتمثل الذاكرة الجماعية لها وفق منطق يعلمه لنا المجتمع منطق جغرافي طوبوغرافي فيزيائي أي وبصورة أوضح فإننا نثير الأشياء في ذهننا وفق ارتباطات سببية لقننا المجتمع إياها. [16]

وكان الذاكرة الفردية تأتي لتنزرع على الذاكرة الجماعية ودون هذا الانزراع فإنها لاتحي. وعن طبيعة مثل هذا النوع من الارتباط يذكر هالبواكس بملاحظة حكيمة إلا وهي إن الذاكرة الفردية تتوقف عن الارتباط بالجماعة حالما يتوقف الانتماء للجماعة تلك. [17] هل الذاكرة الجماعية هي أولا وأخيرا محصلة للذاكرات الفردية؟

ليس تماما فالذاكرة الجماعية لا يشترط فيها لزاما أن تكون متجانسة [18] ومرده إلى خاصية جوهرية في الذاكرة الجمعية كونها ليست بذاكرة مشتركة إذ وكما يشير إليه Yves Lequin هناك فارق بينهما فالذاكرة المشتركة ذاكرة أشخاص يتذكرون معا في حين وان الذاكرة الجماعية تعني وانه تتشكل حول حدث أو جملة أحداث عاشوها معا ذاكرة نزاعية تستند إليها دلائل مختلفة ويمكن حتى إن تكون متعارضة. لأنها تتأثر بالمكانة أو الموقع داخل النسيج الاجتماعي. [19]

وهي جماعية لان الذاكرة الجماعية لا يمكن أن تتواجد دون أن تجسدها جماعة، تحملها، تنقلها، وتحييها وإلا تتجمد وتتكلس في شكل تقليد واه ولا تتواجد إلا في أماكن للحفاظ عليها..[20]

إن انتقالها عبر الأجيال مسالة جد هامة، هو نقل أو انتقال لا يتم بواسطة التوريث لتقليد أو مجموعة تقاليد وإنما عبر التعليم الذي يضطلع بمهمة توجيهية. [21]ونعترض هنا على هذا التحديد لان الكاتبة ألغت التقليد في انتقال الذاكرة في حين انه يصلح أن يكون كذلك في الدول التي لا تعرف انتشارا كبيرا للتعليم بل حتى وان كان موجودا فان احدهما لا يلغي أداء الآخر. إن وصف فالنسي يعكس جيدا طبيعة هذه العلاقة: "التاريخ نشاط فكري ينظم المعطيات لجعلها مفهومة عندما تكون الذاكرة ملاذا للانفعال وتستطرد التاريخ يتماسف مع الماضي ويبحث عن القطائع والانقطاعات عندما تفترض الذاكرة الاستمرار". [22].

وبالنسبة لريكور" فالذاكرة الجماعية هي باقة من الآثار التي تركتها أحداث تاريخ الجماعات المعنية والتي لها المقدرة على إخراج هذه الذكريات المشتركة في الحفلات والطقوس والاحتفالات العامة [23]. "

إن هذا الإخراج ضروري بالنظر إلى كون الذاكرة كما يقدمها هالبواكس ناقدة ومقاومة لتدمير القيم لذا تأخذ على عاتقها إعادة تشكيلها وصياغتها. [24]

هل الذاكرة الجماعية مهمة؟

إنها في غاية الأهمية لأن الجماعة الاجتماعية تعي شكلها بفضلها. [25]وإن كان محتواها متعلقا بالماضي فإن الخدمة التي تسديها متعلقة بالحاضر أي أن إعادة بناء للماضي تكيف صورة الوقائع القديمة مع المعتقدات والحاجات الروحية للزمن الراهن.

ويضرب هالبواكس مثلا لذلك عن المسيحيين الذين قاموا بنقل مواضع لحلقات زمنية مهمة ومقدسة في النجيل فهنالك مثلا أسطورة تضع قبر الملك داوود في بيت لحم وليس في القدس لأنهم يعتبرونه سلفا للمسيح ونفس الأمر بالنسبة لمسار درب صليب المسيح الذي عرف تغيرات إذ وفي منتصف القرن الخامس عشر وصفوه خارج القدس. [26]

وتأخذ إعادة البناء هذه شكلين اثنين هما:

* التجزئة: بحيث تطابق ذكرى معينة أماكن عديدة.

*التركيز أو المركزة إذ يجمع مكان واحد عدة ذكريات [27].

لقد شغلنا إلى حد الآن تعلق الذاكرة بالماضي لكن لم هي جماعية وما محتواها وكيف تشتغل ؟

يتمثل محتوى الذاكرة الجماعية في تمثلات الجماعة لماضيها عن طريق انتقاء أحداث وشخصيات وقصص وروايات وحوادث وأشعار وأمثال شعبية والفضاء الجغرافي الذي غير اسمه أو وظيفته أو شكله أو اختفى، الخ.

أي جملة من الذكريات غير أن الذاكرة ليست هذا المحتوى وفقط بل النظرة لهذا الماضي المسقط على الحاضر والمؤسس للهوية. [28]

لان الجماعة تضفي على هذا المحتوى مواقف وتبدي آراء حيال ومشاعر التعاطف أو التجافي. ولكن ينصهر كل هذا في بوتقة متناسقة لذا فهي بقدر ما هي مشكلة هي مشكلة لمنظومة دينامية، حاملة للمخيال تظهر معالم المستقبل نتيجة تفاعل الماضي والحاضر. [29]

٦/ مفهوم أماكن الذاكرة وعلاقته بالذاكرة الجماعية:

يقارع الجميع ضد النسيان الذي يصير مرادفا للموت وللعدم، لذا نجد أن المجتمعات وفي مقدمتها مختلف السلط تعمل على المحافظة على الذاكرة الحية أو قد تلجأ إلى إحيائها عن طريق توريثها للأجيال باحتفالات الذكرى والإحياء للطقوس المصاحبة لها والمحيطة لها والمحيطة بها من أجل استحضار مشاعر الرضا أو الفرح أو الحزن أو الشجب التي تتطلبها ذكرى الحدث أو الموضوع ذاته، وتماشيا مع هذا المعنى يتحدث Pierre Nora عن أماكن الذاكرة أو الأفضل مواطن الذاكرة "les lieux de mémoire" والتي لا تكون بالضرورة أماكن في المعنى الفيزيائي للفظ إذ يمكن أن تعبر عن نصب تذكاري أو مكان ما (موقع، مدينة، أثر، monument)، أو شخص ما أو حدث ما بشرط أن تكن هذه العناصر محاطة بحالة رمزية على حد تعبير P. NORA أي مجال للخيال، ولإبراز هذه الفكرة يكتب Nora: " إن المكان حتى ولو كان ذا مظهر مادي محض مثل مخزن dépôt للأرشيف، لا يكون مكانا أو موطنا للذاكرة إلا إذا زوده الخيال بهالة رمزية" [30] وهكذا تتضح لنا معالم مواطن الذاكرة التي تجمع بين المكاني والزماني.

٧/ الفرق بين الذاكرة والمخيال:

إن الذاكرة ورغم محتواها الموضوعي فإنها لا يمكن أن توجد دون القدرة الخارقة على التخيل الذي هو أسلوب أو طريقة للهروب من الحاضر وعدم عودة الزمن إلى الوراء ويمكننا من تمكين التعايش بين الماضي والمستقبل في نفس الدائرة النفسية/العقلية. [31]

و باختصار فإن التخيل هو العامل الذي يمكن الفرد من التكيف فوق الحقب والأزمنة بالتحرر منها وتجاوزها ناهيك عن كون الذكريات تعود إلينا في صورة صور ومنه Image/imagination مما يعنى أننا لا نستطيع التذكر ولا حتى التخيل خارج إطار الصورة وهذا الواقع بالذات الذي يجعل الذاكرة "خزان صور كبير". [32]

دون أن يعنى هذا في أي حال من الأحوال، أن الذاكرة هي الخيال وإنما نحتاج الخيال كمحرك أوراس قاطرة leitmotiv مع الاحتفاظ في الذاكرة / الذهن بالفوارق الطبيعية الموجودة بينهما وعلى رأسهما كون الخيال جموع ومسموح له بتعريف الوقائع / الأشياء، عكس الذاكرة المطالبة بأن تكون مطابقة ووفية للوقائع والأشياء وهو الفرق الذي يشير وينبه له هيومHume [33]

و هكذا نجد أنفسنا أمام أربعة أبعاد متقاربة هي التخيل- المخيال – التمثلات- الذاكرة.

فالخيال imagination ينتمي إلى نفس الحقل الاشتقاقي والدلالي لصورة Image واشتق منها فعل تخيل ومعناه الذي له هلوسات/ خيالات hallucinations ولكن تعني أيضا تمثل لذلك، عندما تحدث شخصا ما كثيرا ما نقول له تخيل ! imagine لأن المسألتين مرتبطتان، فالخيال هو قدرة العقل على التمثل لصورة أو عن طريق الصور مواضع مثل: المعارف أو التجارب الملموسة.

و عليه تعني والكلمات أشياء وبهذه الكيفية ندرك مدى أهمية الخيال في عملية الإدراك نفسها إن وبالعودة إلى المحللين النفسيين فإنه من المستحيل حدوث أسباب وعي بالواقع دون مخيال. [34] وماذا عن علاقة الصورة بالتمثلات؟

مع الوقت حدث تطور في الدلالة المتعلقة: لمنطوق صورة، حيث أصبحت مرادفة لتمثل محسوس مقابل تمثل عقلي أو فكري [35]

Représentations sensibles ,représentations intellectuelles

الشيء الذي يعكس كون كل من التمثلات والذاكرة تتفرسان في التخيل من منطلق أو تخيل هو عملية من العمليات الذهنية الكثيرة ذات العلاقة ليس منح الحياة العقلية فقط بل والنفسية والعاطفية ووجود الوعي بل والوعي بالوجود.

ورغم انتهائه إلى العالم الفردي جدا للوعي فإن التخيل اجتماعي أيضا لأن الفرد يخزن صورا مأخوذا من وسطه الاجتماعي مدينا إياها ومتملكا لها في حين حيث وسطه الاجتماعي الصور الذي ابتكرها والتي مع مرور الزمن نقلت منه وتتموضع (s'objectivent)، وهذا في حقيقة الأمر ما يخلق من البشر عالما وسيطا ووسيطا يتصلون من خلاله ويتأثرون ببعضهم البعض ويشكلون مشاريع قيما ومعنى.

إن أصل المخيال في التفكير هذا مكانه أما محتواه فهو كل التمثلات التي صنعها البشر لتفسير عالمهم وتسييره تلك التمثلات المشكلة من صور وأفكار وأحكام واستدلالات والتي لا تصير نافذة إلا إذا تحررت عن شباك الوعي وانتقلت إلى الواقع. [38]

يبين castoriadis العلاقة بين المخيال والرمزي مقرا منذ البداية بعمقها وغموضها، فالمخيال يحتاج للرمز حتى يعبر عن نفسه وأبعد حتى يوجد ويتواجد أي حتى يتنقل من الافتراضي إلى الواقعي وحتى يصبح ذلك متاحا لابد وإن يستخدم المخيال الصور، لكنها صور لا تمثل ما تمثله عادة ولكن أشياء أخرى جديدة وهذه هي قدرة المخيال ألا وهي مقاربة الشيء ليس كما هو ولكن بشكل مغاير وهذا في حد ذاته تمثل. [39]

إن المجتمعات أدركت واستوعبت بطريقة جيدة عجزها على قوننة التاريخ الذي يتمتع على كل سيئة فأصبحت تصنع نفسها، انطلاقا من هذه الفكرة يصبح المخيال الاجتماعي ممكنا فهو الذي ابتكر الكلام والمؤسسات وحتى أشكالها ولولاه لما استطاعت العقول والنفسيات الفردية في معزل عن بعضها البعض فعل ذلك، فالمخيال الاجتماعي هو إنجاز جماعي وهو صياغة أخرى لقدرة الابتكار الجماعي كجماعة مجهولة، يتحقق كلما تجمع البشر وأعطوا لتجمعهم شكلا مؤسساتيا. [40]

و هذا في واقع الأمر ما هو إلا طابع ومظهر من مظاهر المخيال وهو الذي يسميه كاستورياديس المخيال الجذري أو الراديكالي وهو القوة الممأسسة L'imaginaire instituant

وفي هذه الحالة لا يعني انعكاسا للفكري كمعطى بعد موجود ولكن الابتكار المتواصل لأشكال وصور تؤسس لأشياء جديدة.[41]

ومن هكذا منطلق يقسم كاستورياديس المخيال إلى قسمين، مؤسس (بكسر السين) ومؤسس (بفتح السين) (imaginaire instituant/ institué)

- المخيال المؤسس: بكسر السين imaginaire instituant وهو إنجاز مجموعة من البشر خلفت دلالات جديدة تقلب الأشكال التاريخية القديمة.
- المخيال المؤسس: بفتح السين imaginaire institué ولا يقصد به هنا الابتكار في حد ذاته وإنما منتوجه أي جملة المؤسسات التي تجسد الدلالات الجديدة سواء كانت مادية في شكل أدوات، تقنيات، وسائل سلطة أو غير مادية كالكلام والمعايير والقوانين.[42]

وإن كان المخيال في الفضاء الحضاري والتفكيري الغربي يتمظهر بالأساس من خلال سمات ذلك الوسط القائمة على الإبداع والابتكار والتغيير وهي عناصر لازالت للأسف غائبة عن الفضاء العربي فان هذا الأخير يتشبث بالشفوي والخرافي والشعبي نظير غياب الثقافة العالمة أو بهوتها وعدم تفتق بعد ظروف تفتقها. ليجعل الزمن الحالي في تاريخها شبيها بظروف الغرب في عصر ما قبل الأنوار وعلى النقيض يتراجع التفكير العربي حتى عن زمن ازدهاره ما قبل الانحطاط.

الخاتمة:

إذا كان لابد وأن نحتفظ بمعلم مهم فيما يتعلق بمبحث الذاكرة فهو كونه يدعونا إلى جملة من الاستدلالات المهمة ألا وهي حق الأفراد في الإدلاء برأيهم تدعيما لحقهم في بناء التاريخ وإعادة تملكه وصياغته بما يتوافق مع طموحاتهم وانتظاراتهم.

إن مبحث الذاكرة يفرز في الأوطان التي يدرس فيها وتتطور مفاهيمه الفرعية ويطرح للنقاش ويثير هجيلا جديدا من المتخصصين الذين وبالتوازي يخضع مجتمعه للمساءلة العلمية في الوقت الذي يسائل حقيقة المجتمعات العربية والنامية مخضعا إياها مرة أخرى إلى ممارسة استشراقية. وفي نفس الزمن تبقى المجتمعات العربية خاصة مراوحة لمكانها غير آبهة به فتضيع بذلك فرصة نادرة في إجراء محاورة بين التاريخ والذاكرة حتى وإن وصل بهما الأمر للتناقض فمن التناقض ينبثق النور.

المراجع:

1- Jean Louis Jeanelle ,Susan Rubin Suleiman, La poétique de la mémoire selon Suleiman , in critique vol 63 , numéro 726 , novembre , 2007, P842-853 , P842.
2- وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل دراسات في البحث والبحث التاريخي، دار الطليعة بيروت، 2000 ،ص212
3- Jean Louis Jeanelle , Susan Rubin Suleiman , opcit , p844.
4-Ibid , p842.
5- Jean François Dortier (dir) ,Le dictionnaire des sciences humaines , éd sciences humaines ,Auxerre, 2004 ,p544.
6-Ibid. , P545.

7-Gilbert Durand, les structures anthropologiques de l'imaginaire, Dunod ,Paris ,1992.
8-Ibid 1992, p466.
9-Ntagteverenis Paschalis , l'espace social comme lieu du lien social in www. critique. ovh. org/0503/esp 0503article03. html consulté le 7 mars 2007.
10-Maurice Halbwachs, Les cadres sociaux de la mémoire ,Albin Michel ,Paris, 1994, p113.
11-Ibid. , p103-104.
12-Pierre Vidal Naquet , Les assassins de la mémoire , un Eichmann de papier et autres essais sur le révisionnisme , La Découverte / Essais ,Paris, 1991,p8.
13-Paul Ricœur, Histoire et vérité, 3 éd, Le Seuil, Paris, 1955, p30.
14-Maurice Halbwachs, La mémoire collective, puf, Paris, 1968, p51.
15-Ibid. , p94-95.
16-Ibid. , p86.
17-Ibid. , p63.
18-Rahal Boubrik , Saints et Société en Islam , La confrérie ouest-Saharienne Fadiliyya ,CNRS éditions , Paris ,1999, p18.
19-Ibid.
20-N. Lapierre, Le silence de la mémoire, à la recherche des juifs de Plock, Plon, Paris, 1989, p266.
21-Ibid. , p265-266.
22-Lucette Valensi à l'œuvre, une histoire anthropologique de l'Islam méditerranéen, éditions Bouchène 2002, p289.
23-Paul Ricœur, la mémoire, l'histoire, l'oubli, Le seuil, Paris, 2000, p14.
24-Lucette Valensi, opcit , p295.
25-Yankel Fijalkow, Sociologie des villes, collection repères sociologie, la découverte Paris, 3eme éd 2007, p25.
26-Maurice Halbwachs, La mémoire collective, opcit, p25.
27-Ibid.
28-N. Lapierre, opcit.
29-Ibid. , p266-267.
30-Alain Roger, la mémoire de l'histoire in critique nov 2007, tome LXIII n 726, Minuit, Paris, p830-841.
31-Jean Jacques Wununberger , l'imagination ,Puf ,Paris ,1991 ,P31.
32-Ibid. , p32.
33-Ibid. , p34.
34-Anne Gratecel, l'imaginaire, Boyard éd, Paris, 2004, p9-10.
35-Ansart, Akoun , opcit, p269.
38-Sylvie Mesure, Patrick Savidan (dir) Dictionnaire des sciences humaines, Quadrige/Puf, Paris, 2006, p599.
39-Cornelius Castoriadis, l'institution imaginaire de la société, seuil, 1975, Paris, p190, 191.
40-Nicolas Poirier, Castoriadis, l'imaginaire radical, collection philosophies, Puf, Paris, 2004, p86.
41-Ibid.
42-Ibid. p86-87.

****